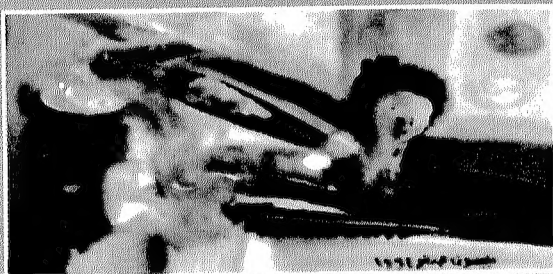


مختارات

Selection

—fernando pessoa



المهدى أخريف

67

المشروع القومي للترجمة



اهداءات ٢٠٠١

المهندس / محمد عبد السلام العمري
الإستشارية

المشروع القومى للترجمة

فرناندو بيسوا مختارات

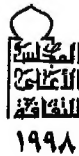
1 - فرناندو بيسوا

2 - ألبرطو كاييرو

3 - ريكاردو ريبس

4 - ألبارودى كامپوس

ترجمة
المهدى أخريف



أنجزت ترجمة هذه الأشعار
عن الإسبانية اعتماداً على :

1 - Fernando : en palobros yen Imagenes
Selección de textos, traducción y notas
José Antonio Uordent.

Edicioin Siruela
Ministerio de Cultura 1995
Madrid. Espoina

2 - Fernando Pessoa : Antologia de
Alvaro ole Compos,
Edicioin preporda por José Antonio Llardeivt
Madrid 1984

3 - Fernando Pessoa, Antologia, prólogo, Selecccion
traduccion Octavio Paz
Edicioi999n Laia Madrid 1985

- المجلس الأعلى للثقافة / المشروع القومى للترجمة
- فرناندو پيسوا : مختارات
- ترجمة : المهدي أخريف
- الإشراف التنفيذي : محمد عيد إبراهيم
- الغلاف : ميسون صقر
- التنفيذ والإخراج الداخلى : عبد الرحمن سعد
- الطبعة الاولى / ١٩٩٨

إضاءة

هى ذى « مختاراتى الثانية » من أشعار فرناندو
 بيسوا أضعها بين يدى القارئ لتضاف إلى المختارات
 الأولى التى صدرت فى القاهرة (هيئة قصور الثقافة) ،
 ثم الدار البيضاء (دار الرابطة) منذ بضعة أشهر .

مايُمِيز هذه المختارات هو شموليتها بعدم اقتصارها
 على قصائد لشاعر واحد كسابقاتها (ثلاث قصائد
 لألبارودى كامپوس) مع توفرها على تمثيل واسع
 ومتكامل لشعراء بيسوا الأربعة : بيسوا أولاً ، فمُعلِّمه
 ألبرتو كاييرو ، فريكاردو ريبس ، ثم ألبارودى
 كامپوس « الپيسويى الأكثر پيسوية من بيسوا » .

لم يكن العمل فى هذه الترجمة خالياً بالطبع من
 المصاعب والمثبطات ؛ لقد اصطدمت بعوائق وإرغامات
 متباعدة أجبرنى بعضها على التخلّى كلية عن مراودة
 قصائد عديدة شغفت بها ، كما دفعنى بعضها الآخر إلى
 التوقف والتأنى وابتكار صيغ و « أساليب » خاصة
 لتجاوز بعض المآزق التركيبية والتّغييرات المجازية
 « الپيسوية زيادة على اللزوم » .. وإذا كنت قد توصّلت
 فى النهاية إلى إنجاز ما أنجزته فلأننى كُنْتُ مَقْوداً بِقُوَّةِ
 الشغف ولذة الإنصات ، ولأننى أيضاً عرفتُ كيفُ أروِّضُ
 « لغاتى » و « الكُين » اختياراتى ، مستعينا ، بغية التدقيق ،
 بأكثر من ترجمة واحدة من الترجمات الإسبانية ،
 التى اعتمدتها ، للنص الأسمى ، مع مقابلتها ، كلما كان

ذلك ضرورياً ، مع القصائد فى لغتها البرتغالية
الاصلية ، بفضل العونِ الشغوف للصديق الأستاذ
بيدرو فيلاسكينز دورو تارة وبجهد تتبعى الشخصى
تارة أخرى ، خاصة وأن القرابة بين اللغتين الإسبانية
والبرتغالية تصل إلى حد التطابق التام فى الكثير من
التركييب والصيغ .

لَقَدْ اضْطُررتُ غير مَـرَّةٍ إلى إدخال تعديلات
شتى ، تحويراً وتنقيحاً وتجويداً ، على قصائد عديدة
ترجمتها بعد اطلاعى على ترجمات إسبانية أخرى بَدَتْ
لى أجود وأدق . وهو ما جرى لى بالفعل مع بعض
« أناشيد » ريبس ، وقصائد بيسوا ، وخاصة مع « نشيد
الظفر » للبارودى كامپوس التى أدخلتُ على ترجمتها
المنجزة منذ سنوات ، تعديلات واسعة اعتماداً على نصِّ
الأستاذ خوصى أنطونيو جارديننت * الأندُقُّ والألصقِ
بالأصل من ترجمة أوكتافيويث التى اعتمدها
البداية .

ربما يكون نجاحى فى ترجمة « الأشعار الحارة » ،
أشعار كامپوس كاييرو ، أُبْرَزَ مِنْ مَثِيلِهِ فى « الأشعار
الباردة » ، أشعار بيسوا وريبس تَخْصِيصاً ؛ لأن
« القصائد الحارة » تلك تمنح نفسها بيسر أكبر وتُتَبَّحُ ،
عبر أسلوبها السيال والمباشر ، الإمساك بتيار الإيقاع
بِسُهولة لا تُتَّيَحُّها « القصائد الباردة » ذات البنية

القصيرة المراوغة والخبرة السهلة الممتنعة حيناً أو
الملتبسة حيناً آخر . وهذا ما يفسر ويبرر الحيز المتقلص
الذى تحتله « أناشيد » ريبس فى هذه المختارات بالمقارنة
مع الحيز الممنوح لباقي الأنداد .

آمل أن يجد القارئ فى هذه الأشعار الموسومة
بجهد وصدق إنسانيين نادرين ، ما وجدتُ شخصياً من
متعة ، متعة الشعر والفكر والإحساس ، كما آمل أن
تكون كافية لتمثل وتدوِّق خصوصيات الأنداد
وفراديتهم وفى نفس الآن للإمساك بذلك الخيط
الرؤيوى والروحى الذى يجمعهم ويوحد مقصدهم
الشعرى ، خيط الإحساس بانعدام الوزن ، ذلك أنهم
جميعاً ، على ما بينهم من فوارق مظهرية ، ينتمون إلى
تلك الفصيلة النادرة من « الكائنات ذات الخفة التى
لا تحتل » ، (ميلان كونديرا) ، والتى مهنتها الهروب
الدائم إلى الداخل وإدمان اللعب فى زوايا الخيال الكثيبة
فراراً من ورطة الوجود بالقسر ...

إن الوشائج التى تجمع هؤلاء الأنداد تتجاوزُ
ما خلفوه من أثر شعري ، لتمتد إلى النثر وإلى ما
مارسوه من أفعال رمزية ، وحيوات مصطنعة ومقنَّعة ،
فقد تبادلوا علاقات صداقة متفاوتة المستوى (باستثناء
ريبس وبيسوا اللذين لم يتعارفا شخصياً) . كما تبادلوا
النقد والتعليق على أشعار بعضهم بعضاً وجرّت بينهم

مساجلات ومجادلات إسطيطيقية خصبة مست الشعر
والنثر وامتدت إلى الفلسفة والدين والأخلاق والسياسة**
وعلى الرغم من تباين مسالكهم ومصائرهم فقد عرفوا
تقريباً نهايات مشابهة وتبحروا فى صمت ، داخل بئر
عزلتهم الخاوية ، عزلة خالقهم ييسوا الذى كان آخر
ماخطه عشية موته هذه الكلمات : اسقنى مزيداً من
الخمير ، لأن الحياة لأشئ .

المهدى أخريف

(*) خوس أنطونيو چاردينت : (1935 - 1987)
Jo.ose Antonio I.Lardent حاصل على الجائزة الوطنية فى الترجمة
الأدبية سنة 1987 بفضل ترجماته الجيدة للعديد من أعمال ييسوا الشعرية
والنثرية .

(**) يمكن الرجوع لمن أراد التوسع فى معرفة النشاط النقدى
والنظرى لبييسوا وأنداده إلى كتاب :
Fernonedo Pessoa :

El Regreso de los Dioses

Troducción del Portuguez Ydel Inglés : ANGEL Crespó
Seix Barral . Primero edición 1986 - Barcelona .

إسطيطيقا التنازل

فرناندو أنطونيو نوغيرا پيسوا ؛ ولد فى لشبونة يوم 13 يونيو 1888 وتوفى فيها يوم 30 نوفمبر 1953 . طوال السنوات السبع والأربعين التى عاشها ، تميزت حياته وأعماله الخارجية « البيوغرافية » حسب توصيف ذاتى محكم له ، بالرتابة والبساطة ، حياة « رجل عايش الأشياء التى تحدث فى الحياة ، من بعيد ، مبتسماً ، بدون أن يختلط بها » . فى البداية جعل من « مهمة العبقرى المقدسة والرهيبة » هدفاً حيويًا لحياته ، غير أنه لم يلبث أن اكتفى بالاعتقاد بامتلاك مزايا عالية من الذكاء والحساسية مناقضة « للآخرين » الذين وجب عليه أن يتجاهلهم فى علاقته كإنسان وككاتب .. وهكذا قرّر التخلّى عن جميع أشكال الشهرة التى تليق فقط « بالمثلاث والمنتجات الصيدلية » حسب تعبيره . بدون إظهار أى ندم أو مرارة أو حقد . لقد حوّل ، ببساطة ، طاقته الاستثنائية إلى مادة أدبية من خلال « إسطيطيقا » أطلق عليها نعت « إسطيطيقا التنازل » ، وحرص على

الالتزام بها حتى نهاية أيامه . غير أنه كَانَ قد نظر لها منذ 1985 بهذه العبارات : « إن الظافرين عموماً سرعان مايفقدون المزايا الناجمة عن الظفر؛ لأن الشعور بالرضى يستولى عليهم . ووحده القانع يشعر بالرضا . أما الذى يفوز حقاً فهو الذى لايملك عقلية الظافر ، والذى لا يصل أبداً إلى مبتغاه . وحده القوى ، همته فى فتور مستمر . » . الأفضل ، إذن ، هو التنازل عن كل طموح . « فالإمبراطورية العليا هى فى ملك الإمبراطور الذى يتنازل عن كل حياة عادية وعن البشر كافة » .

هذه « الاسطيطيقا التنازلية » مَسَّت كل جوانب حياة بيسوا بدءاً من الوضع المادى - كان مخططة المالى المعلن هو ضمان الحصول على 70 دولاراً فى الشهر ، كحد أقصى ، بدون زيادة دولار واحد - إلى نظام العلاقات الإنسانية ، من الحب إلى الصداقة على أساس أن « فعل الوجود الإلهى يجب ألا يتمثل مع فعل التعايش الشيطانى ، لكنه على عزلته ، واحتفاظه بالمسافة الدائمة بينه وبين الآخرين لم يستطع التخلص من أسر الحياة اليومية الظاهر ؛ تلك الحياة التى شكلت المكان الملائم لإنجاز مهمته : مهمة الرجل العبقري « إنها فضاء الإنصهار فى الكتابة عبر الخضوع » لمعلمين لايتساهلون ولا يغفرون » ، لكن ألا يصبح اعتبار ذلك التخلّى فى النهاية شكلاً من أشكاله « خَجَله المتعالى » الذى دفعه إلى التأكيد : « ... تفزعنى كل الحركات

والإشارات ، كل عباراتى مُنتزعة من سهولة الانفعال
المباشر » ! . مهما يكن من أمر فقد توالى أيام ييسوا بين
اليومى الأكثر مباشرة بإرغاماته المستمرة وبين
مغامرات الكتابة باعتبارها الرغبة الوحيدة الفاعلة فى
الحياة .

فرناندو پيسوا

أولاً : مختارات شعرية II

ترجمة : المهدي أخريف

مطر مائل

I

بهذا المشهد يَمُرُّ
حُلْمِي بِمِينَاءِ لَامِتْنَاهِ ،
لون الأزهار هو شفافية أشعة السفن الكبرى
التي تُقْلَع من الرصيف ساحبةً على المياه فيما
يشبه الظِّلَّ
أطيانَ تلك الأشجار العتيقة تحت الشمس .
مينائى المعلوم به معتم وشاحب ،
والمشهد مفعم بالشمس فى هذه الناحية ...
لكن شمس اليوم ميناء مظلم فى روى
والسفن المقلعة من الميناء هى الأشجار تلك تحت
الشمس . متحرراً ، أغائر المشهد الأسفل ،
شبح الرصيف هو الطريق فى وضوحه وهدوئه

مَنْتَصِباً مِثْلَ جِدَارٍ ، لَدَى ارْتِفَاعِهِ ،
مِنْ دَاخِلِ جَذْوَعِ الْأَشْجَارِ تَمُرُّ السَّفِينُ
بِعُمُودِيَّةٍ أَفْقِيَّةٍ
ثُمَّ تَمْضِي بَآئَةً فِي الْمِيَاهِ مَرَسَاتِهَا دَاخِلَ الْأَوْرَاقِ
وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً ..

زَمَنْ لِمَنْ أَحْلَمُ ؟ لَا أَدْرِي
فَجَاءَتْ تَشْفِي كُلِّ مِيَاهِ الْبَحْرِ ،
فَأَبْصِرُ فِي الْعُمُقِ ، كَمَا لَوْ أَنَّ صُورَةً هَائِلَةً كَانَتْ
مَنْشُورَةً هُنَاكَ .
كُلُّ هَذَا الْمَشْهُدِ ، صَفٌّ الْأَشْجَارِ ، الطَّرِيقَ الْمَضْطَرَمِ
فِي ذَلِكَ الْمِينَاءِ ،
ثُمَّ ظِلُّ سَفِينَةٍ شِرَاعِيَّةٍ أَقْدَمَ مِنَ الْمِينَاءِ ذَاتَهُ ، يَمُرُّ
بَيْنَ حُلْمِي بِالْمِينَاءِ وَرُؤْيَايَ لِهَذَا الْمَشْهُدِ ،
ظِلًّا يَصِلُنِي فَيَتَغَلَّغُلُ فِيَّ
مَنْتَقِلاً إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنْ رُوحِي ...

II

من الداخل تُضاء الكنيسة بمطر هذا النهار ،
كُلُّ شَمْعَةٍ تُضَاءُ هِيَ مَطَرٌ آخِرٌ يَخْفِقُ فِي
الشمعدان ...

يُبْهَجُنِي الإِصْفَاءُ إِلَى الْمَطَرِ ، مَطَرٌ هُوَ تَأَلُّوُ الْكَنِيسَةِ
بِالْأَضْوَاءِ ،

وَشَمْعَدَانَاتُ الْكَنِيسَةِ مَرْتِيَةٌ مِنْ خَارِجٍ هِيَ صَوْتُ
الْمَطَرِ مَسْمُوعاً مِنَ الدَّخْلِ .

رَوْنَقُ الْمَذْبَحِ الْأَعْلَى يَحُولُ دُونَ مُشَاهَدَتِي الْجِبَالِ
مِنْ خَلَلِ الْمَطَرِ ، الْمَطَرِ الَّذِي مِنْ ذَهَبٍ مَهِيْبٍ عَلَى
سَفَرَةِ الْمَذْبَحِ

هُوَ ذَا رَنِينَ غِنَاءِ الْكُورَسِ الْكَنَائِسِيِّ ،
بِدَاخِلِي صَوْتُ اللَّاتِينِيَّةِ مَمَزُوجاً بِالرَّيْحِ يَرْجُ
الشمعدان ،

فِيْمَا زَقَزَقَةُ الْمَاءِ تُحَسُّ مِنْ مَجَرَّدِ أَنْ ثَمَتَ كُورَسِ
لَيْسَ الْقُدَّاسُ سِوَى سَيَّارَةٍ تَمُرُّ

مِنْ خِلَالِ الْمَخْلَصِينَ الرَّاكِعِينَ لِأَنَّ الْيَوْمَ حَزِينٌ ..
رِيحٌ فَجَائِيَّةٌ تَهْزُ بِبَهَاءِ أَعْلَى

احْتِفَالِ الْكَاتَدِرَائِيَّةِ ، بَيْنَمَا صَخْبُ الْمَطَرِ يَمْتَصُّ
كُلَّ شَيْءٍ

إلى حَدٍّ أَلَّا صَوْتٌ يُسْمَعُ غَيْرَ صَوْتِ الْقِسْيسِ
مَاءٌ مَهْدُورٌ فِي الْبَعِيدِ
رَفْقَهُ صَوْتٌ عَجَلَاتِ سَيَّارَةٍ ...

وَفِي الْمَطَرِ الْمَتَوَقَّفِ
تَنْطَفِئُ أَضْوَاءُ الْكَنِيسَةِ

III

أَبُو هَوَّلٍ مِصْرَ الْأَكْبَرِ وَرَقَّ حَالِمٌ فِي الدَّخْلِ ...
أَكْتُبُ - وَأَبُو الْهَوَّلِ يَتَمَرَّأُ مِنْ خَلَلِ يَدَيِ الشَّفَافَةِ ،
وَعَلَى حَاشِيَةِ الْوَرَقِ تُنْتَصَبُ الْأَهْرَامَاتُ ...
أَكْتُبُ - مَنْزَعَجاً مِنْ كَوْنِ رَأْسِ قَلَمِي
عِبَارَةً عَنْ بَرْوَفِيلِ لِلْمَلِكِ keops
فَجَاءَ أَتَوَقَّفُ
لَقَدْ تَعَتَّمْ كُلُّ شَيْءٍ ، ... أَسْقَطَ فِي هُوَّةٍ مِنْ زَمَنِ .
مُغَطًى بِالْأَهْرَامَاتِ ، أَكْتُبُ أَشْعَاراً عَلَى الضَّوءِ
السَّاطِعِ لِهَذَا الْقَنْدِيلِ

وَمِصْرُ كُلِّهَا تَضْغُطُ مِنْ أَعْلَى عَلَى عَبْرَ جَرَاتِ الْقَلَمِ ...
أَسْمَعُ أَبَا الْهَوْلِ يَضْحَكُ مِنَ الدَّخْلِ ،
أَسْمَعُ صَوْتَ قَلَمِي يَعْبُرُ الْوَرَقَ ...
يَدُّ هَائِلَةٌ تَتَخَطَّى مَا لَسْتُ قَادِرًا عَلَى رُؤْيَيْهِ ،
ثُمَّ تَسْحَبِيهِ بِالْكَامِلِ إِلَى حَافَةِ السَّقْفِ الْقَائِمِ عِنْدَ
كَاهِلِي ،
وَفَوْقَ الْوَرَقِ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْتُبُ ، بَيْنَ الْوَرَقِ وَالْقَلَمِ
الَّذِي يَكْتُبُ ،
يَرْقُدُ جِثْمَانُ الْمَلِكِ KEOPS مُحْدَقًا فِيَّ بَعِينَيْنِ
مَفْغُورَتَيْنِ ،
بَيْنَ تَقَاطُعِ نَظَرَتَيْنِيَا يَجْرِي النَّيْلُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ مَا أَفْكُرُ فِيهِ ،
تَأْتِهِنَّ تَمْضِي بِانْحِرَافٍ مَبِیْهِمْ مَسْرَّةً مُرَاكِبَ
مَزْدَانَةٍ بِالْأَعْلَامِ .

مِنْ ذَهَبٍ عَتِيقٍ وَمِنِّي مَأْتَمُ الْمَلِكِ KEOPS ...

IV

يالْزيف السكون الثاوى فى هذه الغرفة !
- فى الاندلس تُوجد الجدران -
ثمت رقصات شهوانية فى السطوع الثابت للنور
الفضاء بكامله ينحبس فجأة
يتوقّف ، ينزلق ، يتحلّل ..
وفى رُكنٍ ما من السَّقْف ، أبعد من السقف بِكثير ،
هناك أيّادٌ بيضاء تفتح نوافذَ سرّيةٍ عديدةٍ
فيما باقّاتٌ بنفسجٍ تمضى منهمةً
من تكلم الليلة الربيعية المحتملة فى الخارج ،
فوق وجودى هذا بالعينين المغلقتين ...

V

فى الخارج أحصنة المعرض الاصطناعية تحت
دوّارة الشمس تدور
أحجار ، أشجار وجبال ترقص فى داخلى دون
حرّاك ...

ليل شامل فى المعرض المضاء ، قَمَرٌ فى النهار مَعَ
الشمس التى هناك

وكل أضواء المعرض تَرِنُ على حيطان الحديقة * ...

جموع صبايا بأباريق على الرؤوس

سائرات فى الخارج ، مبتهجات بوجودهن تحت
الشمس ،

وهن يتقاطعن مع جموع لَزِقَةٍ كبيرة مِنْ أناسٍ
يسيرون

عبر المعرض ، مع كل أولئك البشر المختلطين بضوء
الأكواخ بالليل والقمر ...

يلتقى الجمعان ويتداخلان

مكوّنين فحسب مجموعة واحدة ، هى فى حد ذاتها
مجموعتان ...

المعرض والأضواء والناس السائرون عبر المعرض ،

والليل الذى يمسك بالمعرض ويقوده بغير استقرار ،

جميعها فوق رؤوس الأشجار المفعمة بالشمس ،

مرئية تسير تحت الأحجار اللامعة تحت الشمس ،

* ترجمة غير دقيقة لـ Quintal . وال Quintal هو تلك الفسحة

البستانية الصغيرة المتصلة بالمنزل بدون أن تكون لابستائناً ولا حديقة .

متدفقةً من خلف الأباريق المحمولة على رؤوس
الصبايا ،
مشكلةً كلها بضوضائها وأضوائها أرضَ هذا اليوم
المشمس .

فجأةً هناك من ينفضُ ، هذه الساعة المزدوجة ،
كَمَنْ ينفضُ غربالاً ،
بينما غُبارُ الواقِعَيْنِ * المختلط يسقط
فوق يَدَيِ المليئَتَيْنِ برسوم موانئ
تُقلِّعُ منها سَفُنٌ كبيرة لا تفكرُ في الرجوع
غبار من ذهب أبيض وأسود فوق أصابعى ...
يدائى هما خطوات تلك الصبية التى تترك المعرض
وحيدةً مبهجةً بهجةً هذا النهار ...

V

القائد يحرك عصا الأوركسترا
التي تقتحم العزف بفتور وكآبة

* مُثنًى واقع : Realidad .

أَتَذَكَّرُ طُفُولَتِي ، ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كُنْتُ أَلْعَبُ فِيهِ قَرَبَ
حَائِطِ الْحَدِيقَةِ

قَازِفًا إِيَّاهُ بِالْكُرَةِ الَّتِي كَانَ وَقَعُهَا شَبِيبَهَا
بِانْزِلَاقَةٍ كَلْبٍ أَخْضَرَ تَارَةً ،
وَبِحِصَانٍ أَزْرَقٍ يَعْذُو بِفَارَسٍ أَصْفَرَ ، تَارَةً أُخْرَى
الْمُوسِيقَى تَتَوَاصَلُ ، وَهَاهُنَا فِي طُفُولَتِي ،
هَاهُنَا فَجْأَةً بَيْنِي وَالْجِدَارَ الْأَبْيَضَ ، وَقَائِدِ
الْأُورْكِسْتِرا ،

تَذْهَبُ الْكُرَةُ وَتَجِيءُ ، كَلْبًا أَخْضَرَ حِينًا
وَحِصَانًا أَزْرَقًا بِفَارَسٍ أَصْفَرَ حِينًا
الْمَسْرَحُ كُلُّهُ هُوَ حَدِيقَتِي ، طُفُولَتِي
مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالْكُرَةُ مَحْمَلَةٌ بِالْمُوسِيقَى
تَجِيءُ ،

بِالْمُوسِيقَى غَامِضَةً كَثِيبَةً تَتَجَوَّلُ عِبرَ حَدِيقَتِي
مُرْتَدِيَةً هَيْئَةً كَلْبٍ أَخْضَرَ وَهِيَ تَدُورُ فِي ثَوْبِ
فَارَسٍ أَصْفَرَ ؛

(بِسُرْعَةٍ تَدُورُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُوسِيقِيِّينَ الْكُرَةَ)

أَقْذِفْ بِهَا فِي وَجْهِ طِفُولَتِي فَتَقْطَعُ
كُلَ هَذَا الْمَسْرَحِ الْمَوْجُودِ عِنْدَ قَدَمِي لَاعِبَةً
بِفَارِسٍ أَصْفَرٍ ، بِكَلْبٍ أَخْضَرَ ، وَبِحَصَانٍ أَزْرَقٍ
يَطْلُ مِنْ حَائِطِ حَدِيقَتِي .
بَيْنَمَا الْمَوْسِيقَى تَقْذِفُ بِالْكِرَاتِ صَوْبَ طِفُولَتِي ..
وَحَائِطُ الْحَدِيقَةِ مَصْنُوعٌ مِنْ إِشَارَاتِ
عَصَا الْأَوْرِكْسْتِرَا وَمِنْ تَعَاقِبَاتٍ مَلْتَبِسَةٍ لِكَلَابِ
خُضْرَاءَ
وَبُضْعَةٍ أَحْصَنَةٍ زَرَقٍ وَبَعْضِ الْفَرَسَانِ الصُّفْرِ ...

الْمَسْرَحُ بِكَامِلِهِ حَدِيقَةٌ مَوْسِيقَى بِيضَاءُ
حَيْثُ الْكَلْبُ الْأَخْضَرُ يَرْكُضُ خَلْفَ
نَوْسَطِ الْجِيَةِ طِفُولَتِي ، حَصَانًا أَخْضَرَ يَعْتَلِيهِ
فَارِسٌ أَصْفَرٌ ..
مِنْ جِهَةٍ إِلَى أُخْرَى تَذْهَبُ الْكُرَةُ ، إِلَى الْيَمِينِ ، إِلَى الشَّمَالِ ،
حَيْثُ الْأَشْجَارُ وَوَسْطُ الْغُصُونِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْقِمَّةِ
تَعْزِفُ الْأَوْرِكْسْتِرَاتِ ،
حَيْثُ صَفُوفٌ مِنَ الْكِرَاتِ مَجْمُوعَةٌ فِي الدَّكَانِ الَّذِي
ذَهَبْتُ إِلَيْهِ لِابْتِئَاعِ كَرْتِي ،

ووسط ذاكرات طفولتي يبتسم البائع ...

لكنّ الموسيقى توقفتْ مثل انهيار جدار ،
والكرة ظلّتْ تدور حول هاوية أحلامى المجهضة .
والقائد ، الفارس الأصفر من أعلى الحصان
الأخضر

انحنى مقدّماً تشكّراته واضعاً العصا فى فتحة
جدار ،

انحنى ، باسماً ، بِكُرةٍ بيضاء على الرأس
كرة بيضاء تدحرجت من أعلى الظهر
واندَمجتُ فيما هو أسفل .

فصول / المومياء

I

أُميالاَ من الظِّل قطعتُ
دَاخِلَ تفكيرى .
من السطح يُزهر قَراغى
مع مَا لا جنس له .
والمصاييح أطفئت
فى المَخْدَع المهتز .

فجأةَ يتحوَّل كل شئٍ
إلى صحراء ناعمة
لا أبصرها بعيني
بل بمَلَمَسى القُدودِ من مُخَمَلِ المَخَادِع .
ثمةَ واحة فيما هو ملتبس

وفيما لا صدّوع فيه
هناك قاقلة تَمُرُّ
مثل شبهة ضوء
فجأةً أنسى الفضاء
كيف هو ، والزمن يغدو عمودياً
بدلاً من أن يكون أفقياً .

لا أدري المضجَعُ
أين يتحدّرُ
حتى لا يعثر علىّ .
ثمة بُخار خفيف يعلو
من أحاسيسي .
أكف عن أن أوجد
داخل ذاتي . لا وجود
لـ هنا في الداخل / هناك في الخارج

والآن تلك الصحراء
أضحتُ فما محنياً

مَعْرِفَتِي بِحَرَكَاتِي
نَسِيتُ اسْمِي .
لَقَدْ ثَقُلَ الْجَسَدُ عَلَى رُوحِي
أَحْسُ بِحُلُوتِي
مُعَلَّقٍ فِي الصَّالُونِ
حَيْثُ يَرْقُدُ أَحَدُهُمْ مَيِّتًا .
نَمَتَ شَيْءٌ هَوَى
يَظُنُّ فِي مَا لَا يَتَنَاهَى .

II

مَيِّتَةً فِي الظِّلِّ تَرْقُدُ كَلِيوبَاتِرَا .
يَنْهَمِرُ الْمَطَرُ .
لَقَدْ أَسَاؤُوا تَزْيِينَ الْمَرَاقِبِ بِالرَّايَاتِ .
دَائِمًا يَسْقُطُ الْمَطَرُ
لَأَجْلِ مَاذَا تَتَطَّلَعُ أَنْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْبَعِيدَةِ ؟
رُوحُكَ هِيَ الْمَدِينَةُ الْبَعِيدَةُ .

ببرود يسقط المطر .

أما بالنسبة إلى الأم التي تهدد الابن الميت في
حضانها

فكلنا نُهدِّدُ في الحضان طفلًا ميتًا .
المطر ، المطر .

الابتسامة الحزينة الفائضة عن شفئك المتعبتين
أراها في الحركة التي تتشبث فيها أصابعك
بالخواتم .
لماذا يسقط المطر ؟

III

لَمَنَ النُّظْرُ
المُؤْمَضُ عَبْرَ عَيْنِي ؟
عندما أَتَفَكَّرُ ما أراه
من يستمر في الرؤية
وقت انشغالي بالتفكير ؟
وأى طريق تتابعه

لا خَطَوَاتِي الكَثِيبة ،
بل وَاَقَعَ خَطَوَاتِ بِمَعْنِيَّتِي ؟
أحياناً فى ظِلْ غُرْفَتِي المَبْتُورِ
عندما لا أَكُونُ موجوداً حتَّى
على مُستوى الرُّوح ،
يَكْتَسِي الكونُ فيَّ شَكْلاً آخَرَ :
شَكْلُ بُقْعَةٍ كُسُوفِيَّةٍ مِنْ وَعْيِهِ
بفكرتى عن الأشياء .

إن أَشْعَلْتُمُ الشَّمْعَ

ولم يَكُنْ وحده الضَّوءُ
الخارجى المَبْهَمُ موجوداً
- من فَنَارِ مَوْقِدِ فى الشَّارِعِ
لا أَدْرِي أينَ ولا ما هو ؟ -
سَتَكُونُ لَدِي الرِّغْبَةُ
القائمة فى أَلَا يَوجَدُ أبداً
فى الحَيَاةِ والكونِ

غير الساعة الغامضة
التي هي حياتي الآن :
هنيهة رافدة
لِنَهْرِ مُتُّجِهٍ عَلَى الدَّوَامِ
إلى نسيان أنه موجود ،
فضاء خفيّ
بين فضاءاتِ صَحَارَى
مَعْنَا هُنَّ بَاطِل
وحيث العدم عدم .
هكذا ميتافيزيقياً
تَمُرُّ السَّاعَةُ .

IV

متدحرجاً يسقط
قَلْقِي عَلَى السُّلْمِ
رغباتي وسط حديقة
عَمُودِيَّةٍ تَتَدَحَّرُجُ .

عند المومياء الوضع مضبوط تماماً .
موسيقى نائية ،
موسيقى نائية جداً
لكى تُمرَّ الحياة
وتُلمَّ الحركات

v

لماذا تفتح الأشياء الشوارع لخطواتي ؟
إننى أخشى المرور وسطها ، بتصلبها الواعى
أخشى أن أتركها تزيح القناع إزاء ظهري .
لكن دائماً ثمت أشياء إزاء ظهري .
أحسُّ بغيا بهن الذى كله عيون تحنُّ فيَّ فأرتعش .
الجدران ، حتى بدون أن تتحرك ، ترشقنى بالمعنى .
الكراسى ، من غير صوت تكلمنى به ، تتحدث معى .
رسوم سُفرة الطعام تملك حياة : كل رسم هاوية .
بشفاه لامرئية منظرية يبتسم الباب

الذى ينفتح واعياً تماماً
بدون أن تكون هناك يد تفتحه غير الطريق
من أى مكان ينظرون إلى ؟
أية أشياء عاجزة عن النظر تلك التى تنظر إليّ
من يتجسّس على كل شئ .
التماعات السنابل تحملق فيّ
الجدران الملساء تبتسم بالفعل .
إنه الإحساس بكوني أوجد فحسب
من خلال عمودى الفقري .

السيوف

السيوف .

نعم ، سأفعل ، وساعة إثر ساعة تمرُّ الأيام*

سأفعل ، ويوماً إثر يوم تمرُّ الشهور
وأنا ، ممثلاً دائماً فقط بما سأفعله ،
أرى أنَّ ما سأفعله لا يُفعل ،
داخل النوسطالجيا اللأمجدية لذاتى نفسها .

سأفعل ، سأفعل ... الشهور تصبح أعواماً
والأعوام هي الحياة بكاملها ،
هي الكل ... ودائماً نفس الإحساس
بأنَّ كلَّ شئٍ فى المتناول ،
دائماً القدم ساكنة واليد جامدة .

سأفعل ، سأفعل ، سأفعل ... نعم ، بإمكان
أية لحظة ربُّما أن تمدّنى بالجهد والظفر ،
لكن ذلك ممكن فحسب إذا أمدّتنى به من الخارج .
لقد رغبت فى كل شئ - السلم ، الأمل ، المجد ...
أى لأمعقول مظلم ينتحب فى روحى ؟

(*) ترجمها عن البرتغالية إلى الأسبانية Gustavo FBra

كُنْ هادئاً أيها القلب ! لا تيأس ! ..

رُبَّما ذات يوم ، فيما وراء الأيام ،
تَعُثِّرُ عَلَى ما تُريدُ لأنك تريده .
حينئذ ، متحرراً من النوسطالجات الزائفة ،
تُدرك كمال الكائنات .

لَكِنْ ، كم هو مسكينٌ حُلْمٌ من لا يُريد سوى عدم
امتلاك حلمه :

كم هو بئيسٌ أَمَلٌ أَنْ تكون موجوداً وحسب !
كَمَنْ .. يُمَرِّرُ على الشَّعْرِ يَدَهُ
وهو يشعر في ذاته بأنه مختلف ،
كَمْ مِنْ ضَرَرٍ يُلْحِقُهُ بِالْحُلْمِ حَمْلُ الْحُلْمِ !

كن هادئاً أيها القلب ، بالرغم من كل شيء ، وَلَتَتَمَّ ،
الهدوء لا يُجَشِّمُ مُبرِّراً ولا حجةً ،
إنَّه يتطلَّب فقط الليلَ الساكن الهائل ،
تلك الوقفة المهيبة ، العظيمة الكونية
التي تنحلُّ في كل الأشياء .

ربما ذات يوم أنظم قصيدة لى

لأذلك الشيء الذى ، إذا حُلَّتْهُ ،
وجَدَّتْهُ فحسب الثوب الذى نسج فى داخلي
من كثرة الارتجال اللاشخصى والمجهول
الذى نسيني أو نسيَ ذاته .

قصيدة تنتسب إلى ، وفيها تنساب كينونتي ،
فيها أقول ما أحس وما أنا إياه .
بدون تفكير ، ولا إرادة ، ولا تكلف ،
مثل مكان مضبوط تماماً ، حيث كُنْتُ
وحيث بإمكان الغير ، أن يَرَوْنِي ، مثلما أنا عليه .

آه ، لكن مَنْ يستطيع أن يكون من هو ؟ من يعرف
تَمَلُّكُ الروح التى يَمْلِكُ ؟ مَنْ ذَا الذى هو بالذات من هو ؟
نحن ظلال لأنفسنا وحسب ، وَحْدَهُ الانعكاس يطابقنا .
لكن أى انعكاس ؟ انعكاس غصون لآ واقعية ؟
رُبَّمَا الهواء وحده يطوينا وَيَنْشُرُنَا .

كتابات قبرية

I

نَمْرُ حَالِين . الأرض تبتسم ، الفضائل تزداد نُدرَة .
العمر ، الواجب ، الآلهة تتحكّم فى سعادتنا الواعية .
ترقّب الأحسن وتهبّ للأسوأ .
فى هذه الوصفة تتكفّف خلاصة الحكمة .

II

الأقدار العاتية استسلمت إلي ، أنا كَلَوِي ، الصبيّة .
التي ماكانت تعنى شيئاً بالنسبة إليهن ، إلى الظلال
الممتلئة .

هكذا هو الحب لدى الآلهة . لم تكن سنواتي
قد جاوزت السبع مرّتين

فى مروجى السحيفة أرقد منسية .

III

من خلوتى على التل حدقت ملكاً نحو الأسفل ،
نحو المدينة الصاخبة ؛

بعدئذ أمضيت أحد الأيام (ضَجراً من مراقبة
الحياة متخلياً عن الأمل الأبله)
بدلتى فوق رأسى
(كما لو كانت هذه الحركة شيئاً ذابال)
كأننى أرفع جناحاً .

IV

Cécrops لم يرع نحلاتى . أشجار زيتونى
أعطت زيتاً كالشمس ، مِنْ بعيد تفتت قطعانى
المسافر المتعب مال إلى بابى
الأرض المبتهلة محتفظة ما تزال برائحتها .
حاسة شمى مينة الآن .

V

عرفتُ الظفرُ البرابرةُ الأبعاد سمعوا باسمي .
الرجال مثل البيادق في لعبتي هذه
لعبتي التي لم أستفد فيها أنا بالذات من دورى غير
القليل
قذفتُ بالبيادق إلى الهواء . والقدر تكفل
بالحساب .

VI

ثمت من أُحِبُّوا وثمت من سَعَرُوا كالأسهم .
ياقرينة رفيقى الراضى الطبيعية .
كافياً كنتُ لِمَنْ كَانَ كذاك ،
مشيتُ ، نمتُ ، أنجبتُ ، وبلا هَدَفٍ شِخْتُ .

VII

كمن يُبعد كوباً للغير أبعدتُ اللذة .
جَادٌ ، متباعد ، واثق ، وجهت نظري إلى حيث
يتراءى الآلهة
من ورائي انزلق الظل العمومى
وأنا أنومُ حلمى حَالِماً بأننى لم أُنمُ .

VIII

خمس سنوات شحيحة مَرَرَنَ قبل أن أُمُرُّ أنا أيضا .
جَاءَ الموت ومضى بال مخلوق الذى كان هناك .
مامن إله قَدَمَ الغوث ، ولا القدر ابتسم لليدين
الصغيرتين
وهو ينقضُّ على الفريسة الصغيرة .

IX

لَقَدْ نُصِبَ السكون حيث أقيمت المدينة العتيقة .
هنالك ينمو العشب حيث مامن ذاكرة تدوم

غبارُ نحن الذين نتناول الغذاء بصوت مسموع .
التاريخ تَمَّت روايته .
فى البعيد يهدم وقع الحُدُوات وآخر أضواء الخان
يختفي .

X

لقد تبادلنا الحب ، نحن المستريحون هنا . إنها
لفارقة .

يدى المفقودة تجنح إلى التحلُّ فى فراغ تجويفتها .
كل محبوبٌ مجهولٌ ، بالنسبة إلى العارف بالحب .
كم أحسَّسْنَا بوسامتنا ، وكانت القبلية شعارنا الأثير *

XI

من أجل مدينتى البعيدة كَافَحْتُ وسقطتُ
لم أعبرَ جيِّداً عَمَّا كانت تريد ، بيد أنها كانت فى
حاجة إلى .

* ترجمة مغايرة نسبياً للأصل

لقد تحرَّرت أسوارها ،
لسانها يحفظ ما قلتُ ، والرجال يموتون ،
لكنها لاتموتُ ، مثلى .

XII

نحن لم نعش الحياة ، الحياة هي التى عاشتنا ،
بنفس الطريقة التى يرشف فيها النحلُ الرحيق ،
نرى ، نتكلم ونحيا . الأشجار تنمو ، بينما نحن نيام .
نحب الآلهة تماماً مثلما نُشاهد مركباً ،
بدون أن نعى أبداً أننا واعون ، نَمُضِي .

XIII

لقد أنجزت الأشغال . المطرقة تستريح .
العمال الذين شيّدوا المدينة النامية ببطء
تمَّ استبدالهم بالذين مازالوا يشيّدون
هذا كله شئٌ يُخفي الحاجة إلى شئٍ آخر .
التفكير داخل المجموع ليس له معنى

لكنه على جدار الزمن يرقدُ مثل جُرّةٍ مقلوبة .

XIX

عندما كانت السماء الزرقاءُ سمائي ، كان هذا
يغطينى .

هذه الأرض التى وطئتها فى زمن آخر تخنقنى
الآن .

ويدى هى التى أَلْقَتْ هذه الكتابات القبرية ،

بدون أن تعرف بالكاد لماذا .

وأنا آخر العابرين ، الذى من هنا يتأمل الجميع .

من :

ديوان الأغاني

I

ورقات ، ابتسامة مسموعة
حفيفُ ريحٍ بالكاد
إن كنتُ أنظر إليك وتنظر إليَّ
فمن منّا سيبتسم الأول ؟
أول من يبتسم
هو أول من ، بعدئذ ، سيضحك .

فجأة يضحك وينظر
ينظر كي لا ينظر
وسط الأوراق الملتفة
يمرُّ صوتُ الريح .

كل شيء قناع ، كل شيء ريح .
ذلك الناظر منشغل بالنظر .
إلى حيث لا ينظر : ينقلب بصره .
نحن الاثنان معاً منشغلان بالكلام
عمّا لم يتم فيه كلام .
هل يبدأ هذا أم ينتهى ؟

II

ثمّة غيمة تمرّ تحت الشمس
ثمّة حُزن مرّصود للناظرين .
الروح شبيهة بعباد الشمس
ترى فقط ما يقع عند قدميها
أيّة ساعة وبيلة تُلْقُك
كالراية المرفرفة ؟
تمرّ الغيمة . والشمس تعود
فينقلب الفرّح .

III

دورانُ الريح .
الريح تدور ، تدورُ الريح .
فكرى حالمًا يسير معى
نَحْوَ أعالي الغابات
حتى أشعر ، بلاخوف ،
بالمرور العالى لبرودة الهواء .

حتى أعرف أُننى
ذاك الذى أردت أن أكونه
حينما سمعتُ ما قالت
الريح من كلام .

IV

على ضفّة هذا النهر
أو على حافّات ذاك
مصفوفة تمرُّ أيامى

مَا مِنْ شَيْءٍ يَعُوقُنِي أَوْ يَحْتَنِي
أَوْ يَمْنَحُنِي حَرَارَةً أَوْ بَرودة .

إِلَى النهر أنظر ، وإلى ما يفعله النهر
عندما لا يفعل النهر شيئاً .
أنظر إلى ما يخلفُ من غُثاء
عندما يَمْحُو ، في مروره ،
ما ترسَّب في الورا .

أنظر وأمعن النظر متأملاً ،
لا في التيار الذي يَمُرُّ
بل في ما أفكر فيه ،
إذ ما أبصره في الماء
هو تعذر رؤية ما يَمُرُّ .

عبر ضفّة النهر أسير
عبر ضفّة النهر الذي يمضي إلى حيث
لا أدري .

واثقاً بتيّاره النهري : سيان نظري
أو عدم نظري إليه .

V

آخر . أن أكون دائماً آخر .
أن أسافر . أن أفقد بلداناً .
أن أعيش نظراً متواصلاً .
والروح بلا جذور .

أن أسير جنباً إلى جنب مع ذاتي
متخلصاً من كل انتماء .
مع قلق الظفر
بالغياب الذي هو مواصلة مستمرة .

أن أسافر هكذا . يآله من سفر !
في أفكارى وحدها
يسافر تفكيري .

ما تبقى . سماء وأرض .

لو قُدر لي ، ولو لم أكن أحداً ،
أن أملك على صفحة وجهي ، ذلك الصفاء العابر
الذي تملكه تلك الأشجار
لَكَانَ لي إذن ، ذلك الفرح
الذي تملكه الأشياء في الظاهر .
لأنَّ الفرح ابن اللحظة هو
عندما تبرد الشمس يزول .

تجدُر بي أيُّ حياة أخرى
أكثر ممَّا تجدُر بي حياتي هذه
أن أمتلك تلك الحياة الغريبة
التي من الشمس فحسب تجيء .

XII

منبؤ أنا

فى ذاتى حبسونى
بعد ولادتى
غير اننى لذت بالفرار .

من نفس المكان
يضجر الناس
وأنا من وجودي فى ذاتى
أليس خليفاً بي أن أضجر ؟

روحى تبحث عنى ،
فى السهول والجبال ،
ليتها لا تعثر أبداً عليّ .

أن أكون واحداً قيد ،
ألا أكون موجوداً هو أن أكون
أنا ذاتى .

هارباً من ذاتى أحيا ،

وأنا بذلك حيّ .

VIII

أتأمل ما لا أراه

إنّهُ المساء ماهو مظلم يتقدّم

كلُّ ماهو رغبة بداخلي يصطدم بجدار .

كبيرة هي السماء في العلوّ

رفاعة هي الغابة

الرياح تخترق الدّغل .

نمّت أوراق . حضُور متمايل .

هناك في الجانب الآخر

يوجد كلُّ شيء ، ما لا وجود له ولا فكرة لى عنه .

وكلُّ عُصن متمايل

يجعل السماء أكثر شسوعاً .

بين ما أنا عليه وبين أنَّى
مُضْطَجِعاً ، ثُمْتُ خَلط .
لا أحسُّ بشيء ، ولست حزيناً .
الحُزْنُ هو هذا الذى أنا فيه .

IX

فوق القمح المتموج
شمس عاطلة تستريح .
بدون تفاهم مع ذاتي ،
مخدوعاً أمضي على الدوام .

لوفى إيمكاني ألا أعرف البتة
عَنْى أى شيء
لكنْتُ نسيْتُ نسياني هذا لِذَاتِي .

القمح يمين
والشمس غربية . سيان .

الروح موجودة ، ما أقصرها
بِخيرها وشرها .

ثلاث قصائد من :

رسالة

1 - الأمير دون إنريكي

في عرشه ، وسط سطوع الأفلاك ،
بمعطفه المنسوج من العزلة والليل
والبحرُ جاثياً عند قدميه والعصور المنيّة ،
- إنه الإمبراطور الوحيد الذي يمسك فعلاً
بالكرة الأرضية بين يديه .

2 - دون خوان الثانى

ذراعاه بهيأة صليب
تَخُمُ ما وراء البحار يبدو كقمة فى سلسلة جبال .
تخُم أرض يحكمها بحر آخر فيما وراء البرّ .

شَبَحَهُ المتوحد المخيف
يحتلُّ البحر والسماء لمجرد حضوره
ومع ذلك يبدو متهيباً من العالم المتنوّع
الذى يتقدم بذراعيه ويمزّق له اللثام .

3 - كتابة على قبر برطوميو دياز

في هذا الشاطئ النائي
يرقد قبطان النهاية
البحر نفس البحر وقد تُخطّيت الدهشة :
لا أحد يخشاه .
عالياً يستعرض أطلس
العالم على كتفيه .

قصائد أخرى

عيد الميلاد

يولد إلهٌ . يموت آخرون .
الحقيقة لا تأتي ولا تمضى .
الخطأ يتبدل .
الآن لدينا خلود آخر .
لكن الذى مضى كان الأفضل دوماً .

العلم أعمى يحرق تربة عقيمة .
والإيمان ، بجنون يحيا الحلم فى عبادته .
كل إله جديد هو لفظة فحسب .
لاتبحث . لاتؤمن . محجوبة هى الأشياء كلها .

✱

فى ذاتى أوجد ، بعيداً عنى ،
أوجد بمعزلٍ عمَّن أكون وعن الظلِّ
وعن الحركة التى بها أتشكل .



عدم وجود إله هو بذاته إله ..
ما أقلُّ ما تدومين : أيتها النوسطالجيا الخالدة .



أنا . أعودُ أم أنتظر ؟
لا أدرى . آخرَ كنتُ
بين ما أنا إياه وما أبغيه
بين ما أكون وما كنتُ .

طبيعة شاسعة متنوعة
طبيعة كثيفة حينما
من قُسْحَةٍ ضوء تمر الغيوم .
فى الوقفات المهيبة
للطبيعة
تصبحُ ديوكٌ مهيبة .

✱

أَقْدُ ذُهْبَتِ الشمسِ رأسكِ الأشقر .
مِيتَةٌ أَنْتِ . وَأَنَا حَيٌّ
ما زال هناك عالم وفجر .

✱

كذلك انفعالاتى

هى أشياء تحدث لى

✽

أريدُ ، سيكونُ لدى ،

ليس هنا ،

فى مكان آخر لا أعرفه .

لم أخسر شيئاً .

كُلُّ شَيْءٍ سَأَكُون .

✽

أيها المصباح الساكن الضئيل

ما يضيئك وما يمنحنى النور ،

يظلُّ ينوس

بين من كنتُ ومن أكون .

سونيتاتان

لقبر كريستيان روسنكرويتز

I

أثناء استيقاظنا من حلم الحياة
سنعرف من نحن ، ونعرف
حقيقة السقوط في الجسد ،
والسقوط في الليل الذي حبس رُوحنا .

هل سنعرف الحقيقة كلها ،
بعدئذ ، حقيقة الكينونة كلها ،
السكون السيّال ؟
كلا : لا الروح ، وقد صارت حرّة ومعروفة ،
ولا الإله ، خالقنا ، يحتويانها في ذاتيهما .

الله مخلوق من إله آخر أكبر منه :
هو أيضا عرف السقوط ، آدم أعلى كان ،
وعلى الرغم من أنه خالقٌ فقد كان بدوره مخلوقاً ؛
من أجله ماتت الحقيقة ...
لقد حَرَمَها ، ما هو أبعد من روحه ، حَرَمَها
الجحيم :
في هذا العالم تتجسّد ، هنا يوجد جسدها .

II

هنا . تائهون لا واقعيون
نحلم بالحقيقة وبما نحن إِيَّاه نحلم
لو رأيناها نياماً ، فمُجَرَّد حلم تكون
لا الحقيقة ، بل صورتها وحسب ما نراه
ظلال تبحث عن جَسَدٍ نحن ،
لو عثرنا عليه كيف سنحسُّ كينونته
وكيف نتلمَّسه ؟
ظلال ، أيادي ظلال ؟ نلمس ماذا ؟
الفراغ نلمسُ ، الغياب .

من يعتقنا من هذه الروح المقفلة ؟
من الصالة المجاورة ،
نُصغى إلى الكينونة ، لكنْ لانراها .
من سيفتح الباب ؟ ..
... هادئاً فى ميْتته الزائفة أماننا
الأب روسكروث العارف الصموت ،
بالكتاب مغلقاً فوق صدره المهيب .

ألبرتو كا ييرو

Alberto Caeiro DA Silva

ولد في لشبونة يوم 16 أبريل 1889 ، ومات
مسلولاً في لشبونة أيضاً ، عام 1985 .

أمضى الشطر الأكبر من سنواته السبع والعشرين
في ضيعة صغيرة واقعة على ضفة المجرى السفلي لنهر
التاج ، قرب العاصمة . وقد أمكنه ، بفضل إيرادات
متواضعة ، أن يتفرغ ، في عزلة كاملة ، لتأمل الطبيعة ،
مهووساً عبر نثرية أشعاره « ببساطة » و « طبيعية » كل
تلك الأشياء التي « يراها الإنسان ولا يراها » . قائلاً عن
نفسه : « لست بشاعر : أنا فحسبُ أرى » .

تلامذته - ريبس ، كامپوس ، باشيكو . أنطونيو
مورا ، وبيسوا أيضاً - يعتبرونه « شاعراً طبيعياً » .
بيسوا يؤكد عدم تلقّيه لأي تكوين دراسي لامتوسط
ولا عال ، ويقول عنه : « إنه يكتب البرتغالية بشكل سيء » .
أما ريبس فيصفه بالأميّة ، ومع ذلك ، وكما يشير
أرنالدو سرافيا فقد قرأ ، دون أدنى شك ، الشعراء

الرعويين ، كما قرأ فرجيل (رغم نفيه لذلك فى إحدى قصائده) مع فلاسفة متباينى المآرب ، إضافة إلى ثيساريو بيردى وحتى ويتمان (حسب إدواردو لورنسو) .

عملياً لا توجد أية معلومات بيوغرافية عن كاييرو ، « قصائده هى كل حياته » حسب ريكاردو ريبس صديقه المفضل . أما البارودى كامپوس الذى كان مقيماً حينئذ فى إنجلترا فيشير إلى أن المعلم كاييرو قد وجد نفسه وحيداً أيضاً ساعة موته . فريبس كان قد عاد إلى البرازيل ، وبيسوا كان فى لشبونة « كمن لم يكن موجوداً : يحس الأشياء بدون أن يتحرك ، ولا حتى من الداخل » .

يتكون الأثر الشعرى لألبرطو كاييرو من ديوانين صغيرين : « راعى القطيع » و « الراعى العاشق » ، المؤرخين من طرف الشاعر ما بين 1911 و 1914 . وإن كانا قد كتبا فى الواقع طوال 1914 - 1915 ، بالإضافة إلى مجموعة متفرقة من الأشعار التى تولى ريبس ضمها من بعد تحت عنوان « قصائد غير متجانسة » (١) .

(١) بعض هذه القصائد مؤرخ بعد وفاة صاحبها بما فاجأ العديد من النقاد .

مرحى ، براعى القطيع

ماذا تَقُولُ لك الريح

عند هبوبها

هنالك جنب الطريق

إنها الريح التى تمرُّ

ولطالما مرَّت من قبل

وعليها أن تمرَّ من بعد

وأنت

ماذا قالت الريح لك أنت ؟

أشياء كثيرة تقولها

الريح لى

تكلمنى عن أشياء أخرى كثيرة
عن ذواكر ونوسطالجيات *
وعن أشياء لم توجد قط

« أنت لم تسمع البتة مرور الريح .
الريح إنما تتحدث فحسب عن الريح .
محضُ كذبٍ كُلُّ ما سمعتُ من حديث .
والكذب فيك أنت بالذات » .

* ترجمة غير دقيقة لفردة لا توجد إلا في البرتغالية هي :
Saudodes . بعضهم يترجمها خطأ بـ « سوداوية » الأفضل الإبقاء على
نوسطالجية الأقرب دلالياً وإيحائياً إليها

رعاة فرجيل يعزفون على الناي وأشياء أخرى

وينشدون أغاني أدبية عن الحب
(عَدَاً هذا ، أنا لم أقرأ فرجيل .
لماذا ينبغي لى أن أقرأه ؟)
لكن رعاة فرجيل ، المساكين ، هم فرجيل ذاته
أما الطبيعة فجميلة على الدوام وقديمة .

خفيفة ، خفيفة ، خفيفة جداً

ريح خفيفة جداً تهبُّ
ثم تمرُّ ، دائماً خفيفة جداً
وأنا لا أعرف فيم أفكر
ولا أسعى إلى أن أعرف .

أحياناً ، فى أيام النور الكامل والصحيح

عندما تمتلك الأشياء كل الواقعية التى تستطيع
امتلاكها ،

أتساءل على غير عَجَلَة ؛
لِمَ لا أعزُّو حتى الجمال
للأشياء .

أو تمتلك الوردة ، بالمصادفة جمالاً ؟
والثمرة ، أجميلة هى مصادفة ؟
كلأ ، إن لها وجوداً وشكلاً
ولوناً فحسب .
الجمال هو اسم شئ لا وجود له ،
وهو ما أمنحه أنا للأشياء مقابل ما تمنحنيهِ من
بهجة .

الجمال لا يعنى أي شئ
لماذا إذن أقول عن الأشياء إنها جميلة ؟

أجل ، حتى أنا الذى أحيا فقط من فعل الحياة ذاته ،
لا مرئية تأتي للقائى أكاذيب الإنسان
تُجاه الأشياء ،

تُجاه الأشياء التى هى فحسب فى حالة وجود .
ما أصعب أن تكون أنت ذاتك والأ ترى كل ما هو
مرئى !

هناك شعراء صنّاع

ويشتغلون على الأشعار
كما يشتغل النجار على الطاولات .
كم هو حزين ألا نعرف الأزهار !
ثم إنَّ عليهم أن يَضَعُوا البيت فوق البيت ،
كَمَن يَشِيدُ جداراً ،
وأن ينظروا إلى ما هو جيّد ، كي ينتزعوا الردي ،
بينما المكان الوحيد المصنوع هو الأرض برمتها ،
وهي دوماً جيّدة ، وإن تغيرت ، هي ذاتها على
الدوام ..

لا أفكّر في هذا كَمَن يفكّر ، بل كَمَن يتنقّس ،
وأنظر إلى الأزهار ، فأبتسم ..
لست أدري إن كانت تفهمنى

أو كنت أفهمها
لكننى أعرف أن الحقيقة كامنة فيها وفى ،
وفى ألوهيتنا المشتركة ،
ألوهية أن نُسَلِّمَ أنفسنا للحياة عبر بقاع الأرض ،
أن ندع أنفسنا نُحْمَلْ على الأذرع عبر المحطات
المبتهجة
أن ندع الهواء يُتَوَمَّنَا مُغْنِيًا ،
والأ نمتلك أي أحلام لنا فى منامنا .

مثل لطفة هائلة لنارِ قذرة

الشمس الغاربة تتباطأ خلف الغيوم المتبقية ،
فى الهدوء الشامل للمساء صَفِيرٌ مُبْهِمٌ يَأْتِى من
الأقصى
صَفِيرٌ قِطَارٍ بَعِيدٍ رُبَّمَا .

نوسطالجية مبهمه تحملها هذه الهنيهة إلى
كُنت رغبة هادئة
تظهر ثم تختفى .

يحدث أيضاً أن تتشكّل لزهرة جُذولٍ
أحياناً فقاعاتٌ من ماء
تتوالد وتتلاشى
بدون أن يكون لها أى معنى

عَدَا أَنَّهُا فُتَّاعَاتٍ مِنْ مَاءٍ
تَتَوَالَّدُ ثُمَّ تَتَلَاشَى .

تمت الكثير من التفكير الميتافيزيقي

تمت الكثير من التفكير الميتافيزيقي
في انعدام التفكير في أي شيء .

ماهى الفكرة التى لدى عن العالم ؟
ماذا أعرف أنا عما لدى من أفكار عن العالم ؟
سأفكر في هذا كله
عندما أسقط مريضاً .

أيّة فكرة عن الأشياء لدى ؟
أيّ تصوّر عن النتائج والأسباب ؟
ماذا عن تأملاتى حول الله والروح
وخلق العالم ؟
لست أدري .

التفكير في أمور كهذه معناه
عندى أن أغمض عيني وألأ أفكر في أى شئ
وأن أسدل الستائر على نافذتى
(التى لاستائر لها)
سر الأشياء ؟ للأشياء سر ؟
من أين لى أن أعرف ماهو السر ؟
السر الوحيد هو أن أحداً ما يفكر
فى وجود سر .

أما من يقبع تحت الشمس مغمضاً عينيه ،
فإنه يكف عن إدراك ماهية الشمس
مفكراً فى أمور مفعمة حرارة ،
وإذ يفتح عينيه ويحدق فى الشمس
لايستطيع ، حينئذ ، أن يفكر فى أى شئ
لأن نور الشمس أغلَى من أفكار
جميع الفلاسفة والشعراء .
نور الشمس لايعى ما يفعل .
لذلك فهو لا يخطئ وهو عميم وكله خير .

هل للميتافيزيقا وجود ؟
أية ميتافيزيقا عند تلك الأشجار
فى أن تكون خضراء ووَارفة .
تُنبتُ أغصاناً وَتَهَبُ الثُّمار فى حينها .

أَوَكَمَّتْ ميتافيزيقا أفضل ممَّا لديها ؟
ألا تعرف لماذا تحيا وألا تعرف مالا تعرف ؟

« البنية الحميمة للأشياء ... »

« المعنى الحميم للكون ... »

بَاطِلٌ هذا كله وليس له معنى .
غير معقول أن يَتِمَّ التفكير على هذا النحو .
لأنه شَبِيه بالتفكير فى العِلَل والغايات
بينما الشمس مشرقة مع بداية الصباح
وعلى جوانب الأشجار تتوَعَّلُ الظلال
فى اللون الذهبى المتكاسلِ الصقيل .
التفكير فى المعنى الحميم للأشياء

معناه الزيادة فى المعنى الحميم للأشياء
كَأَنَّ نَحْمَلَ إِلَى النَّبْعِ كَوْبًا مِنْ مَاءٍ ،
المعنى الحميم الوحيد للأشياء
هو عدم امتلاكها لائى معنى حميم على الإطلاق .

لَا أُوْمِنُ بِاللَّهِ لِأَنَّنِى لَمْ أَرَهُ قَطُّ .
إِنْ كَانَ يَرْغِبُ فِى أَنْ أُوْمِنَ بِهِ ، فَسَيَأْتِى ، وَلَا شَكَّ ،
لِلتَّحَدُّثِ مَعِى ،
وإذ يجتاز الباب للدخول إلى
المنزل سيقول : ها آنذا .

(أحيانا يكون لهذا كله وَقَعٌ مُضْحَكٌ
فى آذان أولئك الذين ، بسبب جهلهم بمَاهِيَةِ النَّظَرِ
لا يفهمون من يتحدَّثُ عن الأشياءِ
بالطريقة التى تجعلنا نتعلم عندما نمعن فيها
النظر ..)

لكن إذا كان الله هو الأزهار والشجر
الجبال، الشمس والقمر

فَإِنَّا إِذْ نَافِلٌ مُّؤْمِنٌ بِهِ
مُؤْمِنٌ بِهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
وَكُلُّ حَيَاتِي قُدَّاسٌ وَصَلَاةٌ لَهُ
كُلُّهَا اتِّصَالٌ مَعَهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ .

لَكِنْ إِذَا كَانَ اللَّهُ هُوَ الشَّجَرُ وَالزَّهْرُ
الْجِبَالُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
فَلِمَاذَا أَدْعُوهُ اللَّهُ ؟
لِمَ لَا أَسْمِيهِ زَهْرًا ، أَشْجَارًا ، جِبَالًا
وَقَمَرًا وَشَمْسًا .

إِذَا كَانَ مَوْجُودًا كَيْ أَرَاهُ شَمْسًا وَقَمَرًا ،
أَزْهَارًا ، جِبَالًا ، أَشْجَارًا ،
وَإِذَا كَانَ قَدْ تَعَيَّنَ لِي كَذَلِكَ
فَلِأَنَّهُ أَرَادَنِي أَنْ أَتَعَرَّفَهُ بِاعْتِبَارِهِ
جِبَالًا ، شَجَرَةً ، قَمَرًا ، شَمْسًا وَزَهْرًا .
وَلِذَلِكَ ، فَإِنَّا خَاضِعٌ لَهُ .
مَاذَا أَعْرِفُ أَنَا عَنْ اللَّهِ ؟
« أَكْثَرُ مِمَّا يَعْرِفُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ ؟ »

خاضع له ، بعفوية ، أعيش حياتي
كمن يفتح عينيه لينظر بهما .
وأسميه القمر ، الشمس ، الأزهار والأشجار
والجبال .
وأحبه بدون أن أفكر فيه .
وأفكر فيه ببصري وسمعي ،
ومعه أمضى في كل الأوقات .

أمس مساء

كان أحد ساكنة المدن
يتحدثُ بباب الفندق
معى تحدثُ أيضاً

عن العدالة تحدثُ ، عن الكفاح من أجل العدالة
عن العمال الذين يكابدون ،
عن العمل المتواصل الشاق ، عمَّن يتضوُّرون
جوعاً ،
تحدثُ عن الأغنياء الذين يديرون ظهورهم
لهذا كله .

حينمَّا استندار نحوى ناظراً إلى الدموع فى عيني
تبسَّم ، ظاناً أننى أشعر بنفس مايشعر به من حقد

وبالشفقة نفسها التي يحسبُ أنه يشعر بها .

بالكاد كنتُ أصغى إليه !
ماذا يَغنيني أنا من أمر الناس
وما يعانونه أو ما يَخَالون أنهم مُعانونه ؟
لو كانوا مثلى لما عَانُوا من شيء .
كل كوارث الدنيا تأتي
من تعذيب بعضنا للبعض
بنيّة فعل الخير أو نيّة فعل الشر .

أنا حسبي نفسي
حسبي الأرض والسماء
أن أرغب فيما هو أكثر
معناه أن أفقد كل هذا المُتاح لى
معناه التعاسة الأكيدة .

فى الحقيقة ، كنت مستغرقاً فى التفكير ، بينما
ساكن المدينة يتحدث ، (وهو ما دفعنى

إلى التأثر حتى البكاء) ..
 فى أن صَوَّتَ أجراس القطعان النائي
 لا يشبه ، فى هذه العشية بالذات ،
 أجراس تلك الكنيسة التى تُصيحُ السَّمْعَ
 لِقُدَّاسِها الزهورُ والقطعانُ
 والأوراحُ الساذجة الشبيهة بروحى .
 لِأَحْمَدَ الله على أننى لست بالرجل الصالح
 لأنَّ أناىَ طبيعىَّةً ،
 هى أنا الزهور والأنهار التى تواصل سَيْرَها
 منشغلة ، بدون أن تدركى ،
 بالأزهار والجريان فحسب ،
 تلك هى وظيفة الوجود الوحيدة .
 الوجود المحض .
 ممارسة الوجود بدون تفكير فى الوجود .

سرُّ الأشياء

أين يُوجد هذا السرُّ ؟

لويظهر ، لنا نحن ، بالأقل ،

على أنه سرّ .

والنهر ؟ ماذا يعرفه النهر عن هذا ؟

ماذا تعرف الشجرة ؟

وأنا الذي لستُ خيراً منهما

ماذا أعرف ؟

حينما أنظر إلى الأشياء أضحك باستمرار

مفكراً فيما يفكر الناس بشأنها

أضحك بصوت النهر بآراداً

يسيلُ على الحصى .

المعنى السري الوحيد للأشياء
هو أنها خالية من أى معنى سري

« المعنى الخفى » هو أغرب من كل غريب
أغرب من أحلام الشعراء
ومن أفكار الفلاسفة
ذلك أن الأشياء فى الواقع
هى فحسب ما هى عليه
وهى لا تنطوى على أى موضوع للفهم .

بهذه الطريقة أو تلك

بمهارة أو بدون مهارة ، أكتب
قائلاً ، ما أفكر فيه أحياناً ،
بينَ بين أحياناً أخرى وبدناءة ،
أكتب ، لا إرادياً ، أشعاري
كما لو كانت الكتابة فعلاً مُكوّناً من حركات ،
كما لو كانت الكتابة فعلاً لصيقاً بى ،
كتَّعْرِضى لنور الشمس أثناء خروجى .
أسعى إلى ترجمة إحساسى
بدون تفكير فيما أحس ،
أسعى إلى إنجاب الكلمات عبر التفكير
بدون استخدام لتيّار التفكير فى الكلمات .
لا أتوصّلُ دائماً إلى الإحساس

بما عَلى أن أحسّه
هو ذا تفكيرى ، بعد تطواف طويل ،
ساجحاً يقطع النهر ،
مثقلاً بالثياب التى كَسَاهُ البشر بها .

أسعى إلى التجردِ ممّا تعلّمت ،
إلى نسيان نمط التذكُّر الذى علِّمُونيه ،
إلى محو الحبر الذى به دَهَنُوا أحاسيسى ،
إلى تحرير انفعالاتى الحقّة أسعى
إلى أن أتصفّى وأكون أنا - لا ألبرطوكاييرو ،
بل ذلك الحيوان الإنسانى ، نتاج الطبيعة .
هكذا أو اصل الكتابة ،
أريد الإحساس بالطبيعة
لأنّما أحس بها كإنسان
بل على نحو طبيعى خالص ، ليس غير .

هكذا أكتب ، بشكل جيّد أو ردىء ،
مصيباً فيما يسعى إليه قولى

أو مخطئاً ، أتعثرُ هنا . أنهضُ هناك ،
مواصلاً طريقي ، طريق أعمى عنيد .

حتى بهذه الطريقة أنا أحد ما :
أنا مكتشف الطبيعة
وأرغون الأحاسيس الصحيحة ،
أهْبُ الكون كوناً جديداً ،
لأنني أهْبُهُ كونه الطبيعي .
هذا ما أحسه وأكتبه
مُدركاً ، بوضوح ، وبدون حاجة إلى استخدام
النظر ،
أنها الخامسة صباحاً ،
وأنَّ الشمس لم تَرْفَعْ بَعْدَ هَامَتِهَا
فوق جدار الأفق ،
وإن كانت رؤوس أصابعها ، تظهر اللحظة ،
ممسكةً بحافة الجدار الأفقي المكتظ بالجيال
الخفيضة .

من أعلى نافذة فى منزلى

ألوّحُ بمنديل الوداع لأشعارى
وهى فى طريقها إلى الناس .

لست بالفرحان ولا بالحزين
هذا هو مصير الأشعار .
لقد كتبتها وعلى أن أعرضها للجميع .
لا تُوجدُ طريقة أخرى ،
فلا الوردة قادرةٌ على إخفاء لونها
ولا النهر مجراهُ
ولا الشجرة ثمارها .

لقد ابتعدت الآن أشعارى
مثل عربة كبيرة ،

وأنا بغير إرادة
منى أشعر بالحنن
كما لو أنَّ الجسد يؤلنى .
من سيقراً أشعارى ؟
صوب أية أيدٍ ستتجه ؟
زهرة أنا قطفونى من أجل مُتعة العين
شجرة نزعوا ثمارها للأفواه
نهر أنا وقدرُ مياهى أن تُفارقنى ،
مقهور ، ومع ذلك ، تقريبا ، مسرور
كَمَنْ أضجرتُهُ ديمومة حزنه .

لقد ذهبتُ
ذهبت تماماً ، هكذا ...
تذهب الشجرة ثم تبقى منثورة فى الأرض
تذوى الزهرة فيمكث سَحيقُها على الدوام
يوغل النهر فى البحر ومياهه دوماً هى نفس المياه
وأنا ذاهب وسوف أبقى ،
ذاهب ، مثلما الكون ، لأبقى .

أدخل ثم أغلق النافذة

يأتون بشمعة إلى قائلين : ليلة سعيدة .
صوتى مبتهج بهذه الليالى الرائقة .
ليت حياتى هكذا على الدوام :
النهار مشمسا كان أم ناعم المطر
أو حتى بإعصار نهاية العالم ،
المساء العذب والشرائط التى تتألى
متفحصةً عبر النافذة .
المنظرة الصديقة الأخيرة للشجرة الساكنة .
وبعد ... إغلاق النافذة ، فإيقاد الشمعة
لاقراءة ، لانوم ، لاتفكير فى شئ ،
وحده الإحساس
بسريان الحياة بداخلى مثل قاع نهر .
وفى الخارج سكون هائل شبيه بإله نائم .

تقول : أنت أكبر من حجر أو نبات

تقول إنك تحس وتفكر وتعرف
إنك تفكر وتحس .

إذن ، أفكتب الحجر قصائد ؟
ألدى النبات أفكار عن العالم ؟

أجل ، ثمّة فرق ،
لا الفرق الذى تحسب أنت :
امتلاكى لوعى ما ، لا يجبرنى على امتلاك
تصورات عن الأشياء :
بل يجبرنى فحسب على أن أكون واعياً .
أأنا أكبر من صخرة أو نبات ؟
لست أدري . أنا مختلف ، أجل ،

ولست أدري أفي هذا ما هو أعلى أو أدنى .
هل امتلاك الوعي أرفع من امتلاك اللون ؟
أحياناً ، نعم ، أحياناً ، لا .
أعرف فقط أن هذا مختلف ، مختلف وحسب ،
ما من أحد بقادرٍ على البرهنة
على ماهو أكثر .

أعلم أن الحجر واقعي
وأنّ النبات موجود ، وهذا لأنهما معاً موجودان
بالفعل
أعلم لأنّ حواسي تقول ذلك .

أعرف أيضاً أنني موجود .
أعرف ذلك لأنّ حواسي تقول لي
وإن كانت تقول ذلك بدرجة وضوح أقل
مِمّا عن الحجر والنبات .
هذا كل ما أعرف .
أجل ، أنا أكتب قصائد ، أمّا الحجر فلا ،

أنا أملك أفكاراً عن العالم لا يملكها النبات .
بيد أن الأحجار لسنَ بِشاعراتٍ :
الأحجار أحجار ،
والنباتات ليست عقولاً مفكرة
بل نباتاتٌ وحسب ،
فهل أقول بسبب هذا إننى أرفع منهنَّ مرتبة ؟
بإمكانى أن أقول العكس كذلك .
غير أننى لا أقول هذا ولا ذاك .
أقولُ عن الحجر : إنه حجر
وعن النبات : إنه نبات
وأقول عن نفسى : كائن ، لا أكثر .
هل يمكن أن يُقال ماهو أكثر ؟

كلّ يوم أكتشف واقع الأشياء المرعب:

كل شيء هو ماهو .
كم يبدو صعباً أن يُقال هذا :
كَمْ يَسُرُّنِي ، كَمْ يكفيني .
لاكون كاملاً
حسبي أن أوجد .

كُتِبَتْ قِصَائِدُ كَثِيرَةٍ

وَعَلَى بِالطَّبَعِ أَنْ أَكْتُبَ أُخْرَى
كُلُّ قِصِيدَةٍ لِي تَقُولُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ
كُلُّ قِصِيدَةٍ لِي هِيَ شَيْءٌ مُخْتَلَفٌ .
كُلُّ شَيْءٍ هُوَ طَرِيقَةٌ مُخْتَلِفَةٌ لِقَوْلِ نَفْسِ الشَّيْءِ .

أَحْيَانًا أَرَى حَجْرًا .
أَعْرِفُ أَنَّه لَا يُحْسُ
لَا أَغَالِطُ إِذْ أَدْعُوهُ أُخَى
وَأُحِبُّهُ لِأَنَّهُ حَجَرٌ ،
أُحِبُّهُ لِعَدَمِ إِحْسَاسِهِ ، لِعَدَمِ شَبَهِهِ بِي .

أحياناً أصغى لهبوب الريح

أحسُّ أنَّ لى قيمةً لأننى وُلدتُ
فقط لأصغى إلى هبوب الريح .
لا أعرف ما سيفكرُّ فيه الآخرون
عندما يقرؤون هذا .
أعتقد أنَّه ينبغي أن يكون جيِّداً
لأنَّ تفكيرى فيه يتمُّ بدون جهد ؛
أفكرُّ فيه بدون تفكير فى أنَّ آخرين
سوف يقرؤون تفكيرى ،
بدون أفكار أفكرُّه ،
مثلما تقوله كلماتى أقوله .

ذات مرة لقبوني بشاعر المادة

فوجئت تماماً : لم يسبق لى التفكير البتة
فى إمكان منحهم إياى هذا اللقب أوداك ،
لست حتى شاعراً ... ؛ أنظر فحسب .
إذا كان لما أكتب قيمة . فالقيمة ليست لى .
القيمة موجودة هناك ، فى أشعارى .
وهى كلها مستقلة مطلقاً عن إرادتى .

لوفجأة مت

بدون أن أتمكن من نشر أي كتاب ،
دون أن أرى المظهر الذي ستتخذه
أشعاري بحروف مطبوعة .
أتوسل إليها ألا تغتم ،
إن كانت ستتغتم بسبب هذا ،
لَوْ فَعَلْتُ ذلك ، فهو ما ينبغي أن تفعل .

حَتَّى لَوْ لَمْ يَطْبَعْ أشعاري أحد .
فسيكون لها حظها من الجمال ،
إن كانت جميلة .

لا بد أن تُنشر إن كانت جميلة ،
فالجذور تحت الأرض تحيا ،

لكن الأزهار مخلوقة للهواء الطلق ولكل الأنظار .

هكذا هي ، مامن أحد قادر

على جعلها غير ما هي .

لَوْ فِجَاءَةٌ مَتٌ ، فلتستمعوا إلى هذا :

ما كنتُ إلا طفلا كان يلهو

وَكُنْيَا كُنْتُ كَمَا الشَّمْسُ وَالْمَاءُ ،

على الدين الذي وحدهم البشر يجهلونه .

سعيداً غادرتُ لأنني لم أطلب شيئاً

ولا بحثتُ عن شيء ،

ولا عكّرتُ على شيءٍ عدّاً

أن لفظة تفسير لا تُفسّر شيئاً .

رغبتي كانت أن أمكث قبالة الشمس

أو تحت المطر .

قبالة الشمس حينما تشرق الشمس .

تحت المطر حينما تمطر السماء .

(ليس أبداً على غير هذا النحو)

أن أحسّ بحرارة وبردٍ وريح

والأَمْضَى إلى ما هو أبعد .

لو أرادوا كتابة سيرتى

بعد موتى فليس ثمة ما هو أسهل :

يوجد يومان - يوم ميلادى ويوم وفاتى -
كُلُّ ما بينهما مِنْ أَيَّامٍ لَا يَخُصُّ أحداً سوى .

من السهولة بمكان التعريف بى ،
لقد عشتُ عيشةً فانٍ ،
بلا عاطفية أحببتُ الأشياء
لَمْ تكن لى رغبات غير قابلة للتحقيق .
لم تَعَمْ بصيرتى .
والسمع لى كان رفيقاً للنظر .
أدركتُ أَنَّ الأشياء واقعية ومختلفة .

بالعين لا بالتفكير .
إدراكها بالفكر مَعْنَاهُ جعلها متماثلة .

ذَاتَ يَوْمٍ حَلَّ بِي النُّومُ كَأَيِّ مَخْلُوقٍ .
أَغْمَضْتُ عَيْنِي مُسْتَغْرِقًا فِي الْكَرَى .
عَدَا هَذَا كُنْتُ شَاعِرَ الطَّبِيعَةِ الْأَوْحَدِ .

ريكاردو ريس

Ricosdo Ries

وُلِدَ في أوپرطو في 19 نوفمبر 1887 . ويُجهل تاريخ وفاته درس في ثانوية يسوعية . ثم تفرغ فيما بعد لدراسة فقه اللغة الكلاسيكية مع متابعة دراسة الطب ؛ حيث تخرج منها دكتوراً ممارساً حسب البعض - عندما تعرّف عليه كاييرو وكامپوس كان طبيباً شاباً منكباً على الشعر ومهتماً بمسائل مُتصلة بنظرية الأدب .

معتقداته الملكية جرّت عليه مضايقات كثيرة اضطّر معها إلى اللجوء إلى المنفى الاختياري في البرازيل ، إبتداءً من 1919 قام بعدّة أسفار إلى البرتغال جدّد فيها الاتصال بصديقه القديم ألبارودي كامپوس ، مع احتفاظه بصداقة حميمة مع كاييرو معلمه في الأدب . لم يتعرّف على فرناندو پيسوا شخصياً .

يمثل ريس بالنسبة إلى پيسوا شاعر « التربية الذهنية » المدبّرة « بموسيقى شخصية » مع نوع من

« النقاء اللغوى المفرط » .

أما كامبوس فيرى أنَّ تركيباته الكلاسيكية تعكس
هَوسَ الشاعر من أجل البقاء دائماً فى أعلى مستويات
الشعر ، وأنَّ التعبير شعرياً من موقع « العلوِّ » ينتج
شعراً منغلِقاً فى « فضاء الذُّرى المختزل » . وفى موضع
آخر يعيب على ريبس كونه يرغم أحاسيسه على أن
تُدسَّ فى أبيات من ستَّة أو سبعة مقاطع . وإن كان يرى
فيه ، رغم هذا ، « شاعراً كبيراً - إن كان يوجد فى هذا
العالم شعراء خارج صمت قلوبهم » .

إنَّ القصيدة بالنسبة إليه « هى موسيقى نصنعها
بالأفكار ، أى بالكلمات تبعاً لذلك ، كلما كانت أكثر برودة
كانت أكثر صدقاً » .

يتكوَّن الأثر الشعرى للدكتور ريبس من 727
نشيداً أغلبها قصير . الأول مؤرَّخ فى يونيو 1914 وهو
مُهدى لمُعَلِّمه كاييرو .

أما الأخير ففى 23 نوفمبر 1935 ، أيام قلائل قبل
موت فرناندو پيسوا يقول فيه : (مازلت على قيد
الحياة / غير مكترث بأحد أنا منْ يجبر الجميع على
الصمت : أنا الذى يتكلم) .

أحب ورود حديقة أدونيس

أحب تلك الورود المتقلبة ، ورود ليديا .

فى اليوم نفسه الذى

تولد فيه تموت :

نور خالد نهارها ، به تتألق ، وفيه تحترق .

وقبل أن تخفقى عربة أبولو المجنحة

تموت .

لنجعل من ليديا حياتنا ، حياة يوم واحد .

لِنَتَّئَسَ أَنْ اللَّيْلَ

مَوْجُودٌ قَبْلَ وَبَعْدَ الْقَلِيلِ مِنْ

الزَّمَنِ الَّذِى نَدُّومُهُ .

أنا لا أغنى الليل

ففيه يتوقف غنائى .
الشمس أغنى .
لا أتجاهل ما أنساه
من أجل نسيانه أغنى .
لو كان بإمكانى خارج الحلم ،
إيقاف عدو الشمس ، لو أمكنى
أن أتعرف ذاتى
مجنوناً ، توأماً
للساعة الخالدة .

لَا التَّذَكُّرُ أَرِيدُ

وَلَا نَعْرِفَ ذَاتِي .
حَسْبِي أَنْ أَرَى مَا نَحْنُ إِيَّاهُ .
مَنْ أَجَلُ أَنْ نَعِيشَ
حَسْبُنَا أَنْ نَجْهَلَ أَنَّنَا نَعِيشُ
مَا نَحْيَاهُ مَعَنَا يَعْيشُ كُلُّ لَحْظَةٍ
وَإِذْ نَعِيشُهُ ، مَعَنَا يَمُوتُ :
حِينَما يَمُرُّ ، نَعْلَمُ
أَنَّنا الَّذِينَ نَمُضِي .
بِدُونِ قُدْرَةٍ ، مَعْرِفَتِنَا لِأَشْيَاءٍ .
الْحَيَاةُ الْأَفْضَلُ هِيَ
تِلْكَ الَّتِي تَمُرُّ بِدُونِ أَنْ تَقَاسَ .

آلهة تمرّ ، مخلصون إلهيون

تمرّ أحلامٌ مُخلّصة بدورها :
الأرض هامة قاسية .
لا آلهة أريد ، ولا مخلصين ،
ولا مثلاً باطلة بورودها : مالدئ
يكفى ، ماذا أريد أكثر ؟

أن تكون كبيراً هو أن تكون كاملاً :

لا تُبالغ ، لن تستطيع شيئاً .
كاملاً في كل شيء : هو كونك أيضاً ،
كبيراً ، فيما هو صغير .
هكذا القمر كُله ، في كل بحيرة ،
يَسْطَع : حياً في العلوّ .

لا أطلب من الآلهة

سوى أن يهبوني ألا أطلب منهم شيئاً .
عبودية هي السعادة .
نير هو الحظ :

مُضْطَّهْدٌ هُوَ كُلُّ يَقِينٍ .
لاساكن ولا متحرّك ، معلق في مَوْجَةِ الزمن ،
لتكن كينونتي متطابقة مع ذاتها .

ليديا : جاهلون . غرباء نحن

هناك حيث نطأ الأرض

ليديا : جاهلون . غرباء نحن

هناك حيث نموت .

الكل غريب ويتكلم لغة غريبة .

ضد الشتيمة والضجيج

نصنع من ذواتنا صومعة .

الحب . ما الذي يريده أكثر ؟

بيت قربان مقدس من أجلنا .

يحيا بلا ساعات

إذا ما قيس ثقلٌ
وهو يُقاس كُلاًّ فُكْر .

في جريانه الملتبس ، مثل النهر ،
موجأته هي ذاتُه . أنتَ
تَنظُر إليه وهو يَمُرُّ وأثناء
النظر يَصُمْتُ .

الأزهار التي أقطعها أو أبقيتها

لا أَغَيِّرُ مُصِيرَهَا .

واصله هي الطريق التي أتابعها ،
وَلَوْ لَمْ أَوْصِلْهَا .

لَسَنَّا بِشَيْءٍ ذِي وَزْنٍ ،
بَاطِلٌ مَا نَحْنُ إِيَّاهُ .

يستطيع القدر أن يمنع عني كل شيء

سوى أن أراه : رواقى بدون فظاظة .
حرفاً حرفاً ، سأتلذذ بالحكم
الذى حَفَره القدر .

لا أدري مِن جاءنى تَذَكُّر ماضٍ
آخَرَ كُنْتُ ، لا أكادُ أتعرفُ على ذاتى
عندما أَسْتشعر مع روحى تلك الروح الغريبة
التي أَتَذَكَّرُها ساعتئذ .

مِنْ يومٍ لآخر ، سوف نهجر أنفسنا
لاشئٍ مَوْكداً يربطنا بذواتنا
نحن هُمْ ، مَنْ نحن الآن ؟
ما كُنَّا هُوَ ما يُرى من الداخل .

رعية لامجدية من كواكب مهيمنة

مثلى مسافرة ، بلا حب أو رغبة ،
فى سجن أنأى أحيا ، حياتى ملكى
لأننى هى ... لكن مع ذلك ، أتحرر
من تفكيرى محدقاً فى النجوم ،
سيئات الأعالى ، المجبرات
على السطوع وعلى تركنا ننظر إليهن . شساعة
فارغة ، أبدية متصنعة
(موزونة بالأعين ا)
أينبغى أن توهب الحرية لمن لا يملكها ؟

تحت وصاية خفيفة

لآلهة لامبالين

أريد استهلاك الساعات الممنوحة ،
ساعاتي حتى وهي ساعات مقترضة .

إذا لم أكن قادراً على شيء
ضدَّ ما مَنَحُوهُ لى من كينونة
فليهبني القَدَرُ أنفثته على الأقل :
السلم مقابل هذا المصير .

لا أريد الحقيقة
الحياة فقط أريد .
الآلهة يَهْبُونَ الحياة ،

لا يهبون الحقائق
ولا يعرفون ماهى الحقيقة .

تَوَجُّونِي بِالْوَرْدِ

تَوَجُّونِي فَعَلًا بِالْوَرْدِ .

بِوَرْدٍ يَنْطَفِئُ

عَلَى جِبْهَةٍ سَرِيعَةِ الْإِنْطِفَاءِ :

حَسْبِي أَنْ

تَتَوَجَّونِي بِالْوَرْدِ

وَبِالْأَوْرَاقِ الْقَصِيرَةِ

حَسْبِي .

بسرعة يمرُّ كلُّ مايمُرُّ

أمام الألهة شابٌ يموت
كلُّ مايموت . قليل هو كل شيء !
لا شيء يُعرف ، كل شيء يُتخيل .
طوَّق بالورد ذاتك ، اعشق ، اشرب
واصمت . ماعدا ذلك لا شيء .

أنتم ، أيها المؤمنون بكل مسيح ومريم

يامن تعكرون مياه ينبوعى الصافية
من أجل أن تقولوا لى فقط
بأن هناك مياهاً أخرى .

مستحمًا فى المروج فى أحسن الأوقات
لماذا تحدثوننى عن مناطق أخرى ،
إذا كانت مياه ومروج الهنا
تروقنى ؟

الآلهة منتحتنا هذا الواقع .
ولكى يكون واقعاً أجود منحنأه خارجياً .

ماذا يمكن لأحلامى أن تكون
سوى صنعة للآلهة .

دَعُوا لى واقعية هذه الهنيهة
دَعُوا لى آلهتى الهادئين المباشرين
الذين يؤثرون الإقامة فى الوديان والمروج
على الأماكن الغامضة .
دعوا لى هذا المرور الوثنى بالحياة
مصحوباً بالقرطمانات الرقيقة
التي من خلالها تُقدّم أسالات الضفاف
اعترافها للإله پان .

فَلْتَحْيُوا داخل أحلامكم
وَلْتَدْعُوا لى المذبح الخالد حيث عبادتى
حيث الحضور المنظور
لآلهتى الأقرباء .

يأذوى التطلعات اللامجدية إلى ماهو أفضل من

الحياة ،

دَعُوا الحياة للمؤمنين الأكثرِ قَدَمًا

من المسيح وصلبيه

ومن مريم وبكائها .

سيرسة ، سيدة الحقول تُسَلِّينِي

وأبولو وفينوس ، وَحَتَّى أورانوس الشيخ هنا معي .

ألبارودي كامپوس

وُلد في طابيرا Tavira ، الميناء البحري لـ Algarve يوم 15 أكتوبر 1890 . لم يُعَيَّن يوم وفاته الذي لا ينبغي حتماً أن يكون سابقاً لشهر أكتوبر 1935 .

بين بيسوا وكامپوس ، انعقدت أو اصر علاقة صداقة متينة ، إذ كثيراً ما خاطب الأول الثاني بعبارات ودية غير مألوفة لديه مثل « ولدي » و « صديقي المسكين التعس » . إن كامپوس هو الپيسويُّ الأكثر پيسوية من بيسوا .

بعد إتمامه دراسته الثانوية انتقل كامپوس إلى إنجلترا لدراسة الهندسة البحرية ، ثم عمل سنوات عديدة ، من بعد ، في مؤسسة بناء السفن في نيوكاستل . في سنة 1934 عاد بصفة نهائية إلى لشبونة ليتفرغ للأدب بعدما تخلى عن مهنة الهندسة .

كان كامپوس خلافاً لأستأذه كاييرو وصديقه ريس ، ميّالاً إلى التأثر بالظواهر والتقليعات الأدبية

لعصره . مهتماً بوجه خاص بالقضايا التي أثارَتْها
الطليلة الأدبية (والتي لم يسايرها بدون شروط في أى
وقتٍ من الأوقات) .

كامپوس بالنسبة إلى ريبس « ناثِرٌ كبير ... مع علم
كبير بالإيقاع » « لأننى - يقول ريبس - لا أرى فرقاً
أساسياً بين الشعر والنثر » .

غير أن كامپوس - كبقية الأنداد - لم يحظ
بمقروئية واسعة في حياته بالرغم من الفضيحة التي
أثارها في عديد من أعداد مجلة أورفى . وطوال العقد
العشرين اكتفى بنشر بضع قصائد في مجلات أدبية
أبرزها « المعاصر » . وفي بدايات الثلاثينات لم يكن
معترفاً به كشاعر كبير سوى من طرف دائرة محدودة
جداً من مُتقفي مجلة « حضور » - غاسپار سيمويس ،
كسايس مونتيرو ، غييرمودى كاستيلو⁽¹⁾ ، وكذا من
قبل بعض الجماعات الأدبية الصغيرة في لشبونة
وأبرطو ، فضلاً عن كاتيين وناقدين فرنسيين هما بيبير
أوركاد وأرماند غيبير⁽²⁾ الذى سيسرع ، فيما بعد ، في
ترجمة أعماله إلى الفرنسية .

(1) Gaspar Simões, Regio, Casais Monteiro,
Guilhrmede Castilho .

(2) Pierre Hourcade, Armand Guilbert .

نشيد الظفر

على الضوء المؤلم لمصاييح المصنع الكهربائية
الضخمة أكتب محمومًا .

صَارًا بأسناني أكتب ، مغتاطًا مثل وحش أمام كل
هذا الجمال ،

أمام كل هذا الجمال الذي لم يعرفه القدماء بتاتًا .
أوه ، أيتها العجلات ، التروس ، أيُّها الـ /- /- /- /
الخالد التشنج الفظُّ المحبوس للآليات المهيجَّة !

المهيجَّة بداخلي وبخارجي ،
على امتداد أعصابي المحنَّطة ،
وكلمات كل ذلك الذي أحسه
شفتاي تَبَيَّستَا ، لفرط سَمَاعِكَ عن كُتْبِ ،
أيها الضجيج الحداثي الهائل .
رأسى يتأجَّج اشتعالاً من أجل غنائكُنَّ

بِغُلُوْ تَعْبِيْرٍ بِأَحَاسِيْسِ الْمَغَالِيَةِ كُلِّهَا
بِغُلُوْ كُنْ الْمَعَاصِرَ آيَتِهَا الْمَاكِينَاتِ .

محموماً ، أنظر إلى المحركات كمّا لو إلى طبيعة
استوائية - مدارات إنسانية هائلة من حديد ونار وقوة -
أغنى ، وأغنى الحاضر ، وكذلك الماضي والمستقبل ،
لأن الحاضر هو كل الماضي وهو كل المستقبل .
وهناك أفلاطون وفرجيل بداخل الماكينات والأضواء
الكهربائية فقط لأن الزمن القديم موجود هناك .
وفرجيل وأفلاطون كانا إنسانيّين ، وثمة قطع
من الإسكندر المقدوني من القرن الخمسينى ربما ،
ذرات قد تُصاب بالحمى ذات يوم فى دماغ
أسخيلوس القرن المئة
تسرى عبر أحزمة الاتصال اللاسلكى هذه ، وعبر
هذه الماكيس ، وعبر هذه المقاود
مزمجرة ، صارة ، مُفْرِئَةً ، مُخَرِّمَةً ، مدوية
مُحْدِثَةً فى مداعبة مفرطة فى الجسد
بمداعبة مصنوعة فى الروح .

آه ، لو أستطيع التعبير تماماً كما يُعبرُ محرك !
لو أكون مضبوطاً تماماً مثل آلة !
لو أستطيع المضيّ ظافراً عبر الحياة
كسيارة من آخر موديل !
لو أستطيع أن أتشرّبَ هذا كله فيزيقياً بالأقل ،
أن أتمزق كلية ، أن أنحل تماماً ، أن أصير مساماً
لكافّة عطور الكاربورات والحرارات وفُحوم
هذه الزهرة الفخمة ، السوداء ، الصناعية والشرهة .

متآخياً مع الديناميات كلها !
اهتياج مختلط جرّاء صيرورتى الجزء الوكيل
من الدوران الحديدى والكونى
للقطارات الباسلة ،
لنقل البضائع فى السفن ،
لدوران الروافع البطيء والشُّبْق ،
للضّجة المؤدّبة للمصانع
ولما يَكَادُ يَكُونُ سكوناً هامساً ورتيباً لأحزمة
الاتصال الأسلكى .
ساعات أوربية منتجة مضغوطة

بين الماكينات والاندفاعات النافعة !
مُدُن كبرى راسية بحذاء المقاهى * ،
فى المقاهى - واحات اللامجدى الصاحب
حيث يتبَلَّر ويترسب
ضجيج النافع وإشارات ،
والعجلات ، والعجلات المسنَّنة ، وحوامل التقدم !
منيرفا جديدة لاروح لها من أرصفة ومحطات !
حماسات جديدة بحجم اللحظة !
رافدات من صفيح حديد بِاسم ترقد فى المرافى ،
أو تُرفع ، فجأة ، على الأسطح المائلة للموانئ !
حركة دولية ، عابرة للمحيطات ،
! Canadian-pacific
أنوار وحمى ضائعة من زمن فى الحانات ، والفنادق ،
فى الـ Long Champs وفى الـ Ascots وفى الـ
، Derbies
وتتوغل فى شوارع الأوبرا والبيكاديللى بمثابة
روح فى الداخل !

* يقصد السفن الضخمة الرأسية .

هي - لا الشوارع ، هي - لا الساحات ، هي - لا -
هو الجنون !

كل ما يمرُّ وما يتوقَّف أمام الواجهات !
تجار ، مُشرَّدون ، مختنَّون ، متأنِّقون بإفراط في
لباسهم ،

أعضاء معروفون في نِوادٍ أرسنقراطية ،
هيات ضامرة مريية ، أربابُ أسر سعادة على نحو
مبهم ،

وأبويون حتى من خلال السلسلة الذهبية
التي تعبر صدريتهم من جيب إلى جيب !
كل ما يمرُّ ، كلُّ ما يمرُّ ، وليس أبداً يمر !
حضور القوادات المبرِّز زيادة على اللزوم ؛
التفاهة المسلية (من يعلم ماذا يوجد في الداخل ؟)
للبورجوازيتين الصغيرتين ، الأم وابنتها ،
وهما تسيران في الشارع بدون هدف ثابت ؛
التغخُّج الأنثوى الزائف للواطيين الذين يمرُّون ،
متناقلين ؛

وكل أولئك البشر الأنيقين
الذين يتجولون مستعرضين ذواتهم

والذين يملكون روحاً فى الداخل !

(أوه ، لكم أُرغب فى أن أكون قوَّاداً لهذا كله !)

الجمال المدهش للفساد السياسى ، فضائح مالية
ودبلوماسية لذيذة ،

عنف فى الشوارع .

ومن حين إلى آخر العوبة قتل الملك

غامرة السماوات الروتينية واللامعة

للحضارة اليومية بأنوار المعجزة والصَّلف !

أخبارٌ صحف مُفَنَّدَةٌ ،

مقالات سياسية صريحة فى عدم صراحتها ،

أخبار Possez-à- La Caisse ، جرائم كبرى

- فى عمودين ثم انتقل إلى الصفحة الثانية ! -

الرائحة الطرية لمداد المطبعة !

لافتات ألصقت للتو ، مبلَّلة ماتزال !

صفراء تظهر للعيان ، بحزام أبيض !

كم أحبكنُ جميعاً ، جميعاً

كم أحبكنُ جميعاً بكل الوسائل
 بالنظر والسمع والشم ،
 وباللمس (وهو مايعنى لدى ، لمسهنُ مباشرة !) ،
 وبالذكاء الشبيه بهوائى تَجَعْلَنَّهُ يَهْتَرُ
 أوه ، لَكُمُ تنهيجُ حَوَاسِ كُلِّها من أجلكُنَّ !
 سمادات ، دَرُاجات بخارية ، تقدُّمُ فى الفلاحة !
 كيمياء زراعية ، والتجارة تكاد تصير علماً !
 أوه فرسان الصناعة الجوالين ،
 التمديدات الإنسانية للمصانع والإدارات المتثاقلة !

أوه للثياب فى واجهات المتاجر ، أوه للمانيكيات !
 لآخر صرعات الأزياء !
 لمواد لانفع فيها يرغب فى شرائها الجميع !
 مرعى ، بمخازن هائلة ذات شُعَبَ متعددة !
 مرعى ، بإعلانات كهربائية تظهر طارفة ثم تختفى !
 مرعى بكل ما يُصنع اليوم ، وبكل ما هو اليوم
 نختلف عن الأمس !

إيه ، أيُّها الإسمنت المسلح ، البلاط ، الطرائق
الجديدة !

التقدم المجيد في أسلحة الدمار !
المدرّعات ، الغوّاصات ، المدافع ، المدافع الرشّاشة ،
الطائرات !

أحبُّكنَّ كلَّكنَّ حُبَّ حيوان مفترس .
أحبُّكنَّ حُبَّ أكلة اللحوم ،
مضلاً ونظري مشدوداً إليكنَّ
أوه أيُّتها الأشياء الكبيرة ، المبتذلة ، النافعة ،
اللامجدية ،

يا أشياء جديدة بالكامل ،
يامعاصراتي الحميمات ، أيُّها الشكل الراهن
والقريب لنظام الكون المباشر .
يالها من ثورة إلهية جديدة من دينامية ومعدن !

أوه للمصانع ، المختبرات ، أوه لك Musaïc-Lallr ،
أوه لك Luna-Park

للمدرّعات ، أوه للجسور ، أوه للسدود العائمة

- فى ذهنى المضطرب المتوهج أضاجعكن
كمن يضاجع امرأة جميلة ،
أضاجعكن بالكامل ، مضاجعة امرأة جميلة من غير
حب ،

امرأة نلتقيها مصادفة فتبدو لنا شديدة الإثارة .
Eh - Lá - há واجهات المتاجر الكبرى !
Eh - Lá - há مصاعد كبريات العمارات !
Eh - Lá - há تغييرات حكومية !
برلمان ، سياسات ، مقررؤ ميزانيات ،
ميزانيات مزورة !
(ما من ميزانية إلا وهى طبيعية تماماً مثل شجرة
وما من برلمان إلا وهو جميل كفراشة)

Eh - Lá الاهتمام بكل شئ فى الحياة ،
لأن الحياة هى الكل ، من لمعان الواجهات
إلى الليل ، الجسر الخفى بين النجوم
والبحر القديم والمهيب الذى يغسل الشطآن
والذى هو نفسه ، يالشفقة ، منذ كان أفلاطون
واقعيأ هو أفلاطون

بحضوره الملموس حاملاً جسداً وروحاً فى داخله
وهو يُحدث أرسطو الذى ماكان ينبغى أن يكون
تلميذه !

قادر أنا على أن أموت مطحوناً على يد محرك
شاعراً بالاستسلام اللذيذ لامرأة تُصَاجَعُ .
فلتقذفوا بى إلى الأفران العالية !
اطرحونى أسفل القطارات !
اجلدونى بحذاء السفن !
هى ذى المازوخية من خلال الماكينوية !
سادية الحداثى المجهول ، سادية الأنا والضجيج !

Up - Lá - hó jockey Ganacdar de Derlaer

من ذا الذى يستطيع قضم ذى اللونين

(طويل القامة أريد أن أكون حَداً عدم استطاعتى
اجتياز أى باب !

آه ، النظر عندى عبارة عن شذوذ جنسى !

أيتها الكاتدرائيات ، Eh-Lá eh - Lá, eh - Lá,
دَعَنْتِي أَهَشِّمْ رَأْسِي عَلَى زَوَايَا كُنْ ، ثُمَّ فَلْيَتَعَدَّرْ
على الجميع التعرفُ علىَّ عِنْدَمَا أُسْحَبُ مِنَ الشَّارِعِ
وَأَنَا أَنْزَفُ دَمًا !

أوه ، أيتها الترامواويات ، القَطْرُ الجبليّة ، المتروايات ،
ادعكُنِّي جيّدًا حتّى التشنُّج !

Hillai ! hilla !hilla - hô !

اضحكن مقهقهات ملء وجهي ،
أوه ، أيتها السيارات المكتنّزة بالداعرين والقحاب ،
أيتها الحشود اليومية ، فى الشوارع ، لا هى
بالفرحة ولا بالحزينة ،
أيها النهر المتعدّد الألوان حيث بإمكانى الاستحمام
كيف أشاء !
آه ، كم من حيوات معقّدة ، كم من أشياء ، هنالك فى
منازل ذلك كله !
آه ، أن أعرف حياة الجميع ، الصّعوبات المالية ،

الدعاوى المنزلية ، الفوضى ، العوائد الداعرة التي
لا يمكن حتى الارتياح فيها ،

الافكار التي تراود آياً كان منفرداً فى غرفته ،
والحركات التي يأتياها حين لا يستطيع أحد رؤيته !
ألا يُعرف شئ من هذا يعنى أن يُجهل بالكامل ،
أوه ، أيها السعار ، الذى ، كما لو كان حمى
واحتياجاً وسغباً

يستنفد وجهى ويُرجف تارة يديّ
بتشنجاتٍ لَمَعْقُولَةٍ وسط
غَوْغَاءِ هذه الشوارع المكتظة بالتدافعات !

آه ، ثم أولئك العوامُّ القذرون الذين يظهرون
دائماً مثلكم هم ، ويتلفظون
بالبداءاتِ كالفاظ مألوفة ،
بينما أبنائهم على أبواب المتاجر يتعلمون السرقة ،
وبنائتهم فى سنِّ الثامنة - كل هذا جميل لدى
ومحبوب !-

يَسْتَدْرِجُن رجالاً ذوى مظهر محتشم
إلى الاستمناء فى فجوات سلّم العمارة !

أولئك الغوغاء الذين يجتازون السقالات
عائدين إلى بيوتهم عبر أزقة تكاد تبدو غير حقيقية
لضيقها ونتاجتها !

بشر عجيب مثل الكلاب يعيش ،
تحت حضيض كل النظم الأخلاقية ،
مِمَّا لم تُخلَقْ من أجله أيُّ ديانة ،
ولا أيُّ فنٍّ ،
ولا أيُّ سياسة !
لَكُمْ أَحَبُّكُمْ كُلُّكُمْ لِأَنْتُمْ هكذا ،
لا بدَعْرَةٍ أَنْتُمْ عَلَى ضَعْفِكُمْ ،
ولا بأخيار ولا أشرار ،
مُحصِّنِينَ فِي وَجْهٍ كُلِّ أَشْكَالِ التَّقَدُّمِ ،
فَوْضَى عَجِيبَةٍ فَوْضَى عَمَقِ بَحْرِ الْحَيَاةِ !
(فِي نَاعُورَةِ رَوْضِ مَنْزَلِي يَطُوفُ الْحَمَامُ ،
وَيَطُوفُ ،

سِرُّ الْعَالَمِ يَعَادِلُ هَذَا الْفَعْلُ .
امْسَحِ الْعَرَقَ بِكُمُوكَ ، أَيُّهَا الشُّغِيلُ الْمُتَبَرِّمُ ،

نور الشمس يخنق سكون الأفلاك

جميعاً علينا أن نموت ،

أوه ، غابات الصنوبر المعتمدة في الغسق

حيث طفولتي شيئاً آخر كانت

غير من أنا الآن ...)

لكن ، آه مرةً أخرى هذا الغيظ الميكانيكى الثابت !

مرة أخرى ، الوسواس المتسلط لحركة
الأوتوبيسات .

ومرةً أخرى هياج الانوجاد سائراً فى آن واحد ،

فى قطارات الجهات كلها فى العالم كله ،

الانوجاد ملوحاً بالوداع على جانب السفن كافة .

وهى اللحظة ، بصدد رفع المرساة أو مغادرة
الأرصفة .

أوه للحديد ، للفولاذ ، الألمونيوم ، صفائح المعدن
الملوّى !

أوه للأرصفة ، الموانئ ، القُطر ، الرافعات ، الجرّارات !

Eh - Là كوارث سككية كبرى !

Eh - Là كوارث انهيارات فى ممرات المناجم !

Lá - Bh حوادث غرق سفن المحيطات الممتعة !

Lá - Bh ثورات هنا ، هناك وهناك !

تغيرات فى الدساتير ، حروب ، معاهدات ،
اجتياحات ،

ضوضاء . مظالم ، اعتداءات ، وربما بعد قليل تأتى
النهاية ،

اجتياح البرابرة الصفر لأوروبا ،

وشمس أخرى فى الأفق الجديد !

لكنْ

فيم يهم هذا كله ؟ فيم يفيد هذا كُلُّه

بريق الصُّخب المعاصر المحمر السَّاطِع ، بريق
حضارة اليوم ؟

هذا كُلُّه يمحو الكُلَّ ماعدا هذه اللُّحظة ،

لحظة الجذع العارى والساخن مثل وَقَاد بخارى ،

اللحظة الصَّارَّة ، الصاخبة ، الميكانيكية ،

اللحظة الديناميكية التى هى مُرور كل سِكِّيراتِ

الحديد والبرونز وسُكْرِ المعادن كافة .

Ea ، القطارات ، Ea ، الجسور ، Ea ، الفنادق ساعة

الاكل

Ea ، أجهزة مِنْ أنواع شتى ، حديدية ، خشنة ،
صغيرة ،

آلات ضابطة ، طواحين ، حَقَّارات ،
مكابس ، خَرَّاطات ، مطابع رحوية .

Ea ! Ea ! Ea !

Ea كهرباء ، عَصَبٌ مَرِيضٌ بالمادة !

Ea تلغرافيا لاسلكية ، لطافة اللاشعوري المعدنية !

Ea انفاق ، قنوات ، پنما ، كييل ، سويث !

Ea الماضى كله فى قلب الحاضر !

Ea المستقبل كله داخل أنفسنا ، Ea

Ea ! Ea ! Ea

ثمار حديد ومنافع الشجرة - المصنع الكونى !

Ea ! Ea ! Ea ! Ea - hâ - hâ - ô !

لأ وجود لى حتى من الداخل . أَلْفُ ، أتدحرجُ وأَعْدُو
آلَةُ .

أُشدُّ إلى جميع القطارات ،

أُرْفَعُ فَوْقَ كافة الارصفة ،

أدور فى مراوح جميع السفن

Ea ! Ea ! hâ ! Êâ !

Ea أنا الحرارة المعدنية وأنا الكهرباء !
Ea ، وقضبان السكة أنا وغرف الآلات ، وأوربا
بأسرها !

Ea براقو من أجلى ومن أجل الكل ، من أجل !
الماكينات المشتغلة ، ea

أن أثب مع الكل فوق الكل ! Hup - Lá

Hup - Lá , hup - Lá , hup - Lá, hup Lá !

há - Lá; há - há ! Nô - ô - ô - ô !

z - z - z - z - z - z - z - z - z !

آه ألا أكون الناس جميعاً ولا الجهات كُلُّها

لندن .

مقطعات من الأناشيد

(تتمة نشيدين ...)

I

.....

تعال ، أيها الليل الموغل فى القدم
أيها الملك المولود مخلوعاً عن العرش ،
أيها الليل المساوى للسكينة من الداخل ، ليل
النجوم الخرزية القصيرة
فوق حواشى ثياب اللانهاى .

غامضاً تعال ،

خفيفاً ،

تعال وحيداً ومهيباً ، بين يدين مسبلتين
على الجانبين ، تعال

وأحمل معك الجبال البعيدة عند أقدام الأشجار
القريبة ،

نوب في حقلك أنت كل ما أشاهد من حقول ،
اجعل من الجبل كتلة وحيدة لجسدك ،
أمح كل الفوارق التي أتأملها من بعيد ،
كل الشُعاب المُصعِّدة إليها ،
كل الأشجار المتنوعة التي تجعلها من بعيد تبدو
خضراء مُعتمدة ،

كافة الدور المتصاعد دُخَانُهَا بين الأشجار ،
ولتُبقي على نور واحد فقط ثم على نور آخر
ونور آخر

ما يزال في المسافة المبهمة المعكَّرة ،
المسافة التي فجأةً يتعذَّر عليَّ عبورها .

ياسيدة * الأشياء المستحيلة
التي سدَّيَّ نبحت عنها ،

* اضطرتُّ ، إبراز لإحياءات الخطاب الأمومية والدينية ، تحويل
صيغة الليل المذكورة في العربية إلى صيغة المؤنث ، في بعض السياقات ،
للتلاؤم مع التانيث الأصلي في لفظة ليل الإسبانية البرتغالية .

والأحلام التى تأتينا مع نُزول المساء عبر النافذة ،
والأهداف التى تداعبنا
فى كُبريات سطيحات أحد فنادق الكون ،
على إيقاع الموسيقى الأوربية والأصوات القرية
والنائية
التي تؤلنا معرفتنا جيّداً بأنها لن تكون واقعية
أبدأ ...

تعالى وهدّهدينا
تعالى وداعبينا ،
قبّلينا وبصمت فى الجبهة
بخفة قبّلينا فى الجبهة حيث لم نُدّق التقبيل
اللهم إلّا من تزييف معين للروح
ومن نشيج غامض نابع بعذوبة
من أقدم ما فينا ،
هنالك حيث جذر كل تلك الأشجار العجيبة
التي ثمارها هى الأحلام التى نداعبها ونحبها
خارج أية علاقة مع كل ما فى الحياة .
تعال أيها الليل أنت

السيدة الفاتكة الجلال
السيدة المهية والكاملة
من إرادة نشيج خفيّة ربّما
لأنّ الروح أكبر والحياة أضال
وليس الجسد مَصْدَرَ حركاتنا
وما ندركه لا يتجاوز مبلغ ذراعنا
مانراه لا يتخطى ماتدركه أبصارنا .
تعالى ، أيتها الأم المتألّمة
الأمُّ العذراء حاملة هواجس الله ،
يا برج الحزانى المهانين العاجيُّ ،
أيتها اليد الباردة على جبهة الوضيع المحمومة ،
يامذاق الماء على شفة المهدود اليايسة ،
تعال من عمق
الأفق الغامق ،
تعال واقتلّعنى
من حَضِيضِ اللاجدوى والقلق هذا حيث اخضرارى .
اسْحَبْنِي من حَضِيضِي مثل أقحوانة منسيّة ،
ثم ورقة إثر ورقة اقرأ
أى مَصِيرٍ ينتظرنى ،

ولتضعنى بجانبك منزوع الأوراق
 بجانب رضاك المفعم سكوناً وبرودة .
 ولتُرم بورقة من أوراقى إلى الشمال ،
 حيث مُدُن اليوم التى طالما عشقتُها فيك ،
 وأرُم أخرى نحو الجنوب ،
 حيث البحار المفتوحة للملاحين
 ثم أطلق واحدة أخرى باتجاه الغرب
 حيث يتهيا فى عنفوانه ذلك المستقبل
 الذى أعْبُدُه على جهلى به ،
 ولتقذف إلى الشرق بالورقة الأخرى ،
 ببقية الورقات ، وبما تبقى منى إلى الشرق
 الذى منه يأتى كُلُّ شئٍ ، نهاراً كان أم إيماناً ،
 الشرقُ الأبهى ، المتعصّب ، الساخن ،
 الشرقُ المغالى الذى لن أراه أبداً ،
 الشرقُ البَراهمانى ، البوذى ، السانتستى ،
 شرقُ كُلِّ ماليس لنا ،
 شرق كل ذلك الذى لسنا إِيَّاه ،
 وحيث - المسيح - من يدرى ؟ - حياً ما يزال ربما ،

وحيث الله موجود ربما بالفعل ويهيمن على كل
شئ ...

تعال عبر البحار ،
عبر البحار العليا ،
معب البحار غير المحددة الآفاق ،
تعال ومرر على ظهر التنين يدك
وحُفِيَّة هَدْنُهُ ،
أيها المروض المنوم كل متهيج شديد .
تعال أيها الحَاجِبُ
أيها الأمومي ،
خطوة خطوة أيتها الممرضة الموعلة في القدم
يامن كنتِ جالسَةً جنب وسادة آلهة
العقائد الغابرة ،
وشاهدت ولادة جيوبا وجوبيتر
باسمَةً ، لأن كل شئ زائف لديك وقبض ريح .
تعال أيها الليل الساكن المنخطف

كى تُحِيلِ قلبي معطفاً أبيض ،
فى الليل .
صافياً كنسيم عشية خفيفة
هادئاً مثل مداعبة أمومية ،
بنجوم لأمعة فى يديك
وبقناع قمر سرى يسرى على وجهك
كل الأصوات بطريقة أخرى تَرِنُ
عندما تحل أنت .
والكل يخفض الصوت عندما تجئ
ولا أحد يراك داخلاً .
لا أحد يعلم بأنك حَلَلْتَ .
والأشياء كلها تفقد الأضواء والألوان
وفى السماء الشاهقة التى زرقاء ماتزال ،
صافية كانت ، دائرة بيضاء أم محض نور يصلنا
يبدأ
القمر فى التكون فعليا .

II

آه للشفق ، لهبوط الليل ، لإشعال الأضواء فى
المدن الكبرى

وليد السرّ تخنق الضجيج ،
وذلك الإجهاد الشامل الذى يُفسد فينا
إحساسنا الدقيق والنشيط بالحياة .
وكل شارع قنّاة من قنوات البندقية مدينة الضجر .
وكم هو غامض ذلك العمق الذى يوحد الشوارع ،
لدى نزول الليل ،

أوه يا ثيساريو بيردى * ، أوه أيها المعلم ،
أوه يا إحساس الرجل الغربى ** !
ياله من قلق عميق ، ياله من رغبة فى أشياء أخرى
غير البلدان وغير الأزمنة أو الحيوان ،
ياله من رغبة أحياناً فى أنماط مغايرة لأوضاع
الروح

* شاعر برتغالى عاش فى النصف الثانى من القرن 19 .
** « إحساس رجل من الغرب » . عنوان قصيدة لنفس الشاعر
تعكس الروح البرتغالية بكل ثقلها التاريخى إزاء حداثة الغرب

أَلَا فَلَئُبَلٌ مِنَ الدَّاحِلِ أَيُّهَا اللَّيْلُ هَذِهِ اللَّحْظَةُ
البطيئة والسحيقة !

الرَّعْبُ الْمُسَرَّنُ بَيْنَ الْأَضْوَاءِ الْمَشْطَلَةِ ،
الرَّعْبُ السَّائِلُ الرِّخْوِ الْمُسْتَنَدِ إِلَى الزَّوَايَا
كَمَتَسُولٍ أَحَاسِيْسٍ مُسْتَحِيلَةٍ
لَا يَعْرِفُ حَتَّى مِنْ يَسْتَطِيعُ مَنَحَهُ إِيَّاهَا ...

عندما سَأَمُوتُ أَنَا ،
عندما سَأَمْضِي بِحَقَارَةٍ مِثْلَ الْجَمِيعِ ،
عَبَّرَ ذَلِكَ الطَّرِيقَ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ نَوَاجِهَ فَكَّرَتْنَا عَنْهُ
مِباشِرَةً ،

عَبَّرَ ذَلِكَ الْبَابَ الَّذِي لَا أَحَدٌ يَطْلُ مِنْهُ حَتَّى
لَوْ تيسَّرَ الْإِطْلَالُ ،
عَبَّرَ ذَلِكَ الْمِينَاءَ الَّذِي رُبَّانُ السَّفِينَةِ يَجْهَلُهُ ،
لَيْكُنْ ذَلِكَ الْآنَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْجَدِيرَةِ بِمَا لَدَيْ
مِنْ أَنْوَاعِ الضَّجَرِ
فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الصُّوفِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ الْقَدِيمَةِ

فى هذه الساعة ربما قبل زمن أبعد مما يبدو
فى الأحلام رأى أفلاطون فكرة الله
ناحتاً جسداً ووجوداً متلائمين بصفاء تام
داخل فكره المجلى مثل حقل .

لتكن هذه الساعة مناسبة حملى إلى الدفن ،
هذه الساعة التى لا أعرف كيف أعيش فيها
ولا أية مشاعر ينبغى أن تكون لدى أو حتى أن
أظهر بأنّها لدى ،
فى هذه الساعة التى رافتها معذبة ومفرطة ،
وظلالها قادمة من أشياء ليست من الأشياء فى
شئ ،
ومُرورها لا يحاذى بثيابه أرضية الحياة
الحساسة
ولا يخلف أى عطر فى مسالك النظر .

ضع على الركبة يديك بهيأة صليب ، أوه أيها
الرفيق
الذى ليس لى حتى إمكانية امتلاكه ،

ضع على الركبة يديك وحدِّق فيَّ صامتاً
في هذه الساعة ، حيث لا أستطيع أن أرى أنَّك
تراني ،
انظر إليَّ في سكون ، ولتسألني خفية ،
- أنت الذي تعرفني - مَنْ أكون

على مقود الشيفروليت

عبر طريق سينترا

على ضوء القمر وضوء الحلم عبر الطريق
الصحراوي ،

وحيداً أسوق ، ببُطء تقريباً أسوق ، وشيئاً فشيئاً

يبدولى ، أو أننى أحاول كى يبدولى ، بأننى

أسير عبر طريق آخر ، عبر حلم آخر ،

عبر عالم آخر ،

وبأننى أتابع السير بدون أن أخلف لشبونة ورائى ،

وبدون أن يكون على الوصول إلى سينترا التى

أمامى ،

وعلى أن أتابع .

وماذا أفعل بالذات سوى أن أتابع المسير

بالأأتوقف وأن أتابع وأتابع ؟

سوف أمضى الليلة فى سينترا

لأننى لا أستطيع تمضيتهـا فى لشبونة
لكن بمجرد وصولى إلى سينترا
سوف أشعر بالحزن لأننى لم أمكث فى لشبونة .

دائماً هذا القلق الذى بلاغاية ، ولانتيجة
هذا القلق المتقطع ، دائماً ، دائماً ، دائماً .
قنطُ الروح هذا المَجَاوِزُ كُلُّ حَدٍّ ، من أجل لاشئ ،
فى طريق سينترا ، فى طريق الحلم أو فى
طريق الحياة ...

مُنْقَاداً للحركات اللاشعورية التى بها أدير المقود ،
من تحتى ومعى تقفز تلك السيارة التى
أعارُونى إياها .

أثناء لَفَى نحو اليمين أبتسم للعلامة وأنا أفكر
فى عَدَدٍ

الأشياء المُعَارَة التى بها أمضى مطوّفاً عبر العالم !
كَمْ من أشياء مُعَارَة أسوقها كما لو كانت ملكى
الخاص !

ياوَيْحى ، ما أَعَارُونيه ، ليس سوى أناي بالذات .

على اليسار يوجد كوخ ، أجل ، كوخ على
حافة الطريق .

وعلى اليمين الحقل المنتشر ، والقمر مطلا من بعيد .
السيارة التي بدأ منذ قليل أنها تمنحني الحرية
هي ما أنا الآن فيه محبوس ،
ولست بقادر على سياقتها إلا هكذا .
لا أقدر على التحكم فيها إلا إذا كنتُ
أحتويها وكانت تحتويني .

إلى الخلف ، على اليسار الآن ، يوجد الكوخ
الوضيع ،

الكوخ الاحطُ من وضيع ،
هنالك ينبغي أن تكون الحياة سعيدة :
فقط لأنها ليست حياتي .
لو رأني أحد من النافذة لقال :
سعيد هو ذلك الرجل .
بالنسبة إلى الطفل الذي ينظر
من خلف زجاج النافذة العلوية (بالسيارة التي

أُعْرِثَهَا (رُبَّمَا بَدَوْتُ شَبِيهَا بِحُلْمٍ ، شَبِيهَا بِجَنِيَّةٍ
واقعية .

بالنسبة إلى الفتاة التى أطلت ،
عند سماعها صوت المحرك ، من نافذة المطبخ ،
من الطابق الأرضى ، رُبَّمَا كُنْتُ مِثْلَ ذَلِكَ الْأَمِيرِ
الذى يحتلُّ كُلَّ قلب الفتاة التى ظلت خفيةً من خَلَلِ
الأحمر المصق بالزجاج ، تُتَابِعُنِي حَتَّى الْمُنْعَرَجِ
الذى اختفيت فيه .

أَحْلَاماً أَخْلَفَ مِنْ وَرَائِي ؟ أَمْ هِيَ السَّيَّارَةُ
التي تخلف من ورائها الأحلام ؟
أَنَا سَائِقُ السَّيَّارَةِ ؟ أَمْ أَنَا السَّيَّارَةُ الْمُعَارَةَ الَّتِي
أَسُوقُ ؟

فِي طَرِيقِ سِينْتَرَا ، عَلَى ضَوْءِ الْبَدْرِ النَّاصِعِ ،
مَغْمُوراً بِالْحُزْنِ أَمَامَ اللَّيْلِ وَالْحَقُولِ ،
وَأَنَا أَسُوقُ الشَّيْفِرُولِيَّتِ الْمُعَارَةَ ،
فِي طَرِيقِ الْمُسْتَقْبَلِ أَضْيَعُ ، أَغْرَقَ فِيهَا
أُدْرِكُهُ مِنْ مَسَافَةٍ ،
وَبِرَغْبَةٍ رَهِيْبَةٍ ، فَجَائِيَّةٍ ، عَنِيفَةٍ ، لَا مُعْقُولَةَ

أضعاف سرعتي
لكن قلبي ظل هناك ، فى كومة الأحجار
التي انحرفت عنها ناظراً إليها بدون أن أراها ،
منبوذاً جنب الكوخ
قلبي الفارغ
قلبي التعيس
قلبي الأكثر إنسانية منى ، والأكثر كمالاً من الحياة.
على طريق سينترا ، فى حافة منتصف الليل ،
على ضوء البدر ، على المقود
على طريق سينترا ، يالتعب الخيلة
على طريق سينترا ، أكثر فأكثر دُنوّاً من سينترا
على طريق سينترا ، أقل فأقل دُنوّاً من نفسى .

رسم تخطيطي

مثل كوب فارغ تحطمت روحى
هاوية من أعلى السلم حتى الحضيض .
من يدئ خادم لامبالية هوت ،
متناثرة إلى شظايا أكثر بكثير
مما يحويه الكوب ذاته من شظايا .

أو غير معقول هذا ؟ أمستحيل ؟ ذلك ما حدث
بالفعل .

أمتلك من الأحاسيس مايفوق
جميع تلك التى امتلكتها عندما أحسستُ
بأننى هو أنا .
كومة أشياء أنا مُشتتة فوق بساط سينفُض
سقوطي أحدث ضجة كُوب يتحطم .

الآلهة المتكئون على درابزين السُّلم
ظَلُّوا ينظرون بثبات إلى الحطام
الذى حوَّلتنى خَادِمُهُمْ إليه .
خادمهم التى لم تُثِرِ البتة غضبهم
فهم متسامحون .

كوب فارغ إذن ، أليس هو ماكنَّته ؟
إنهم ينظرون إلى الحطام واعين ، على نحو عبثى ،
بأنفسهم ذاتها ، لا بكونهم واعين .

ينظرون ويبسمون
يبسمون ، متسامحين تجاه الخادم
الذى لم تفعل ذلك عن عمد .
السُّلم الأعظم المفروش بالنجوم يتمدد ،
ثمت حطام يلمع ، ممسوساً باللمعان الخارجى
وسط النجوم
حطام تُحْمَلِقُ فيه الآلهة بتأني
لا تدري ماذا يفعل هناك .

أحشاء على طريقة أوبرطو

ذات يوم ، فى مطعم ، خارج المكان والزمان ،
قدموا لى الحُبَّ وجبةً من أحشاء باردة .
قلت بكثير من الرقة لرئيس الطباخين
إننى أفضل الأحشاء ساخنة ،
لأنّها (وكانت على الطريقة البرتغالية)
لاتؤكل أبداً باردة .

نَفِدَ صبرهم معى ،
لا يمكن أن تكون على حق أبداً
حتى فى مطعم .
ولم أخجل ، لم أطلب شيئاً آخر
أدّيتُ الثمن ، ومضيتُ أتجول فى الشارع

من يدري مامعنى هذا كله ؟
لقد حدث لى أنا الذى لست أدري ...
أعرف جيداً أن الناس جميعاً كانت لديهم ،
فى الطفولة ، حديقة خاصة أو عمومية أو لأحد
الجيران .

أعرف جيداً أنَّ اللُّعب كان شأننا الأوحد
وأن الحزن وليدُ اليوم ،
هذا ما أعرَّفهُ زيادةً على اللزوم ،
لكنى ، إذا كنتُ قد طلبتُ حُبًّا ، فلماذا
أتونى بأحشاء باردة ، على طريقة أوبرطو ؟
ماهى بِصُحن يمكن أَكْلُهُ بارداً ،
بارداً أتونى به
لَمْ أَتَشْكُ ، غير أنه بارداً كان
لا يمكن أَكله بارداً لكنه بارد
أتانى بارداً .

Lisbon Revisted

لا شيء يشدنى إلى شيء .
خمسين شيئاً أريد فى وقت واحد .
لدى اشتياق مصحوب بقلق من يعانى
من جوع فى اللحم لا أعرف ماهو .
فَلِقْنا أنام ، وأحيا الحلم القَلِق
لِمَنْ على قلق ينام متقاسما أحلامه .

كل الأبواب المجرّدة والضرورية أغلقت فى وجهى
أسدلت الستائر فى وجه كافة الفرضيات
التي كان باستطاعتى مشاهدتها فى الشارع .
فى الزقاق حيث كنتُ لا يوجد البتّة
رقم المنزل الذى أعطونيه .

الحياة التى نُؤمّتُ فيها استيقظت فى نفسى
حتى جيوشى الحُلمية تكبّدت الهزيمة
حتى أحلامى أحسّت ببطولانها
حين كنت أحلم بها .
حتى الحياة ، حتى الحياة لمجرد أنها مشتهاة
تشعرنى بالامتلاء ،
حتى تلك الحياة .
وَأع بكل المسافات اللأمتصلة .
ومن أجل لحظات الإجهاد أو اصل الكاتبة .
ضَجِرُ الضجرِ نفسه هو ما يقذف إلى الشاطئِ بى .
لا أدرى أىُّ هدفٍ وأىُّ مستقبل
ينتظر قلقي الذى لا دقّة له .

لا أعرف أىّ جزر من الجنوب المستحيل
تترقّب عَرَقى ،
ولا أية صفحة أدبٍ ستهبني
بيتاً من الشعر بالأقل .
لا أعرف هذا ، ولا ذاك ، ولا أىّ شىء على الإطلاق

وفى قرارة روى ، حيث أحلم بما استُهلك من
أحلام

فى الحقول الأخيرة للنفس ، حيث أسترجع
الذكريات بلا مبرر ،

وحيث الماضى ضبابية طبيعية من دموع مصطنعة ،
فى طرق الغابات البعيدة .

حيث كينونتى المفترضة ، هنالك ،
تقرُّ محطمةً ، البقايا الأخيرة للوهم النهائى ،
جيوشى المحلومة المهزومة بدون هزيمة ،
كتائبى لأنها ممزقة فى ذات الله .

مرةً أخرى أعود إلى رؤيتك
يامدينة طُفولتى الضائعة بطريقة رهيبية .

أيتها المدينة الحزينة والفرحة

مرةً أخرى أحلم ، هنا أحلم

أنا ؟ لكن ، أنا نفسى الذى هنا عشت

والى هنا عدتُ ، وعدت

كى أعود وأعود وأعود وإلى

هنا أعود من جديد كى أعود ؟

أَمْ أَنْ كُلَّ الْأَنْوَاتِ * الَّتِي عَشْتُهَا أَوْ عَاشَتْ
هَنَا كُنَّا كُنَّا سِلْسِلَةُ خَرَزَاتٍ - كَائِنَاتٍ
مَنْظُومَةٌ فِي خَيْطٍ - ذَاكِرَةٌ ،
سِلْسِلَةُ أَحْلَامٍ فِي دَاخِلِي
مَنْ أَجَلَ شَخْصٍ مَوْجُودٍ خَارِجَ ذَاتِي ؟

مَرَّةً أُخْرَى أَعُودُ كَيْ أُرَاكَ ،
بِقَلْبٍ أَنْكَيِّ مِمَّا كَانَ ، وَبِرُوحٍ أَقْلٍ انْتِمَاءً إِلَيَّ
مَرَّةً أُخْرَى أَعُودُ كَيْ أُرَاكَ
- كَيْ أُرَى لَشَبُونَةَ وَالتَّاجِ وَكُلِّ شَيْءٍ -
إِنَّهُ مُرُورٌ غَيْرُ مُجْدٍ مِنْكَ وَمِنِّي ،
أَجْنَبِيٌّ هَنَا كَمَا فِي الْجِهَاتِ كُلِّهَا ،
طَائِرِي فِي الْحَيَاةِ كَمَا فِي الرُّوحِ ،
شَبَّحَ ضَالٌّ فِي صَالُونَاتِ الذِّكْرِيَّاتِ
بِضَوْضَاءِ الْجِرْدَانِ وَالْأَخْشَابِ الصَّارَةِ
فِي قَلْعَةِ الْعَيْشِ الْمَلْعُونَةِ ...

* جَمْعُ . أَنَا .

مرّة أخرى أعود كي أراك
ظلاً يَمَرِّقُ عبر الظلال ، يسطع
لهُنيهةٍ على ضوء جنائزى مجهول
ثمَّ يُوغِلُ فى الليل
مثلنا يضيق مُخَوِر المركب فى الماء ...

مرة أخرى أعود كي أراك
لكن ، آه ، لن أعود إلى رؤية ذاتى ،
لقد تكسّرت المراة السحرية التى
اعتدتُ العودة إلى رؤية ذاتى فيها .
فى كل شظية متناثرة مشؤومة
لا أرى سوى فلذة منى -
فلذة منكٍ ومنى .

1926

فى ساحات المستقبل

أية إكسيلات سَيَقُ الإِشهار لها
فى ساحات المستقبل - نفس ساحاتنا ريمًا - ؟
بإتيكيات مغايرة ، نفس إتيكيات مصر الفرعونية ؛
بأساليب أخرى تَحُثُّ على شراء
نفس مَالِدِينَا الآن .
تُمّ الميتافيزيقات الضائعة فى زوايا
مقامى الأمكنة كلها ،
والفلسفات المتوحّدة ،
من فرط الإقامة فى غرف أسطُح الإخفاق ،
وأفكار فُرط مصادفة العَرَضى المتواتر
وحدوس السيد لا أحد المتكاثر ،
كُلُّها قد تشكَّل ، ذات يوم ، بِعُصارة مجردة

وَبِمَادَّةٍ غَيْرِ مُسْتَسَاغَةٍ ، إِلَهًا كُمْ تَسْتَوَلِي
عَلَى الْعَالَمِ ، لَكِنْ لَا سَلَامَ
مِنْ أَجْلِ الْيَوْمِ ، إِثْنَاءَ التَّفَكِيرِ فِي خَوَاصِّ الْأَشْيَاءِ
فِي الْمَصَائِرِ الَّتِي لَمْ أَقْضُ مُضْجِعَهَا بَعْدُ ،
فِي مِيتَافِيزِيْقَائِ الْخَاصَّةِ . مِيتَافِيزِيْقَائِ
طَالَمَا أَفَكَّرَهَا وَأَحْسَبُهَا .
لَا سَلَامَ .

عَلَى الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ نَصَبَ الشَّمْسِ
ثُمْتُ الْكَثِيرِ مِنَ السُّكُونِ الصَّافِي
أَوْ كَمْتُ سَكُونِ بِالْفِعْلِ ؟
فِي الْجِبَالِ الْوَاقِعَةِ نَصَبَ الشَّمْسِ
لَا وَجُودَ لَمَّا يُشَبِّهِ الرُّوحَ ،
مَا كُنْتُ لَتَكُونُ جِبَالًا ، نَصَبَ الشَّمْسِ
لَوْ امْتَلَكْتُ رُوحًا .
هُوَ ذَا أَتَعَبَ الْفِكْرَ الَّذِي يَمْضِي حَتَّى قَرَارَةِ الْوُجُودِ ،
قَدْ غَمَرَنِي بِالشَّيْخُوخَةِ مِنْذُ مَا قَبْلَ الْأَمْسِ
مَعَ بُرُودَةِ تَمَلُّقِ الْجَسَدِ .

ماذا عن الأهداف الضائعة والأحلام المستحيلة ؟
 ولماذا تحتمُّ وجود أهداف ميّنة
 وأحلام لا عقل لها ؟
 أيام المطر البطيء ، الرتيب ، المتّصل
 تحملنى على النهوض من المقعد الذى
 عليه جلست بغير انتباه ، بينما
 الكون فراغ مطلق حوالى
 والسّام الذى يُقوّم عظامنا
 يُبلّل كينونتى .
 ثمت ذاكرة شىء لا أتذكّره
 تُبرّد روحى .
 لا شك أن هناك احتمالات حلّم عديدة
 لجُزُر بحار الجنوب
 ورمال الصحارى تعوّض الخيال بشكل ما ؛
 لكننى فى قلبى بالذات يّقعُ إحساسى
 قلبى بالذات بلا بحار ولا جُزُر ولا صحارى
 وفى روحى الخاوية أوجد .
 ومع ذلك ، وكما لو كنت مجنوناً ، مُسهباً ،

أواصل السرد بلامعنى .

ثورانُ القدر الباردُ ،

تقاطعُ كل شيء ،

اختلاطُ الأشياء ، وأسبابها ونتائجها

عاقبةُ امتلاك جسد وروح ،

وصوت المطر ينحل في ذاتي ، يصير أناي ،

وهو شديد القتامة .

فبراير 1923

تأجيل

بعد غَدٍ ، نعم ؛ لكن فقط بعد غد .
غَدًا سَأَصْرِفُه مَفْكُورًا في بعد غد
وبذلك يصبح الأمر ممكنًا ؛ أما اليوم فلا ..
لا .. اليوم لا شيء ؛ اليوم لا أستطيع .
هناك الإلحاح الغامض لِذَخِيلَتِي المرئية ،
حلم حياتي الواقعية ،
التعب المُسبق واللانهاثي ،
تَعَبُ عوالم الصعود في ترام ..
هذا الطراز من الروح ..
فقط بعد غد
أما اليوم فأريد التهيُّؤ .
المخطط جاهز لدي ؛ ذلك أفضل

اليوم لن أرسم مخططات .
غداً سيكون يوم التخطيطات .
غداً سأجلس أمام طاولة العمل من أجل أن أفتح
العالم ،

لكن سأفتح العالم فقط بعد غد .
لدى رغبة فى البكاء فجأة ، من الداخل ...
لا .. لا ترغبوا فى معرفة أكثر ، لأن الأمر
سرى ولن أبوح به .
فقط بعد غد ..

عندما كنت طفلاً كان سيرك الأحد
يسلّينى أسبوعاً بكامله ،
اليوم يسلّينى فقط سيرك أحد كل أسبوع طفولتى .
بعد غد سأكون آخر
ظافرة ستصير حياتى ،
كل مزاياى الواقعية ، مزايا الذكى ، المثقف العملّى
سوف تُستحضر بقرار رفيع .
لكن بقرار من الغد .
اليوم أريد النوم . غداً سوف أكتب ..

واليوم ؟ ماهى الفُرجة القادرة على
أن تُعيد إلى طفولتى ؟
بالرغم من أننى مُجبرٌ على اقتناء تذاكر الغد
لِمَا بعد غد حيث ستكون الفُرجة ممتعة .
قبل ذلك لا ..
بعد غد سيكون لدى العرض العمومى
الذى سأبحثه غداً .
بعد غد سأكون فى النهاية
ذلك الذى لست قادراً على أن أكونه بأى شكل .
فقط بعد ...
أشعر بالرغبة فى النوم
بارداً وبرودة كُلب سائب ،
لدى رغبة فى كثير من النوم
غداً سأبوح لك بالسر ، أو بعد غد ،
نعم ، ربما فقط بعد غد
المستقبل ..
نعم ، المستقبل .

14 أبريل 1948

غيوم

أوثمة في النهار الكئيب ،
حيث قلبي الأشدُّ كآبة من النهار
واجبات أخلاقية ومدنية ؟
تعقيدات مُترتِّبة عن الواجبات ،
والعواقب ؟
كلَّ .. لاشئ
النهار كئيب ، الرغبات في كل شئ ضعيفة
لاشئ .

بعضهم يسافر (أنا أيضاً سافرت) ،
آخرون تحت الشمس يقبعون (كذلك تحت الشمس
كنتُ أو ظنَّنتُ كذلك)
جميعهم يملكون الصواب ، أو الحياة
أو الجهل المقنن ،

الغرور ، الفرخ وحسن المعاشرة ،
ويهاجرون كى يعودوا ، أو كى لا يعودوا
فى سُنن تتكَلَّف تلقائياً بنقلهم ،
غير شاعرين بما يكمن من موت
فى كُلِّ إقلاع ،
وبما يكمن من أسرار فى كل وصول ،
وبما تُثَمَّت من رهبة فى كل جديد ...
إنهم لا يحسُّون ؛ لذلك هُم ما هُم عليه ،
نواب ورجال مال ، مستخدمون تجاريون
يذهبون إلى كافَّة المسارح ويعرفون الناس جميعاً .
يفتقرون إلى الإحساس :
من أجل ماذا يتحتم عليهم الإحساس ؟
قطيع مَكْسُوٍّ من حظيرة الآلهة ،
دَعُهُ يَمِرُّ ، مُكَلَّلاً بالغار ... قرباناً تحت الشمس
باسماً ، حياً . مسروراً بكونه يُحَسُّ .
دَعُهُ يَمِرُّ ، لكن ، آه ، أنا مَعَهُ ماضٍ
بدون إكليل غار
نحو نفس المصير !

معه أمضى بغير الشمس التي أحس بها ،
بغير الحياة التي لدى ،
معه أمضى دون أن أجهل ...

فى النهار الحزين ، بقلبي الأشد حزناً من النهار
فى النهار الكئيب ، الكئيب كُكل النهارات
فى النهار الأشد كآبة

13 مايو 1928

تكتُّمات

أريد أن أرتب حياتي ، أن أضع رفوفاً للإدارة
والفعل ،

أريد ذلك الآن ، كما أردت دائماً ، بالنتيجة إياها ،
إذن ، ما أفضل امتلاك هذا الهدف الواضح ،
واثق الإرادة من فعل شيء ما ، في تمام الوضوح !

سأُلمُّ حقائبي من أجل اللانهائي ،
سأرتب البارودي دي كامپوس جيداً .
وأواصل كينونتي غداً تماماً كما قبل أمس
- ما قبل أمس الذي هو كل الأيام ...

أبتسم لمعرفة المسبقة بالاشئ الذي سأكونه .

أبتسم على الأقل ؛ فالابتسام هو دائماً شيء ما .

هكذا يُصنَع الأدب ...

أيها الإله المقدس ، هكذا تصنع حتى الحياة ذاتها .

الآخرون هم روما نطيقيون أيضاً ،

الآخرون أيضاً لا ينجزون شيئاً ، أغنياء أم فقراء

الآخرون أيضاً .. يُمضون الحياة فى تأمل

الحقائب

التي عليهم أن يلموها .

الآخرون أيضاً ينامون بجانب أوراق تصف

مكتوبة ،

الآخرون هم أيضاً أنا .

أيتها البائعة المتجولة ، يامن تنادين

على بضاعتك بغناء شبيه بنشيد لاشعورى ،

أيتها العجيلة المسننة لساعة الاقتصاد السياسي ،

أيتها الأم الراهنة والمستقبلية

للميتين سلكاً فى المستعمرات ،

صوتك يصلنى مثل نداء موجه إلى اللامكان ،

مثل سكون الحياة ...
أَنْقُلُ النَّظْرَ من الأوراق التي أنوى ترتيبها
إلى النافذة التي لَمْ أَر من خلالها البائعة
التي من أجلها أَصَحْتُ السمع ،
بينما ابتسامتي التي مازالت مُرْتَسِمَةً
تتضمَّنْ نَقْدًا ميتافيزيقيًا ...

أمام طاولة شغل مُرتَّبَةٍ
تخلَّيتُ عن الإيمان بجميع الآلهة ،
أبصرتُ وجهًا لوجه كافة المصائر
وأنا أَسْلَى بالإصغاء إلى مُنَادٍ يَمُرُّ
وَتَعَبَى قارب عتيق يتعفَّن
في الشاطئ القاحل .

وبهذه الصورة ، صورة أيُّ شاعر آخر
أغادر الطاولة والقصيدة ... مثل إله ،
لم أُرْتَبْ لاهَذَا الشَّيْءِ ولا ذاك .

15 مايو 1929

شاسعة هي الصحارى

شاسعة هي الصحارى ، صحراء هو كل شيء
لا يسبب أطنان من الأحجار واللبنة العالية
يظل الحضيض مقنعا ، مثل هذا
الحضيض الذي هو كل شيء .

هائلة هي الصحارى ، قاحلة هي الأرواح وكبيرة ،
قاحلة إذ ما من أحد يجتازها سواها -
وكبيرة إذ من هناك يظهر كل شيء ،
وكل شيء قد مات .

هائلة هي الصحارى ، ياروحى
هائلة هي الصحارى

لم أحصل على تذكرة الدخول إلى الحياة ،
أخطأت بوابة الإحساس .

لم تُوجد قُطْ رغبة ولا فرصة لم أهدرها
لم يبق لى اليوم ، (بانتظار السفر) ، مع
الحقيقية مفتوحة بانتظار ترتيبها المؤجل ،
جالساً على المقعد صحبة قمصان غير لائقة ،
لم يبق لى اليوم (بمعزل عما يُسبِّبه
لى جلوسى هكذا من ضيق)
سوى أن أعرف هذا :

كبيرة هى الصحارى ، كل شىء صحراء ،
كبيرة هى الحياة ، ولا قيمة بتاتاً لأنْ توجد الحياة .
سأرتب الحقيقية ، بعينى سأرتبها على نحو
أفضل :

التفكير فى ترتيبها خَيْرٌ من ترتيبها بيديَّ
المصطنعتين

(أقول ، وأؤمن جيداً بما أقول)
أشعل السجارة كى أؤجل السفر ،
كى أؤجل جميع الأسفار ،

كى أَوْجَل الكون بتمامه

عُدَّ عَدًّا إِلَى أَيُّهَا الْوَاقِع
أَيُّهَا النَّاسُ ، حَسْبُكُمْ هَذَا الْيَوْمُ .
أَيُّهَا الْحَاضِرُ الْمَطْلُوقُ ، أَعْرِفْ ، هُنَاكَ يَوْمٌ آخِرُ
أَلَّا أَكُونُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَكُونُ هَكَذَا !

فَلتَشْتَرُوا شَوْكَو لَاطَاتٍ لِلطِّفْلِ
الَّذِي كُنْتُهُ خَطَاً
اسْحَبُوا اللَّافِتَةَ ، لِأَنَّ اللَّانْهَائِيَّ
غَدًا سَيَجِيءُ ،
وَلَكِنْ يَتَحَتَّمُ أَنْ أَلُمَّ الْحَقِيقِيَّةَ ،
أَنْ أَلُمَّ بِالْقُوَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ ،
الْحَقِيقِيَّةِ .
لَا أُسْتَطِيعُ حَمْلَ الْقُمْصَانِ فِي الْخِيَالِ
وَالْحَقِيقِيَّةِ فِي الْعَقْلِ
أَجَلْ ، لَقَدْ أَمْضَيْتُ حَيَاتِي كُلَّهَا بِدُونِ إِعْدَادِ
الْحَقِيقِيَّةِ

أَمْضِيَّتَهَا جَالِساً عَلَى طَرْفِ
كُومَةِ الْقَمِصَانِ
أَجْتَرُّ الْمَصِيرَ ، كَثُورٌ لَمْ يَصِلْ بَعْدَ إِلَى هَاطِيسِ

عَلَى أَنْ أَلَمْ حَقِيَّةَ الْوُجُودِ
عَلَى أَنْ أَوْجَدَ لَأَمَّا حَقَائِبِي
رَمَادَ السَّيْجَارَةِ يَسْقُطُ فَوْقَ قَمِيصِ
كُومَةِ الْقَمِصَانِ .

أَنْظُرُ حَوَالِيَّ وَأَتَأَكَّدُ مِنْ اسْتِغْرَاقِي فِي النَّوْمِ
أَعْرِفُ فَقَطْ أَنَّ عَلَى أَنْ أُهَيِّئَ الْحَقِيَّةَ ،
وَأَنْ الصَّحَارَى شَاسِعَةٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ صَحْرَاءُ
وَأَنْ هُنَاكَ ...

فَجْأَةً أَنْهَضُ ، كُلَّ الْقِيَاصِرَةِ بِدَاخِلِي يَنْهَضُونَ .
سَوْفَ أُهَيِّئُ الْحَقِيَّةَ ، عَلَى نَحْوِ نَهَائِي
هَاهُ ، لَقَدْ رَتَّبْتُهَا وَأَحْكَمْتُ إِقْفَالَهَا .
عَلَى أَنْ أَرَى كَيْفَ سَيَمْضُونَ بِهَا مِنْ هُنَا .

كبيرة هي الصحارى ، كل شئ صحراء ،
عدا ما جاء خطأ أو سهواً بالطبع .
ما أبأس الروح الإنسانية لا واحات أمامها
سوى فى الصحراء المواجهة
سيكون من الأجدى أن ألم الحقيبة

4 مايو 1930

فرناندو پيسوا
ثانياً : مختارات شعرية I
ترجمة : المهدي أخريف

(تقديم)

تعود صلتى ببيسوا إلى بداية الثمانينات حينما قرأت « نُتْفَا » من شعره فى إحدى المجالات الأدبية الإسبانية ، مترجمة عن البرتغالية . كنت قد سمعت عنه أو مررتُ بإشارات تخص « حالته » النادرة .. لا أتذكر . وحينما قرأت « نشيد الظفر » فى ترجمة إسبانية أخرى ألهمتُ إحساسى نكهتها المتميزة ضمن أشعار المستقبليين . ومنذ ذلك اللقاء بدأت « حالة » بيسوا تغزوني بالتدريج مع اتساع اطلاعى على أشعاره وأشعار أنداده الذين ابتكرهم بضرب من اللعب فإذا هم يتحولون إلى « شعراء حقيقيين » لكل واحد منهم طريقه المستقل داخل ذاته هو ، موصولين به ، منفصلين عنه فى آن ، عبر لعبة تناوب تمثيلية باهرة تحول هو نفسه فيها إلى مجرد اسم من جملة أسماء ، شاعر ضمن شعراء خرجوا من رحم تخيلية واحدة ، تعبيرا عن تعدد دوائى شعري لا مثيل له فى تاريخ الشعر الإنسانى .

لقد أنارَ طريقى عكوفى على قراءة رسائله وبعض كتاباته النثرية التى نُشِرَ كما هائلاً منها باسم عشرات الأقنعة والأسماء المستعارة . كما أنُ اطلّاعى على بعض الدراسات الأساسية حول « ظاهرة بيسوا » وآثاره الأدبية - خاصة دراسة أوكتافيو باث المستبصرة التى تتصدّر هذه المختارات - قد أثّرت لى فهماً أفضل لإنتاجه الشعري .

وهكذا وجدت نفسي أُنقل تلقائياً من الافتتان والإنصات إلى حالة من « التماهى » مع عوالم الشعر المقروءة تمثّلت في تجربة الترجمة التي انخرطت فيها بشغف منذ ثلاث سنوات ، والتي انصبّت حول نصوص متنوعة للشاعر البرتغالي وأنداده مع عناية خاصة بـألبارودي كامپوس .

تجربة مضمّنية ممتعة أثّرت بعض النجاح ، كما أسفرت عن إخفاقات عديدة ، لكنها غمّرت قلبي الشعري الخاص بفيض من الكشوف والأسئلة . لقد سعدتُ بالإقامة في مناطق وعرة من الشعر الجذري ، ومن شعر الشعر ، الشعر الصدى ، الشعر الخواء ، حيث الجراح السريّة عارية ، حيث الصور ، الهذيان ، المونولوجات ، الأصوات الحانية العاتية ؛ كلها تشظّيات حيّة لكيثونة متفرّدة متعددة متمردة على شرطها الوجودي تعيش الوهم واقعاً والواقع وهماً .

كان طموحي أن أهَيّ للنشر مختارات موسّعة متكاملة لأشعار بيسوا وأنداده ، لكنّ بروز صعوبات غير متوقّعة آمل تذليلها مستقبلاً ، أجبرني على الاكتفاء بنشر هذه المختارات الخاصة بـألبارودي كامپوس ، وتضم ثلاث قصائد ذات تمثيل عالٍ لعالم هذا النديد الأكثر جسارة وغزارة وتعقيداً من كل الأنداد .

وإنّني لَمَدِينٌ للصديق د . محمد برادة بالعديد من

التصويبات والتنقيحات التي أدخلت على هذه الترجمة ؛
وذلك خلال المراجعة المُدقَّقة التي قام بها للنصوص
الشعرية والدراسة ، والتي عملنا فيها معاً على
« معالجة » أبرز الاختلافات الموجودة بين النص
الفرنسي - الأدق في جوانب معينة - والنص الإسباني
معالجة أفادت النص العربي وقومته .

كما أننى مدينٌ للصديق الشاعر محمد الأشعري
بما أمدنى به من اقتراحات نيرة ومن تحفيز ومؤازرة
هما من صميم « تواطئنا الشعري المشترك » .

ولا يفوتنى أخيراً أن أعبّر عن امتناني للأصدقاء :
بيدرو فيلاسكيـز ثورو ، وإدمون عمران المليح
وفرانسيـسكو طاركيني والشاعر محمود درويش
لتشجيعهم ومساعدتهم .

المهدى أخريف

المجهول من لدن ذاته

أوكتافيو پات

١٠١

ليس للشعراء بيوغرافيات ، أشعارهم هي
 بيوغرافياتهم ، ويسوا الذى كان دائماً الارتياح في
 واقعية هذا العالم سوف يوافق ، دون تردد ، على المضى
 إلى أشعاره مباشرة ، متجاهلاً حوادث ومصادفات
 وجوده الأرضى . لا يوجد في حياته شيء غير متوقع ،
 لا شيء ، باستثناء أشعاره . لا اعتقد أن « حالته » ينبغي
 أن تخضع لهذه المفردة الثقيلة « حالة » . سأفسر لكم :
 على ضوء أشعاره ، أرى أن هذه « الحالة » تنتفى تماماً .
 وماتبقى من السر مكتوب في اسمه : لأن Pessoa تعنى
 « شخص » في البرتغالية ، وقد تحدثت من لفظة
 Persona قناع الممثلين الرومانيين . إنه ، إذن ، قناع ،
 شخصية خيالية ، لا أحد : بالإمكان اختزال حياة بيسوا
 في العبور بين لا واقعية حياته اليومية وواقعية تخيلاته
 . هذه التخييلات تتمثل في هؤلاء الشعراء : البرطو
 كاييرو ، ألبارودي كامپوس ، ريكاردو ريبس . وفوق
 كل شيء فرناندو بيسوا نفسه . وهكذا فإن التذكير
 بالوقائع البارزة لحياته ليس عديم الجدوى ، شريطة
 أن نعلم أن الأمر يتعلق فحسب بأثار ظل ما . بيسوا
 الحقيقي هو شخص آخر .

في لشبونة ولد عام 1888 . فقد أباه وهو صغير ،
 فتنزجت أمه من جديد ، وانتقلت سنة 1896 مع أبنائها
 إلى دوربان بإفريقيا الجنوبية ؛ حيث أرسل زوجها

الثانى إلى هناك كقنصل للبرتغال . وهناك تلقى بيسوا
تربية إنجليزية . عاد إلى لشبونة عام 1905 وقد أنهى
دراسته الثانوية وهو على وشك الالتحاق بجامعة الكابو .
شاعر مزدوج اللغة . سوف يغدو التأثير الساكسونى
مكوناً ثابتاً فى فكره وكتابه . فى عام 1907 يترك كلية
الأداب فى لشبونة وينشئ مطبعة صغيرة . إن لفظة
« فشل » سوف تتكرر باستمرار فى حياته . اشتغل فيما
بعد كمحرر متجول للمراسلات التجارية بالإنجليزية
والفرنسية . شغل متواضع سيمنحه القوت طيلة حياته
تقريباً . أكيداً أن أبواب الجامعة قد فُتحت أمامه بحذر
ذات مرة . لكنه بكبرياء الخجلين رفض العرض . لقد
كتبت « بحذر وكبرياء » ، ولربما كان ينبغى أن أقول
بفتور وواقعية : عام 1932 يتقدم بطلب الحصول على
منصب مؤثق فى إحدى المكتبات فيرفض طلبه . لكن ما
من تمرّد فى حياته : وحده التواضع الشبيه بالأنفة .

منذ عودته من جنوب إفريقيا لم يغادر لشبونة قط .
سوف يعيش فى البداية فى دار عتيقة مع خالة عانس
وجدة مجنونة . ثم مع خالة أخرى بعد ذلك ، ثم
سيمضى فترة مع أمّه وقد تَرُمَلَتْ من جديد . وماتبقى
سيعيشه فى منازل مشبوهة . يرى الأصدقاء فى المقهى
وفى الشارع . شريب مُتَوَحِّد فى حانات الحى القديم .
تفاصيل أخرى ؟ .. عام 1916 خطط للعمل كمنجم . وفى

عام 1920 سوف يعرف الحب أو سوف يظن أنه أحب
مستخدمة تجارية : لم تُدْمِ العلاقة طويلاً : « إنه قَدَرى »
يقول فى رسالة القطيعة « إنها تنتمى إلى شريعة أخرى
لا ترتاب أنت فى وجودها . لا يُعرف شئ عن تجارب
عاطفية أخرى له . ثمة تَيَّار لوطيَّة معذِّبة يسرى عَبْرَ
قصيدتيه « نشيد بحرى » و « تحية إلى ويتمان » ، وهما
العملان الكبيران اللذان يحملان على التفكير فى
غارسيا لوركا الذى سيكتب ، بعد خمس عشرة سنة
« شاعر فى نيويورك » . غير أن ألبارودى كامپوس ،
محترف الاستفزاز ، ليس كُلُّ بيسوا . ثمة شعراء
آخرون فى بيسوا . ذلك العفيف الذى أهواؤه كلها
محض تخيُّلات . أو بالأحرى : من عيبه الأكبر هو
التخيُّل ؛ لذلك فهو لا يتمللمن من مقعده . وهناك بيسوا
آخر لا ينتمى إلى الحياة اليومية ولا إلى الأدب ؛ هو
التلميذ ، والمبتدئ . لاشئ حول هذا الـ بيسوا يمكن أو
ينبغى أن يُقال : كشف ؟ خداع ؟ تزييف ذاتى ؟ ربما كُلُّ
هذا مجتمعا . إن بيسوا ، مثل معلِّم إحدى سونيتاته
الهرطقية ، يَعْلَمُ وَيَصْنُمُ .

أنكولمان ⁽¹⁾ . حسير النظر . مهذب . ميال إلى
الهروب . داكن الثياب ، كتوم وعائلى . كَوْنى يبشر
بالقومية . بحاتة جليل فى أمور تافهة . هازل كبير لا
يبتسم ألبتة . ويجمّد فينا الدم . مبتكر شعراء آخرين

ومدمّر ذاته . خَالِقُ مَفَارِقَاتِ كالماء صافية ومدوَّخة
كالماء : أن تتنكر هو أن تتعرّف .. وهو الغامض الذى لا
يزرع الغموض . غامض كقمر منتصف النهار . صموت
هو شبح منتصف النهار البرتغالى . من هو بيسوا ؟

بيير أوركاد الذى عرفه فى أخريات حياته يكتب
عنه « لم أجرؤ أبداً حين ودّعته على أن أستدير بوجهى .
كانت بى خشية من أن أراه وقد تلاشى وذاب فى
الهواء » . أو نسيْتُ شيئاً ؟ لقد توفى عام 1935 فى
لشبونة من تشمع فى الكبد . تاركاً كراستين من
القصاصيد بالإنجليزية ، وكتاباً نحيلاً من الأشعار
البرتغالية ، وصندوقاً مليئاً بالمخطوطات .

ينبغى أن نصف حياته الخارجية بكونها سائرة فى
الظل الفاتر . أدب الهوامش . منطقة مضاءة سيئاً حيث
تتحرك - متواطئة أم مجنونة ؟ - الظلال الحائرة
لألبارودى كامپوس ، ريكاردو ريبس وفرناندو بيسوا
الذين تضيئهم للحظة معيئة الأنوار المفاجئة للفضيحة
والجدل . ثم لا شئ بعدئذ غير العتمة من جديد . إنه
المجهول - تقريباً المشهور - تقريباً . لا أحد يجهل اسم
فرناندو بيسوا ، لكن ما أقل من يعلم مَنْ هو ، وماذا يعمل .
إنَّه لَدُو صيت برتغالى إسبانى وإسبانى أمريكى :
« لا سمكم رنة معروفة لدى . سيادتكم صحفى أم
مخرج سينمائى ؟ » . لا أتخيّل بيسوا حزيناً لهذا

التلبيس . رُبّما يكون شكّل درساً له بالأحرى . لقد عرف دائماً مواسم من الفوران الأدبي موصولة بمواسم من الخمود . وإذا كانت لحظات ظهوره « الأدبي » معزولة ومتشّجة ، عبارة عن ضربات بالكفّ لإرعاب القطط الأربعة للأدب الرسمي ، فإنّ عمله المتوحد تميّز بالثبات والاستمرارية . ولسوف يمضي ككُلّ الكسالى الكبار حياته فى وضع جرد بأسماء كتب لن يكتبها أبداً . وعلى غرار ما يحدث للخامدين أيضاً إذا ما كانوا مشبوبي العاطفة والخيال ، ولكى لا ينفجر ، لكى لا يُصاب بالجنون ، وخفية تقريبا ، وعلى هامش مشاريعه الكبرى ، يكتب كلّ يوم قصيدة ، مقالة ، خاطرة تأملية . تشتيت وضغط . جذبٌ وشد .. وكل شئ موسوم بالعلامة نفسها : بدافع الحاجة كتبت تلك النصوص . وهذه القدريّة هى التى تميّز كاتباً حقيقياً عن آخر يمتلك شيئاً اسمه ببساطة : العبقرية .

فى الإنجليزية سوف يكتب أشعاره الأولى بين 1905 و 1908 . فى تلك الفترة كان يقرأ ملتون ، شلى ، كيتس ، إدغار پو . فيما بعد سيكتشف بودلير ، ويخالط عدداً من الشعراء البرتغاليين الثانويين . وبطريقة لا شعورية سوف يعود إلى لغّته الوطنية ، وإن لم يتخلّ قطّ عن الكتابة بالإنجليزية . وحتى سنة 1912 كانت كفة التأثر بالقصيدة الرمزية والـ Saudasismo ⁽²⁾ هى

الراجعة . فى تلك السنة نشر محاولاته الأولى فى مجلة AAgüia لسان حال « النهضة البرتغالية » . وتمثلت مساهماته فى سلسلة من المقالات حول الشعر البرتغالى . وإنها لظاهرة بيسوية حقا أن يبدأ بالنقد الأدبى حياته ككاتب . ليس أقل دلالة من ذلك عنوان أحد نصوصه Na Flaresta de Al - beamento . إن موضوعه الانخطاف والبحث عن الذات فى الغابة المسحورة أو فى المدينة المجردة لهى أكبر من مجرد موضوع . إنها جوهر عمله . وتلك كانت سنوات بحث لديه ، ولن يتأخر فى ابتداع ما ابتدعه .

سنة 1913 يتعرف على شابين سوف يغدوان رفيقيه الأكيدى فى مغامرته المستقبلية القصيرة الأمد : الرسام ألبا نيفيرا والشاعر ماريودى ساكارنيرو وصادقات أخرى : أرمندو كورتيس رودريغيز ، لويس دى مونطالبور ، وخصى باشيكو الذين كانوا ما يزالون سجناء القصيدة « المنحطة » ، والذين سيحاولون بغرور تجديد التيار الرمزى . بيسوا سيبتكر الـ El Pau-lismo . وبسرعة ومن خلال ساكارنيرو المقيم فى باريس ، والذى جمعته به مراسلات محمومة سيأتى الإعلان عن التمرّد الحداثى الكبير : مرينيتى . إن خصوبة المستقبلية لا يمكن أن تنكر ولو أن تألقها قد خبا فيما بعد بسبب تنازلات مؤسستها .

صدى الحركة كان لحظياً ، ربما لأنها كانت تمرّداً أكثر من كونها ثورة . كانت الشرارة الأولى ، الشرارة التى أطلقت البارودة ، ثم سرت النار من طرف إلى آخر ، من موسكو إلى لشبونة . ثلاثة شعراء كبار : أبوللير ، ماياكوفسكى وبيسوا . السنة الموالية ؛ أى 1914 ستكون بالنسبة للشاعر البرتغالى سنة الاكتشاف أو بعبارة أدق : سنة الولادة : ظهور البرطوكاييرو وتلامذته . المستقبلى البارودى كامپوس والنيوكلاسيكى ريكاردو ريبس .

إن هجوم « الأنداد »⁽³⁾ هو حدث داخلى بمثابة تحضير للحدث الخارجى العلنى : انفجار « أورفى » . إذ فى أبريل من سنة 1915 سيظهر العدد الأول من المجلة المعنونة باسم « أورفى » ؛ فى يوليو يظهر العدد الثانى والأخير . أقليل هذا ؟ بل هو بالأحرى زائد على اللزوم . فالمجموعة لم تكن متجانسة ، والاسم نفسه يدل على أثر الرمزية .

لقد لاحظ النقاد البرتغاليون عند كارنيرو ، رغم عنفيته ، الإصرار « الانحطاطى » . أما لدى بيسوا فالانقسام خالص : البارودى كامپوس مستقبلى خالص . أما فرناندو بيسوا فيظل باستمرار شاعراً باولياً .

الجمهور استقبل المجلة بالسخط ، نصوص
ساكرنيرو وكامپوس أثارت هياج الصحفيين المألوف .
بعد الشنائم جاءت السخرية ثم الصمت .

لقد اكتملت الحلقة إذن . ماذا تبقى منها ؟ فى العدد
الأول ظهرت قصيدة « نشيد الظفر » . فى العدد الثانى :
قصيدة « نشيد بحرى » تمتلك الأولى رغم
كلماتها المكرورة وإهمالاتها ، النغمة المباشرة لقصيدة
طبكيرية ، بما تنطوى عليه من إحساس بضالة وزن
الإنسان فى مواجهة الثقل المتوحش للحياة الاجتماعية .
أما القصيدة الثانية فهى أكبر من مجرد ألعاب نار
اصطناعية للشعر المستقبلى ، إنها روح عظيمة تهذى
بصوت عالٍ وصرختها ليست حيوانية بتاتاً ولا فوق
إنسانية والشاعر ليس « إلهاً صغيراً » ، بل هو كائن
سقوط . والقصيدتان معاً تذكّران بويتمان أكثر من
مرينيتى ، بويتمان منزور ونكّار . ليس هذا كل شئ :
فالتناقض هو جوهر النسق ، وهو شكل تماسكه
الحيوى : فى نفس الوقت ، وقت كتابة النشيدين سيكتب
أيضاً : « راعى القطيع » : الكتاب اليتيم لألبرطو كاييرو ،
القصاص ألملتنة لريكار دوريبس و Epithalamum y Antinous
« وهما - كما يقول بيسوا - قصيدتان من شعرى
الإنجليزى ، جدّ مخالفتين للمألوف ، ولذلك لا يمكن
نشرهما » .

فجأة توقفت مغامرة مجلة « أورفي » ، بعض
 محرريها فضل الانسحاب بسبب هجمات الصحفيين ،
 وبفعل الذعر ، ربما ، من مغالاة ألبارودي كامبوس ..
 ساكارنيرو المتقلب دائماً سيعود إلى باريس ، لينتحر
 بعد عام من ذلك ... محاولة جديدة تظهر للوجود عام
 1917 : العدد الوحيد من مجلة المستقبلية البرتغالية
 بإدارة المادا نيغريرا ، والذي تضمن الـ Ultimatum
 لألبارودي كامبوس . واليوم من العسير قراءة تلك
 التشهيرات بعناية ، رغم أن ثمة من لا يزال يحفظ
 لودعيتها المفيدة :

« من دانونزيو ، إلى دون جوان ، إلى برنارد شو
 ذلك الورم البارد ، إلى كبلنج الإمبريالي المهتم بسقط
 المتاع » .

قصة مجلة أورفي تنتهي إذا بتفرق المجموعة
 وبموت واحد من مُرشديها . وينبغي انتظار خمس
 عشرة سنة وجيلاً آخر جديداً . ليس في هذا الأمر
 ما يُدهش . المدهش هو كون المجوعة ظهرت سابقة
 زمنها ومجتمعها . تُرى ما الذي كان يُكتب في إسبانيا
 وفي أمريكا اللاتينية خلال تلك السنوات ؟

الفترة الموالية كانت فترة خمول نسبي نشر فيها
 بيسوا كُراسَتَي شعر بالإنجليزية - 35 Sonnets y Auti-

nous علّقْتُ عليهما « التايمز » اللندنية و « كلاسكو هيرالد » بكثير من المجاملة وقليل من الحماس . فى سنة 1922 تظهر مساهمة بيسوا الأولى فى مُعاصِر ، مجلة أدبية جديدة تحت عنوان : « رجل البنك الفوضوى » .. وإلى تلك السنوات تنتمى أهواؤه السياسية : مدائح للقومية وللنظام الاستبدادى . إنَّ الواقع دائماً يخيب ظنَّه ويُجبره على التكذيب : سوف يُضطرُّ مرَّتَيْنِ إلى مواجهة الرأى العام من جهة والكنيسة والأخلاق السائدة من جهة أخرى . فى المرة الأولى من أجل الدِّفاع عن أنطونيو بوطو مؤلف : قصائد حب أورانوسية . فى المرة الثانية ضد « رابطة العمل الطلابى » التى كانت تشدد الخناق على التفكير الحرِّ بدعوى القضاء على ما يسمى بـ « أدب سدوم » . إنَّ القيصر أخلاقى دائماً . ألبارودى كامپوس سوف يؤزّع ورقة تحت عنوان : تنبيه من أجل الأخلاق . فرناندو بيسوا سينشر بياناً : أمّا ألمعتدى عليه رَأوول ليال فيكتب منشوراً بعنوان : « درس أخلاقى لطلبة لشبونة ولا رتيابية الكنيسة الكاثوليكية » . لقد انتقل مركز الثقل من الفن الحرِّ إلى حرية الفن . فالطبيعة المحافظة لمجتمعنا تجعل المبدع محكوماً عليه بالهرطقة والاعتراض . ولا شك أن الفنان اللامع لا يسعى إلى تجنب هذه المخاطرة الأخلاقية .

فى عام 1924 صدرت Atena : مجلة جديدة استمرتُ لخمسة أعداد فقط ، الواقع أن Atena هى جسر رابط بين أورفى وبين شباب مجلة حضور (1927) . كل جيل سيختار ، على ما يبدو ، تقليده الخاص . لقد تمَّ اكتشاف پيسوا من طرف المجموعة الجديدة : فى النهاية عثر على مخاطبين ، متأخراً جداً كما هى العادة . بعد ذلك بزمان قصير وقبل سنة واحدة على وفاته ، يقع الحدث المضحك ، حَدَثُ المسابقة الشعرية المنظمة من طرف لجنة الإشهار الوطنى . موضوع المسابقة حُدِّد بوضوح : التغنى بأمجاد الوطن والإمبراطورية . أرسل پيسوا « رسالة » وهى عبارة عن قصائد تنطوى على تأويل « تنجيمى » ورمزى للتاريخ البرتغالى . ولاشك أنَّها تركتُ الموظَّفين المكلفين بالمسابقة فى غاية الحيرة . مَنَحوه جائزة من « الدرجة الثانية » . فكان ذلك آخر اختبار أدبى له .

كل شئ يبدأ فى الثامن من مارس من سنة 1914 . لكن من الأفضل نقل فقرة من رسالة لپيسوا إلى أحد شبَّان مجلة حضور اسمه أدولفو كاسايس مونتيرو : « حوالى سنة 1912 راودتنى فكرة كتابة قصائد ذات صبغة وثنية . لَفَّقْتُ بعض الأبيات على نمط الشعر الحر (ليس وفق أسلوب أَلْبَارُودى كامپوس) . تخلَّيتُ عن المحاولة فيما بعد . ثم فى غمرة ما يشبه

الظلال الغامضة تَبَيَّنَتْ صورة مُبْهَمة للشخص الذي كنته في تلك الأثناء (كان ريكاردو ريبس قَدْ وُلِدَ ، من غير أن أعلم) . بَعْدَ عام ونصف أو عامين عَن لِي أَن أَمَازَح « ساكارنيرو » باختراع شاعر رعوي ، معقّد بعض الشيء وأبرزه للوجود كمخلوق حقيقي ، لا أتذكر الآن على أيِّ نحو . أمضيتُ بضعة أيام ، مُحَاوِلاً ، من دون أن أحقّق شيئاً . ذات يوم عندما كنتُ قد تخَلَّيتُ بصفة نهائية عن المشروع - وكان ذلك يوم 8 مارس 1914 - دَنَوْتُ من خزانة عالية وتناولتُ حزمة أوراق . شرعت في الكتابة واقفاً كما أفعل دائماً قدر مستطاعي . وهكذا كتبتُ ثلاثين قصيدة ونيفاً بتتابع ودون توقُّف ، في لحظة انخفاف لا أستطيع تحديد طبيعتها . لقد كان يومُ الظَّفَر في حياتي ، ولن يتكرر عندي مثله قط . انطلقت من عنوان محدّد : راعى القطيع . أمّا مَا تَلَّاهُ فقد كان انكشافاً لأحد مَا في داخلي أطلّقتُ عليه مباشرة هذا الاسم البرطوكاييرو . لتغفر لي لا معقولية هذه الجملة : في ظَهَر مُعَلِّمي : هذا هو الإحساس الفوري الذي خامبرني . وهكذا ما إنْ أنهيتُ كتابة الثلاثين قصيدة حتّى كتبتُ في أوراق أخرى قصيدة مطر زائف ، كتبتها كاملة وعلى الفور منسوبة لفرناندو بيسوا ... فكانت عودة من فرناندو بيسوا - البرطوكاييرو إلى فرناندو بيسوا الصّرف . أو بالأحرى . كانت ردُّ فعلٍ من فرناندو

پيسوا ضدَّ انتفاء وجوده من خلال البرطو كاييرو ...
 بظهور كاييرو سَعِيَتْ فيما بعد بطريقة غريزية
 ولاواعية إلى اكتشاف تلامذة له . وهكذا انتزعت من
 وثنيته الزائفة ريكاردو رييس المستتر الذي اكتشفت
 اسمه الذي كنتُ أراه به فى تلك اللحظة فألصقته به .
 بغتة ومن اشتقاق معارض لا تُجاه ريكاردو رييس انبثق
 باندفاع مخلوق آخر من آلية الكتابة بلا توقُّف ولا
 تعديلات تدفَّقَ نشيد بحري لألبارودى كامپوس : نشيد
 موسوم باسمه المنسوب إلى شخص مُسمَّى . لا أدري
 ما الذى يمكن أن يُضاف إلى هذا الاعتراف .

يُقدِّم لنا علم النفس تفسيرات شتَّى « لهذه الظاهرة » .
 پيسوا نفسه الذى اهتم بحالته يطرح علينا تفسيرين أو
 ثلاثة . أحدها ذو طبيعة مَرَضِيَّة فَظَّة : « يُحتمل أن أَكُونُ
 هستيريا نوريسٲينيا ... وهذا ما يفسِّر ، جيِّداً أم سيئاً ،
 الأصل العضوى لأندادى » على أن أقول « أقلَّ » بدلاً من
 القول « جيِّداً أم سيئاً » . عَيِبُ هذه الافتراضات لا يكمن
 فى كونها باطلة : إنها غير مكتملة . المختل عَصَبِيًّا هو
 شخص ممسوس . لكن أنْعُدُ المتحكِّم فى اختلالاته
 مريضاً ؟

يعاني المختل من ضغط وساوسه . أما المبدع
 فيتملُّكها ويحوِّلها . يحكى پيسوا كيف أنَّه منذ كان طفلاً
 وهو يعيش وسط شخوص متخيِّلين .

« لا أدرى إن كانت الشخصى هى العديمة الوجود
أم أننى أنا الذى لا وجود له . لا ينبغى أن نكون
دوغمائيين فى مثل هذه الحالات » .

أندادُ بيسوا مُحاطون بكتلة من أنصاف مخلوقات .
بارون الـ Teive ؛ جان سيول الصحفى الفرنسى
الهجاء ؛ برنارد سوارس شبح الشبح الأكبر فيسنطى
غيدس ؛ باشيكو ، النسخة الرديئة من كامپوس ..
ليسوا كتاباً كلهم ؛ هناك م . ر . غروس المشاركون
مكّل فى مسابقات الألغاز والكلمات المتقاطعة فى المجلات
الإنجليزية (نصف معصوم حسب بيسوا ..)
والكسندر سيرش وآخرون .. وهذا كله - فضلاً عن
عزله وإيمانه الكحولى المتفطن وأمر أخرى عديدة -
يمنحنا أضواء حول مزاجه المتميز ، لكنه لا يفسّر لنا
أشعاره التى هى بحق الشئ الوحيد الذى يهمنى .

نفس الشئ يحدث مع فرضية « المنجم » التى
لا يستخدمها بيسوا الميال إلى التحليل زيادة على
اللزوم ، بما يكفى من انفتاح ، وإن كان لا يكفى عن
استحضارها .

معلوم أن الأرواح التى ترشد أقلام الوسطاء ، حتى
وإن كانت أرواح يورويپيدس أو فكتور هيجو توحى
ببلادة أدبية مضلّة . ثم آخرون يجازفون بالقول إن

الأمر يتعلق بتزييف . الخطأ هنا ينطوى على فظاظة مضاعفة . فلا پیسوا كذّاب ولا عمله خدعة . ثمة شئ ما على درجة فظیعة من الابتذال فى العقلية الحديثة : الناس الذين يتساهلون مع كل أشكال الأكاذیب الشنیعة فى الحياة الواقعية ، وكل .. الواقعیات .. القمیئة لا یطیقون وجود الأسطورة . وتلك هى حقيقة عمل پیسوا : إنّه أسطورة وتخیل . أن ننسى أن كایيرو ورییس وکامپوس مخلوقات شعرية معناه أننا ننسى أكثر من اللازم . وكما هو الشأن فى كل إبداع فإنّ أولئك الشعراء قد ولّدوا من اللعب . الفن ضرب من اللعب ، فضلاً عن أمور أخرى ، لكن لا یوجد فن بدون لعب .

إن صحة وجود الانداد متوقّفة على تماسکها الشعرى ، وعلى احتمالیاتها وبهذا المعنى فهى مخلوقات ضرورية . إذا لم یکن على پیسوا أن یکرّس حیاته کى یعيش مخلوقاته ویبدعها ؛ ما یحکيه الآن لا یتعلّق بما إذا كانوا ضروریین لنا نحن أیضا . فپیسوا قارئهم الأول ، لم یرتّب فى واقعیتهم . لقد توصّل ریس وکامپوس إلى قول مالم یکن ليقوله هو . بمناقضتھم له أظهروه ، وبإظهارهم له أجبروه على الابتکار . نحن نکتب من أجل أن نكون من نحن أو من أجل ذلك الذى لسنا إیاه ،

وسواء فى هذه الحالة أو تلك فإنما عن ذواتنا نبحث .
 وإذا حالفنا الحظ فى أن نعثر على ذواتنا - كعلامة على
 الإبداع - نكتشف أننا عبارة عن مجهول . دائما الآخر ،
 دائما هو ، غير مفصول ، غريب مع وجهك ووجهى ،
 وأنت دائما معى ودائما وحيد .

إنَّ الأنداد ليسوا بأقنعة أدبية : « ما يكتبه فرناندو
 ييسوا ينتمى إلى صنفين من الأعمال نستطيع
 تسميتهما : heteroninos y ortonimos ⁽⁴⁾ . لا ينبغي
 اعتبار الأنداد من قبيل الأعمال المجهولة المؤلف
 أو المنتحلة ؛ لأنها ليست كذلك فى الحقيقة . العمل
 المنتحل أو المستعار الاسم ينتمى للمؤلف بشخصه
 الحقيقى إلا إذا وقَّعه باسم آخر . أما التُّدِيد فهو المؤلف
 خارج شخصيته ... » . جيراردو نرفال هو الاسم
 المستعار لـ جيرار لافرونى . كاييرو هو شخص آخر فى
 ييسوا : يستحيل أن نقع فى الخلط . حالة أنطونيو
 ماشادو هى الأقرب إلينا . أبيل مارتين وخوان دى ما
 يرينا ليسا كل أنطونيو ماشادو ؛ إنَّهما قناعان . لكنهما
 قناعان شفافان : لا يختلف أى نص لماشادو عن آخر لما
 يرينا . وعلاوة على ذلك فماشادو ليس ممسوساً من
 قبل تخيلاتهِ ، فهى ليست مخلوقات مقيمة بداخله
 تناقضه وتَنَفِيهِ .

وعلى العكس من ذلك ، فكاييرو ، ريبس وكامپوس

هم أبطال رواية لم يكتبها بيسوا أبداً « أنا شاعر
 دراماتيكي » يصرّح بيسوا فى رسالة له إلى ج . غ
 سيمويس . ومع ذلك فعلاقة بيسوا بأنداده لا تتطابق مع
 تلك التى تجمع الكاتب المسرحى أو الروائى بشخصياته .
 إنّه ليس مخترع شخوص - شعراء ، بل مبدع أعمال
 لشعراء . الفارق إذن رئيسى . كما يقول كسايس
 مونتيرو : « لقد ابتكر سيرا للأعمال ولم يبتكر أعمالاً
 للسير » تلك الأعمال - بالإضافة إلى قصائد بيسوا
 المكتوبة فى مواجهتها ولأجلها وضدها فى نفس الآن -
 هى أثره الشعرى . وهو نفسه سيتحوّل إلى مجرد عمَل
 من جملة أعماله الشعرية ، من دون أن يملك حتى
 امتياز أن يصير ناقداً لتلك الرزمة من مخلوقاته النّديّة
 أو المستعارة . فرييس وكامپوس يعاملانه بنوع
 من التعجرف . بارون الـ Teive لئاماً يُحييه . فيسنطى
 غيدس الوثائقى يشاكلة كثيراً إلى حدّ أنّه عندما
 يصادفه فى حانه أحد الأحياء يشعر بقليل من الرّافة
 تجاه ذاته . فهو الساحر والمسحور بسحره ، المسوس
 كلية من طرف أشباحه حيث يشعر بنفسه أسيراً
 لنظراتها ، ربما تحتقره ، ربما تشفق عليه . إنّ
 مخلوقاتنا تحكم علينا .

البرطوكاير هو معلّمى . يشكل هذا التأكيد الحجر
 الأساس لكل أثره الأدبى . وبإمكانى أن أضيف : إن عمل

كايريرو هو التأكيد الوحيد الذي قَدَّمه پيسوا . كايريرو هو الشمس وحولها يدور ريبس وكامپوس وپيسوا نفسه . جميعهم ينطوون على ذرَّات من النفى واللاواقعية : ريبس يؤمن بالشكل . كامپوس بالإحساس . پيسوا بالرموز . أما كايريرو فلا يؤمن بشئ : إنه موجود فحسب . الشمس هى الحياة مترعة بذاتها . ليس للشمس نظر . كل إشعاعاتها هى نظرات متحوِّلة إلى حرارة ونور ؛ وليس للشمس وعى بذاتها ، لأن التفكير والكيونة فعل واحد فى ذاته .

كايريرو هو نقيض پيسوا ، هو اللاپيسوا . وعلاوة على ذلك كل ما لا يستطيع أن يكونه أى شاعر حديث : الإنسان المتصالح مع الطبيعة ، قبل المسيحية ، أجل ، ولكن قبل ظهور العمل وقبل التاريخ وقبل الوعى . يرفض كايريرو ، لأجل الفعل الصرف للوجود ، ليس الإسطيطيقا الرمزية لپيسوا فحسب ، بل كافَّة الإسطيطيقات ، كافة القيم ، كافَّة الأفكار . أوْلمْ يتبقَّ شئ ؟ يبقى كل شئ منقى من أشباح وهكَلِ الثقافة إنَّ العالم موجود لأنَّ حواسي تقول لى ، ذلك . وتقول لى فى نفس الآن ، إننى أيضاً موجود . أجل . سأموت . وسوف يموت العالم . غير أنَّ الموت أيضاً حياة . تأكيد كايريرو يُلغى الموت . إذ بإبطاله الوعى ، يُبطل العدم . وهو لا يجزم بأنَّ كون كل شئ

موجود هنا معناه الإقرار بفكرة ما . يقول : الكل يوجد .
الكل موجود . وأكثر من ذلك يقول : إنه فحسب ما هو
موجود . وما تبقى محض أوهام . يتكفل كامبوس
بوضع النقطة فوق الحرف : « لم يكن معلّمى وثنيًا ، كان
الوثنية بعينها » أمّا أنا فأقول : لقد كان فكرة ما عن
الوثنية .

لم يتردد كاييرو حتى على المدارس ⁽⁵⁾ ، وحينما
بلغه أنهم يطلقون عليه لقب « شاعر المادة » أراد أن
يعرف ما هذا المذهب الذي نُسب إليه . عند سماعه
تفسير كامبوس لم يُخفِ أندهاشه : « إنها فكرة
قساوسة من غير دين . تقولون إنهم يقولون الفضاء
غير متناه ؟ أودُّ أن أسألكم في أيّ فضاء شاهدوا ذلك ؟ »
وأمام ذهول تلميذه أكّد كاييرو أن الفضاء متناه : « ما لا
حدود له ليس له وجود ... » فرّد عليه الآخر : « وماذا
عن الأرقام ؟ بعد رقم 34 يأتي 35 ثم 36 وهكذا على
التوالي ... » ظلّ كاييرو ينظر إليه بشفقة : « لكنها مجرد
أرقام ! » ثم تابع قائلاً بطفوليّة عجيبة : « هل يوجد رقم
34 في الواقع ؟ » . هناك طرفة أخرى : سألوه ذات مرة :
« أسعيد أنت مع نفسك ؟ » فأجاب : « لا .. أنا سعيد » .
كاييرو ليس فيلسوفاً . إنّه حكيم . المفكرون إنما يملكون
أفكاراً ، بالنسبة إلى الحكيم . العيش والتفكير فعلاً لا
ينفصلان ؛ لذلك يستحيل عرض أفكار سقراط على

لا وتسو . لم يخلف الحكماء عقائد ، بل حَفَنَة من التعاليم
والالغاز والقصائد . شاوونغتسى أكثر أمانة وصدقاً من
أفلاطون . فهو لا يدعى إبلاغنا فلسفة ما ، بل فقط
يقصُّ علينا بضع حكايات . الفلسفة غير منفصلة عن
الحكاية . هي الحكاية ذاتها . مذهب الفيلسوف يحثه
على النقض ، بينما حياة الحكيم لا تقبل أى نقض
أو دحض . مامن حكيم قال بإمكان تَعْلَم الحقيقة .
مَا قاله كُلُّ الحكماء أو جُلُّهم ، هو ان الشئ الوحيد الذى
يستحقُّ أن يعاش هو تجربة الحقيقة . نقطة الضعف فى
كايريرو لا تمكن فى أفكاره (التى هى مصدر قوته) بل
هى مُتَضَمِّنة فى لاواقعية التَّجربة التى تقول بالتجسيد .

آدم فى إحدى المزارع البرتغالية بدون امرأة ، بدون
أطفال وبدون إله : بلا وعى ولا عمل ولا دين . إحساس
من ضمن أحاسيس ، كينونة من بين كينونات شتى .
إذا كان الحجر حجراً فإنَّ كاييرو هو كاييرو فى هذه
اللحظة . أمّا فيما بعد فكل واحد سيصير غير ما كانه أو
يبقى مثلما كان . سيان هو أم مختلف : الكل سيان لأن
الكل مختلف ، إن التسمية هى الكينونة . فاللفظة التى
نسعى بها الحجر ليست الحجر ، لكنها تملك واقعية
الحجر ذاتها . لا يقترح كاييرو تسميات للكائنات ؛ لذلك
لا يقول قط ما إذا كان الحجر عقيقاً أم حصاة . وهل
الشجرة شجرة صنوبر أم شجرة بلوط . كما أنَّه لا

يحاول تحقيق أيّ علائق مع الأشياء . إن لفظة « كَأَنَّ »
لأتردُ البتة في معجمه . كُلُّ شَيْءٍ مغمور بواقعيته
الخاصة . وإذا كان كاييرو يتكلم فلأنَّ الإنسان حيوان
ناطق مثل العصفور الذي هو حيوان مجنح . ينطق
الإنسان تماماً مثلما يجرى النهر مثلما يهمل المطر .
الشاعر الفطري ليس بحاجة إلى تسمية الأشياء ؛
كلماته أشجار ، غيوم ، عناكب وسحالي . لا تلك
العناكب التي أشاهدها ، بل تلك التي أتلفظُ بها . يُصابُ
كاييرو بالدهشة أمام فكرة كون الواقع يتعدّر الإمساك
به : إنه هناك . في مواجهتنا ، حَسْبُنَا لمسه ، حَسْبُنَا
النطق .

لن يكون عَسيراً أن نثبت لكاييرو أنَّ الواقع
ليس أبداً في متناولنا ، وأنَّ علينا أن نسعى لتملُّكه (مع
ما في ذلك أيضاً من مجازفة أن يتبخَّر في أيدينا مع
فعل الإمساك به أو يتحوَّل إلى شيء آخر : إلى فكرة ، أداة
إلخ) . إنَّ الشاعر الفطري أسطورة ، لكنه أسطورة
تؤسس القصيدة . يعلم الشاعر الواقعي أنَّ الكلمات
والأشياء لا تتماثل ، ولذلك ومن أجل استعادة وحدة
مؤقته بين الإنسان والعالم ، يلجأ إلى تسمية الأشياء
بواسطة الصور والإيقاعات والرموز والمقارنات .
الكلمات ليست أشياء ؛ إنها الجسور التي نمدها بيننا
وبين الأشياء . أمَّا الشاعر فهو وعى الكلمات أي ؛ أنه

نوسطالجيا واقعية ، واقع الأشياء . أكيد أن الكلمات قبل أن تصير أسماء كانت أشياء . كذلك كانت فى أسطورة الشاعر الفطرى قبل ظهور اللغة . إن الكلمات الغامضة لدى الشاعر الواقعى تستحضر فى طياتها النطق السابق على ظهور اللغة ، تستحضر ذلك التقابل الفردوسى المتوائم . النطق الفطرى الأول ، الصمت الذى لا يقال فيه شئ ؛ لأن كل شئ قد قيل . كُلُّ شئ ينقال . من هذا الصمت الذى هو نطق بكر تتغذى لغة الشاعر . لقد كان پيسوا الشاعر الواقعى والإنسان المتشكك فى حاجة إلى خلق شاعر فطرى كى يُبرر قصيدته هو .

إن ريبس وكامپوس وپيسوا يتلقظون بكلمات مئة ومؤرخة ، كلمات ضياع وتشتيت ، هى بمثابة هاجس أو نوسطالجيا الوحدة المفقودة . ونحن نسمعها من أعماق صمت تلك الوحدة . ليس من قبيل الصدفة أن يموت كاييرو شاباً . قبل أن يبدأ تلامذته فى إنتاج أعمالهم ، فهو الأساس الذى عليه يقومون ، وهو الصمت الذى يتغذون منه .

أكثر أنداد پيسوا طبيعية وبساطة هو أقلهم واقعية . وهو كذلك لأنه واقعى أكثر من اللازم . إن الإنسان ، الإنسان الحديث خاصة ، ليس مكوناً من كل

ما هو واقعى فحسب . ليس كائنات متلاحماً كالطبيعة أو الأشياء ؛ الوعى بالذات هو حقيقته المتهافئة . كاييرو هو التاكيد المطلق للوجود . ومن ثم تبدو لنا كلماته بمثابة حقائق من زمن آخر ، من ذلك الزمن الذى كان الكل فيه واحداً غير متجزئ والكل فيه نفس الكل . أما الحاضر فما أشد رهافته وزئبقيته : مانكاد نسميه حتى يتبحر ! إن قناع السذاجة الذى يعرضه علينا كاييرو ليس هو الحكمة : أن نكون حكماء معناه أن نكف عن معرفة أننا لسنا سذجاً . پیسوا الذى كان يعرف ذلك كان الأقرب إلى الحكمة .

البارودى كامپوس هو الطرف الآخر . يعيش كاييرو فى الحاضر اللازمى للأطفال والحيوانات . بينما المستقبلى كامپوس يعيش فى اللحظة . بالنسبة للأول قريته هى مركز العالم . أما الآخر فهو كونه لا مركز له ، وهو منفى فى ذلك اللامكان الذى هو كل الأمكنة . ومع ذلك فهما يتشابهان : معاً يستخدمان الشعر الحر ، معاً ينتهكان اللغة البرتغالية ، معاً لا يتجنبان الركاكة ، ولا يؤمنان سوى بما تلمسه أيديهما ، معاً يزدريان الأفكار وخارج التاريخ يعيشان . كاييرو الشاعر الفطرى ، هو من لم يستطع پیسوا أن يكونه ؛ كامپوس المتصعلك هو من كان بإمكانه أن يكونه ولم يكنه . إنهما يمثلان الإمكانيتين المستحيلتين الأساسيتين اللتين أتيحتا لپیسوا .

تمتلك قصيدة كامبوس الأولى نشيد الظفر أصالة
خادعة . فهي في الظاهر صدى لامع لويتمان
والمستقبليين . هي نشيد لا يمكن أن يُقارَن إلا بتلك
القصاصد التي كانت تكتب في نفس تلك السنوات ، في
فرنسا وروسيا وأقطار أخرى⁽⁶⁾ ، لكن الفارق ملموس .
فويتمان آمن فعلياً بالإنسان وبالآلات ، أو بعبارة أفضل
: آمن بأن الإنسان الطبيعي لم يكن مُعادياً للآلات .
عقيدة وحدة الوجود لديه تستوعب حتى الصناعة .
والقسم الأكبر من أخلافه لا يسيروا في نفس اتجاه
تخيلاته ، بعضهم يرى في الآلات لعباً مدهشة . إننى
أفكر في فاليري لاربو⁽⁷⁾ وفى Su Barnabooth الذى له
أكثر من شبه مع البارودى كامبوس . إن موقف لاربو
تُجاه الآلة هو موقف أبيقورى . موقف المستقبلين منها
موقف رؤيوى ، فهم ينظرون إليها كما لو كانت الدركى
المدمر للإنسانية الزائفة و « للإنسان الطبيعي » تبعاً
لذلك . لا يقترحون أنسنة الآلة ، بل بناء نوع إنسانى
جديد مشاكل لها . الاستثناء هو ماياكوفسكى . لا ، ولا
حتى مايكوفسكى . أما « نشيد الظفر » فليست قصيدة
أبيقورية ولا رومانطيقية ولا ظفرية : إنها نشيد غضب
واندحار ، وفى هذا تكمن أصالتها .

المصنع هنا عبارة عن « منظر استوائى » مأهول
بحيوانات عملاقة وشهوانية ، بجماع لانهاى للعجلات
والرُزم والبكرات ، حيث الإيقاع الميكانيكى يتضاعف

وجنة الحديد والكهرباء تتحول إلى قاعة تعذيب .
الآلات هي أجهزة الجنس الهدامة : لَكُمْ أحب كامپوس
أن تطحنه تلك اللوالب الفوارة : هذه الرؤية الشاذة
هي ، فى الواقع ، أقل فانتسطيكية مما تبدو وهي
ليست مجرد وسواس خاص بكامپوس . الآلات هي
التناسل والتبسيط وتكاثر الأنساق الحيوية . وهي
تَفْتَنُنَا وتبعث فينا القشعريرة ، لأنها تمنحنا الانطباع
الأنى للذكاء واللاشعور : كُلُّ مَا تَفْعَلُهُ تَفْعَلُهُ بإتقان ،
لكنها لا تعرف ماذا تفعل . أليست هذه سمة من سمات
الإنسان الحديث ؟ غير أن الآلات هي فقط أحد وجهى
الحضارة المعاصرة . الوجه الآخر هو الاختلاط
الاجتماعى .

بالصراخ تنتهى « نشيد الظفر » ؛ إذ يفقد
البارودى كامپوس ، وقد تحول إلى حزمة ، طرد ، عجلة ،
القدرة على استخدام الكلمات : فيلجأ إلى الصغير ، إلى
الصُرير ، يقرع الأجراس ، يدق بعنف ويدوى ثم ينفجر .
كلمة كاييرو تستدعى وحدة البشر والحجر والحشرات .
أما كلمة كامپوس فتستحضر الصخب المتقطع
للتاريخ . ألوهية الكون وألوهية الآلة ، إذن ، شكلا
لإلغاء الوعى .

قصيدة طبكيرية هي قصيدة الوعى المستعاد . إذا
كان كاييرو يتساءل : ماذا أكون ؟ فإن كامپوس

يتساءل : من أكون ؟ من غرفته يتأمل الشارع :
السيارات ، المارّة الكلاب . الكل حقيقى والكُل وهمى .
الكل قريب والكل بعيد . فى المقابل يظهر صاحب
الطبكيرية ويختفى واثقاً من نفسه مثل إله ، معمى
مبتسماً مثله .. وهو يفرك يديه كأنه الأب الرب وقد
فرغ لقوه من عملية الخلق المريعة . يصل إستيبا إلى
مغارته - معبده - كوخه ، إستيبا اللامبالى الذى بلا
ميتافيزيقا يتكلم ويأكل . له عواطفه وآراؤه السياسية
وهو يحرس أيام العطل الجديرة بأن تُحرس . ومن
نافذته ، من وعيه يتابع كامپوس المهرجّين فيرى من
خلالهما ذاته . أين تُوجد الحقيقة ؟ فى ذاتى أم فى
إستيبا ؟ يتسم صاحب الطبكيرية ولا يجيب . إن
كامپوس الشاعر المستقبلى يبدأ بالتأكيد على أن
الإحساس هو الواقع الحقيقى الأوحى ؛ بعد سنوات
سوف يتساءل عما إذا كان هو نفسه ذا وجود واقعى
بالفعل .

بالغاء كاييرو لوعيه بذاته ، يلغى التاريخ ؛ أما الآن
فالتاريخ هو الذى يُقصى كامپوس . حياة هامشية تماماً
: فإخوته ، إن كان له إخوة ، هم المشردون ، والمومسات
والتكيس ، والشحاذ ، وأوباش العلية والأسافل . ليس
لتمرّده أيّة صلة بأفكار الخلاص أو العدل : « كلا ، كل
شئ مقبول ماعدا أن نكون على حق ! كل شئ ماعدا أن
تقلبنى بشئون الإنسانية ! كل شئ ماعدا الانقياد

للإنسانية !» كامپوس يتمرد كذلك على فكرة التمرد ذاتها . فهو ليس نتاج فضيلة أخلاقية ، أو وَضْع مُعَيَّن للوعي ، إنَّه الوعي الصادر عن إحساس خاص : « ريكاردو ريبس وثني عن إيمان ؛ أنطونيو مورا عن ذكاء ؛ أنا وثني عن تمرد وهذا عن جبلة » . عطفه على البؤساء مصطبغ ببعض الازدراء ، ازدراء يحسه تجاه نفسه قبل كل شيء :

أشعر بعطف نحو جميع أولئك الناس
خاصة عندما لا يستحقون أيَّ عطف
أجل ، أنا أيضاً صعلوك وشحاذ .

أن تكون صعلوكاً وشحاذاً لا يعني أنك صعلوك
شحاذ .

يعني أنك موجود خارج التراتب الاجتماعي ...
يعني ألا تكون قاضى القضاة ولا الموظف المسمّر
فى وظيفته ،

ولا المومس ، أو العديم المهابة ، العامل المستغل ،
المريض

بداء عضال ، أو المتعطش للعدالة ، أو قبطان
الفرسية ،

يعنى ألا تكون ، فى النهاية ، واحداً من تلك

الشخصيات الاجتماعية لدى الروائيين الذين أتخموها
حروفاً ؛ لأنّ لهم موضوعاً يستثير دموعهم .

والذين يتمردون على الحياة الاجتماعية ؛ لأنهم
يظنّون أن لهم أسباباً للتمرد »

إنّ تصعلكّه وكُدَيْتّه لا تقع تبعتهما على أى ظرف
من الظروف ؛ إذ لا فكاك منهما ولا علاج لهما . أن أكون
صعلوكاً هكذا هو ؛ « أن أكون وحيداً مع رُوحى » وفيما
بعد ، وبذلك الحفاظ الفضاائية التى ميّزت ببسوا ؛ « لا
أتوفّر حتى على تعلّة هى ملكة اكتساب آراء اجتماعية ...
أنا واع . لا مجال للإستطبيقا مع حكايات القلب هذا . أنا
واع . خراء . واع أنا . »

إن الوعى بالمنفى هو علامة ثابتة للقصيدة الحديثة
منذ قرن ونصف . لقد جعل جيراردو نرفال من نفسه
أميراً لأكيتانيا ؛ أما ألبارودى كامبوس فقد اختار لنفسه
قناع المتصعلك . الانتقال هنا كاشف . تروبادور هو أم
شحاذ ؟ ماذا يخفى هذا القناع ؟ لا شئ ربما . ما الشاعر
إلّا وعيه بذاته ، وعيه بلا واقعيته التاريخية . ولا يَغْرِقُ
المجتمع فى لاشفافيته الخاصة إلّا عندما ينسحب ذلك
الوعى من التاريخ . ويعود إستيبا أو صاحب الطبكيرية
إلى موقعه . لن نعدم من سيقول ؛ موقف كامبوس ليس
« إيجابيا » . كسايس مونتيرو قدّم جواباً مفحماً
بخصوص مثل هذه الآراء النقدية ؛ « أعمال ببسوا هى

فى الواقع أعمال سلبية لاتصلح كنموذج أو قدوة لا
تعلمنا أن نكون حاكمين ولا أن نكون محكومين . بل هى
تصلح للنقيض تماما : لإفساد النفوس » .

كاميوس لا ينطلق ، مثل كاييرو ، ليكون كل شىء ،
بل ليكون الجميع ويوجد فى جميع الجهات . إن كمن
السقوط فى التعدد يؤدى بفقدان الهوية . ريكاردو
رييس (8) يختار الإمكانية المضمرة فى قصيدة أستاذة .
إذا كان كاميوس صعلوكاً فإن رييس ناسك . ونسكه
فلسفة وشكل . فلسفته خليط من الرواقية والأبيقورية .
أما الشكل فهو الهجاء والنشيد والثناء على غرار
الشعراء النيوكلاسيكيين . ، وتظهر النيوكلاسيكية فقط
من حيث هى نوع من النوسطالجيا ، أى من حيث هى
رومانطيقية مجهولة أو متنكرة .

بينما كان كاميوس يكتب مونولوجاته المطولة
الأقرب ، كل مرة ، إلى التأمل الباطنى منها إلى النشيد ،
كان صديقه رييس يحكك أناشيد قصيرة حول اللذة ،
هروب الزمن ، ورود ليديا ، حرية الإنسان الخادعة ،
بطلان الآلهة . لقد تلقى تعليمه فى معهد (الجزويت)
اليسوعيين ، واحترف مهنة الطب . فلكى النزعة . نفى
إلى البرازيل منذ 1919 . وثنى متشكك عن عقيدة .
لا تينوى عن تعلم . خارج الزمن يعيش رييس . يبدو ،
وهو ليس كذلك ، إنساناً من الماضى . لقد اختار أن يحيا
فى حكمة لا زمنية . منذ زمن قريب أشار سيورن إلى

أنَّ قرننا هذا الذى اخترع الكثير من الأشياء ، لم يتوصل إلى ابتكار ما نحن بأمسِّ الحاجة إليه . وليس من الغرابة فى شئ أن يلجأ البعض إلى البحث عن هذا الذى ينقصنا فى التقليد الشرقى : فى الطاوية ، بوذية الزن ، الواقع أن رواقية ريبس هى صيغة تخلُّ عن الوجود فى العالم من دون تخلُّ عن الوجود فيه . وإنَّ لأفكاره السياسية معنى مشابهاً : فهى ليست مشروعاً أو برنامجاً ، بل نقياً لوضع معين لأشياء معاصرة . هو لا يكره المسيح ولا يحبه ؛ ييغض المسيحية وإن كان يُقرُّ فى النهاية عندما يفكر فى يسوع بكون « أسلوبه المظلم المؤلم قد حملَ إلينا ما كان ينقصنا » . إنَّ القدر هو الإله الحقيقى عند ريبس ، والجميع بشراً وأساطير خاضعون لجبروته .

الشكل لدى ريبس عجيب رتيب ، مثل كل شئ مصنوع بإتقان . إنَّ تلك القصائد القصيرة تُشعر بوجود مزيج خبير ومقطر من النيوكلاسيكية البرتغالية ومن الأنطولوجية الإغريقية المترجمة إلى الإنجليزية . ومسألة تقويم لُغته أقلقَّت بيسوا غير ما مرَّة ، يقول : « يكتب كاييرو البرتغالية سيئا . كامپوس يفعل ذلك بطريقة معقولة ، رغم ارتكابه لهنات مثل « yopropio » بدل « yo mismo » ، ريبس أفضل متى مع نقاوة اعتبرها مفرطة » . إن المبالغة المُسرَّنة لكامپوس تتحوَّل بفعل حركة طبيعية جداً من

التعارضات إلى دقة ريبس المبالغ فيها .

لا الفلسفة ولا الشكل بقادرين على تبرير وجود ريبس . إلا إذا كانا يُريدان تبرير الشبح وحده . لأن الحقيقة هي أن ريبس لا وجود له وهو يعلم ذلك . بإشراق أكثر مضاءً من ذلك الذي عبّر عنه كامپوس نجد ريبس يتأمل :

لا أدري ممن جاءني تذكر ماضى .

آخر كنت ، لا أكاد أتعرف على ذاتي .

عندما أستشعر مع روى تلك الروح الغريبة .

التي أتذكرها ساعتئذ .

من يوم لآخر ، سوف نهجر أنفسنا

لا شيء مؤكداً يربطنا بذواتنا

نحن هم من نحن الآن

ماكناه هو ما يرى من الداخل .

المتاهة التي يضيع فيها ريبس هي ذاته بعينها . والنظر الداخلية للشاعر ، وهي شيء مختلف تماماً عن التأمل الباطني ، تقرّبه من پيسوا . وهما وإن كانا يستعملان أوزاناً وأشكالاً ثابتة فليست التقليدية هي ما يجمعهما لأنهما ينتميان إلى تقليدين مختلفين . ما يوحدتهما هو الإحساس بالزمن ، لا كشيء يمرّ أمامنا ،

وإنمّا كشيء يَغْدُو نَحْنُ هُوَ .

كاييرو وكامپوس أسيرا الزمن الآنى يؤكدان
الكينونة أو غياب الكينونة عبر الجرح نفسه .. ريس
وبيسوا فى المسالك الوعرة لفكريهما يضيعان . وفى
أحد المنعرجات يدرك أحدهما الآخر . وبذوبانهما فى
ذاتيهما معاً يغرقان فى معانقة الظل . إنَّ القصيدة ليست
تعبيراً عن الكائن ، بل هى إحياء لذكرى لحظة ذلك
الذوبان ، ذلك الأثر الخواء . پيسوا سَيُشِيدُ معبداً
للمجهول . ريس القنوع يكتب هجاء هو بمثابة كتابة
قبرية :

يمكن للقدر أن يمنع عني كل شيء
سوى أن أراه : رواقى بدون خشونة
سأتلذذ ، حرفاً حرفاً ، بالحكم
الذى أصدره القدر .

يستشهد البارودى كامپوس بجملة لريكاردو
ريس : أكره الكذب لأنه عديم « الدقة » وهى جملة يمكن
أن نطبّقها على پيسوا شريطة عدم خلط الكذب بالتخيل
و« الدقة » بالصرامة : قصيدة پيسوا فائقة الدقة مثل
رسم خطى ، مثل الموسيقى دقيقة ومركّبة . إنّه شاعر
مركّب ومتعدّد يتحرك فى اتجاهات مختلفة : النثر ،
الشعر بالبرتغالية ، والشعر بالإنجليزية (ينبغى أن

ننسى قصائده المكتوبة فى الفرنسية) أعماله النثرية التى لم تُنشرَ كاملةً بعد . يمكن بعد تصنيفها إلى صنفين كبيرين : ما وقَّعه باسمه ، وما كتبه بأسماء مستعارة نذكر منها أساساً . بارون الـ Teive الأرستقراطى ، و برنارد سواريس متعاطى التجارة ... وفى فقرات متعددة يشدّد بيسوا على أنهما ليسا من الأنداد .. « كلاهما يكتب بأسلوب هو أسلوبى ، جيّدٌ كان أم رديئاً ... » الوقوف عند القصائد الإنجليزية ليس ضرورياً : لأنها - حسبما يبدو لى - ذات صلة قويّة بالشعر الإنجليزي ، بدون التقليل من أهميتها الأدبية والسيكولوجية .

أما الأعمال الشعرية بالبرتغالية منذ 1902 حتى 1935 فتضم « رسالة » القصيدة الغنائية ، وكذا القصائد الدرامية وهى ذات قيمة هامشية حسب رأى ، إذ حتّى لو أقصيناها فسيبقى عمل شعريّ متنوع وشاسع فى متناولنا . لكنّ هناك فارق أولى : جميع « الأنداد » يكتبون فى نفس الاتجاه وفى نفس التيار الزمنى . أما بيسوا فيتفرّع كالدُّلتا وكل ذراع من ذراعيه تقدّم لنا صورة أو صوراً للحظة واحدة .

فى « رسالة » تتفرّع القصيدة الغنائية ، وفى ديوان الأغانى (مع تلك القصائد المتفرّقة وغير المنشورة) والقصائد الهرمسية . إن الترتيب ، كما يحدث دوماً ، غير مطابق للواقع « فديوان الأغانى »

كتاب رمزي مشبع بالهرمسية وإن كان الشاعر لا يستخدم التقليد الباطني من الناحية التعبيرية . و « رسالة » هي فوق كل شيء كتاب في علم أشعرة الأشراف heraldica الـ heraldica تمثل قسماً من السيمياء ... وتبقى القصائد الهرمسية في شكلها وروحها قصائد رمزية : وإدراك محتواها لا يتطلب أن يكون المرء معلماً من الأقطاب ... إنها تتطلب كسائر آثاره أصعب وأرفع درجات التفهم الروحي .

أن نكون على بينة من اهتمام رامبو بالقبالة وبمطابقته بين القصيدة والسيمياء هو شيء مفيد ولا شك ، لأنه يقربنا من عمله الذي يتطلب منا إلى جانب ذلك وبُغية التغلغل في عالمه ، شيئاً أكثر وشيئاً أقل : لقد حدّد بيسوا ذلك المطلوب على هذا النحو : خفّة روح ، حدس ، فهم ، ذكاء ؛ ثم ما هو أصعب : تساهل ... لربما يبدو هذا التعداد مغالياً بعض الشيء . غير أنني لا أدرى كيف يمكن أن نقرأ بدون هذه الشروط الخمسة حقاً بولدليز وكولردج وبييتس . وفي جميع الأحوال فإن الصعوبات القائمة في قصيدة بيسوا هي أقل ممّا تُصادف في شعر هولدرلين ونرفال وملارمي من صعوبات ... القصيدة لدى الشعراء الأحداثيين هي نظام من الرموز والتناظرات مشابه لنظيره في العلوم الهرمسية ، مشابه لا مطابق . القصيدة كوكبة علامات هي سيّدة سطوعها الخاص .

لقد تصوّر بيسوا رسالة بمثابة طقس أو شعيرة ،
 أى باعتبارها كتاباً سرّياً ... وبالنظر إلى جانب الإتقان
 الخارجى يمكن أن نُعدّها عمله الأكثر اكتمالاً بيد أنّها
 كتاب مصنوع صنّاعاً ، لا أقصد القول بعدم شفافيته ، بل
 الإشارة إلى أنّه ليس وليد حُدوس الشاعر بل ، وليد
 التأمّلات وإعمال الفكر ... يبدو الكتاب للوهلة الأولى
 نشيداً يسبّح بأمجاد البرتغال متنبئاً بإمبراطورية
 جديدة (الخامسة) سوف تكون روحية هذه المرة
 لأمادية كما فى السابق ، وسوف تمتد هيمنتها إلى
 ما هو أبعد من المكان والزمن التاريخى (سيذكر
 القارئ المكسيكى « الجنس الكونى » لـ
 فاسكونسالىس) . إن الكتاب عبارة عن معرض
 لشخصيات تاريخية وأسطورية منقولة من واقعها
 ومحوّلة إلى مجازات تنتمى إلى واقع آخر . ومن غير أن
 يكون واعياً تماماً بما يفعل يُجرّد بيسوا تاريخ
 البرتغال إلى الفعل ، ويحلّ محلّه تاريخاً آخر روحياً
 خالصاً ينفيه . ولعل الطبيعة السرية لـ رسالة تمنعنا من
 قراءتها كمجرد قصيدة وطنية ، كما يُريد بعض النقاد
 الرسميين . لكن علينا أن نضيف أنّ رمزيّته لا تنقذه من
 وضوح مراميه . فلكى تكون الرموز رموزاً بحق لابد أن
 تتخلّى عن رمزيّتها وأن تصير مخلوقات حية حساسة
 لا موميאות فى متحف .

فى « رسالة » كما فى كافة الأعمال التى يتدخّل فيها

الجهـد الإـرادي أكثر ممّا يتدخّل الإلهام لا نجد إلا قصائد قليلة ترقى إلى تلك الدرجة من العذوبة المميّزة للشعر المنتمى للأدب الجميل . لكن القصائد القليلة تلك إنّما تحيا في نفس الفضاء السحري الذي تحيا فيه أفضل قصائد « ديوان الأغاني » إلى جانب بعض السوناتات الهرمسية . ما الذي يحويه هذا الفضاء ؟ يستحيل معرفة محتواه الفضاء هو فضاء القصيدة الخالصة ، هو منطقة حقيقية لمؤسسة . مضاعفة بضوء آخر . لا يهم أن تكون تلك القصائد قليلة . لقد قال جوتفريد بن : لا أحد ، ولا حتّى أكبر شعراء عصرنا خلّفوا أكثر من ثمان أو عشر قصائد في غاية الاكتمال . من أجل ست قصائد ، ثلاثون أو أربعون سنة من التنسك ، من المعاناة ومن الكفاح .

ديوان الأغاني هو عالم مكوّن من قليل من الكائنات وكثير من الظلال . لكن تنقصه الشمس المركزية ، تنقصه المرأة . في غيابها يضمحلّ العالم المحسوس ، لا أرض ولا ماء ، ولا إمكانية لتجسّد اللامحسوس . تنقصه الملذات المرعبة والمحرمّة . ينقصه الحب الذي هو الرغبة في كائن أوحد أيّا كان . هنالك شعور مبهم بالأخوة تجاه الطبيعة : أشجاراً ، غيوماً ، حجراً . تجاه كل ما ينفلت وكل ما هو معلق في فراغ الزمن . إنّ لا واقعية الأشياء هي انعكاس للواقعية نحن . ثمت إنكار وضجر وغم .

فى كتاب القلق الذى لا نعرف عنه سوى بعض المقاطع ⁽⁹⁾ يصف پيسوا وضعه الأخلاقى قائلاً : أنتمى إلى جيل ترعرع مجرداً من الإيمان بالمسيحية . ثم افتقد هذا الإيمان فى كل المعتقدات الأخرى ؛ لم نَكُنْ متحمسين للمساواة الاجتماعية أو للجمال أو التقدم ؛ ولَا كُنَّا نبحث عن طرائق دينية أخرى فى المشرق أو المغرب (« مامن حضارة إلا وهى منتسبة إلى الدين الذى يمثلها : بفقداننا ديننا فقدنا أنفسنا جميعاً ») . بعضنا تفرَّغ لَغزو اليومى . بعضنا الآخر من طينة أفضل : انسحب أو بالأحرى انسحبنا من الانشغال بالقضايا العامة بدون أن نتعلَّق بشئ أو نرغب فى شئ . آخرون مثلاً استسلموا لعبادة الصخب والإلبهام : يحسبون أنهم يَحْيُونَ إذ ينصت بعضهم إلى بعض ، وَيَحْسَبُونَهُ حَبًّا احتكاكُهُمْ بقشور الحب ... أما بعضنا الآخر ممن ينتمى إلى السلالة الأخيرة ، سلالة نهاية الحضارة أو الحد الروحى الأقصى لساعتنا الميَّنة فقد اخترنا العيش فى نفى دائم بِرَم مغموم . هذه الصورة ليست صورة پيسوا بيد أن القعر الذى يبرز فيه وجهه متداخلاً أحياناً عديدة معه . الحد الروحى للساعة الميَّنة . أجل : إنَّ الشاعر إنسان خَاو يلجأ ، وقد تخلَّت عنه العناية ، إلى خلق عالم خاص به كى يكتشف هويَّته الحقيقية ... كل عمل من أعمال پيسوا هو سعى محموم وراء الهوية المفقودة . يقول فى إحدى قصائده المستحضرة بكثرة :

« مُرَّاء هو الشاعر يبلغ من المراءاة حدًا يجعله يدعى
بأنه ألم فظيع هو ذلك الألم الذي يحسُّه بالفعل ». وهو
« إذ يقول الحقيقة يكذب . وإذ يكذب يَقُول الحقيقة » .
لسنا أمام اسطيطيقا معينة ، بل نحن ببساطة أمام فعل
إيمان . القصيدة هي بمثابة كشف عن لواقعية هذا
الفعل :

بين ضوء القمر وأوراق الشجر

بين الهدوء وممر الأشجار

بين الليل المخيم والنسيم العليل

يمرُّ سرٌّ

فتتبعه رُوحى مقتفية أثره .

أهو ييسوا ذاك الذى يمرُّ أم شخص آخر ؟ سؤال
يتكرّر طوال توالى القصائد والأعوام . وهو لا يدري
إن كان ما يكتبه ينتسب إليه حقاً ، أو بالأحرى يدري
إن كان هو بالفعل فإنه ليس أبداً هو . « لماذا أحكم
مخادعاً بأن ما هو لى إنما هو لى ؟ » إن البحث عن الأنا
- مفقوداً وموجوداً ومفقوداً مرة أخرى - ينتهى إلى
الاشمئزاز :

« إنه الغثيان ، اللاشئ : أن نُوجد لأجل الأ نموت » .

من خلال هذا المنظور فقط نستطيع إدراك المدلول
القبالى « للأنداد » . فهم ابتكار أدبى وضرورة

سيكولوجية معاً . غير أنهم أكثر من ذلك . إنهم بصيغة من الصيغ أولئك الذين كان باستطاعة ييسوا أن يكونهم أو من كان يريد أن يكونهم ؛ ولنقل بتعبير أعمق : إنهم بالذات مالم يكن يرغب فى أن يكون : مجرد شخصية من الشخصيات ... فى الحركة الأولى يصنعون قطيعة مع المثالية ومع المعتقدات الفكرية لصانعهم . وفى الحركة الثانية يظهرون أن الحكمة الفطرية والساحة العمومية والزهد الفلسفى ماهى إلا محض أوهام . إنَّ الآتى مثلُ المستقبلِ غير صالح للإقامة ؛ والرواقية دواء قاتل . ومع ذلك فإنَّ تدمير الأنا الذى ما هو إلا « الأنداد » أنفسهم يُثمر خصوبة سرية . الصحراء الحقيقية هى الأنا ليس فحسب لكونها تسجننا داخل ذاتنا حاكمة علينا بأن نحيا مع مجرد شبح ، بل لأنها تُدبِّل كُلَّ ما تمسُّه . إن تجربة ييسوا تندرج ، ربما حتى من غير أن يكون هو قد طرح ذلك ، ضمن التقليد الذى خطه شعراء الحداثة الكبار منذ نرفال والرومانطيين الألمان . الأنا يعوق . الأنا هو العائق . لذلك فإنَّ كل رأى يقتصر على الجانب الإسطيقي لأعماله هو رأى قاصر قطعاً . وإذا كان صحيحاً أنَّ جميع ما كتبه ليس على مستوى واحد من الإجابة ، فإنَّ جُلَّ ما كتبه إنَّ لم نُقلْ كله موسوم بآثار بحثه ومسعاها المضى . أعماله هى خطوة نحو المجهول ، وشغف بتملكه .

لا ينتسب بيسوا لا إلى هذا العالم ولا إلى العالم الآخر .. وحدها كلمة « غياب » فى مقدورها أن تعرفه ، إذ فهمناها على أنها تعنى حالة سيولة حيث الحضور يتلاشى وحيث الغياب يكون إيداناً بماذا ؟ بلحظة لم يَعدُ للحاضر فيها وجود ولما يكْدُ يبزغ ذلك الذى ربما سيكون .. إن الصحراء المتمدنة تتغطى بالعلامات : الحجر ينطق .. الريح تتكلم .. والأشياء كل الأشياء تقول لا هذا الذى أقول بل شيئاً آخر . دائماً شئ آخر نفس الشئ الذى لا يقال أبداً . إنَّ الغياب ليس حرماناً فحسب ، بل هاجس حضور لا يظهر مكتملاً البتة . ثمت قصائد هرمسية وأناشيد تتفق مصادفة : فى الغياب ، فى اللاواقع الذى نحن فيه . ثمت حضور شئ ما .

وسط الناس والأشياء الغفيرة منذهلاً يسير الشاعر عبر شارع فى الحى القديم . يدخل إحدى الحدائق . تتحرك الأوراق كأنها على وشك أن تقول ... لا ... لا لم تقل شيئاً ... تلك هى لا واقعية العالم فى الشعاع الأخير للمساء . كل شئ ساكن ... كل شئ فى حالة انتظار ... يعرف الشاعر أخيراً أنه بلا هوية ، وأنه شبيه بتلك الأشياء . المذهبة تقريباً ، الواقعية تقريباً . شبيه بتلك الأشجار المعلقة فى الزمن اللحظى ... يغادر هو الآخر ذاته ... من غير أن يظهر الآخر ، الآخر الصنؤ ، بيسوا الحقيقى لن يظهر أبداً للعيان : لا يوجد آخر . ما

يتراءى ، مُلمَّحاً ، هو شيء آخر ... هو ما لا اسم له ، وما
 ليس يقال ، وما تتمسك به كلماتنا الفقيرة . هل هو
 القصيدة ؟ كلا : القصيدة هي ما يتبقى ، ما يمنحنا
 العزاء . الوعي بالغياب . وَمِنْ جديد ثُمَّتْ صوت ، حفيفُ
 شيء ما : پیسوا أو انبثاق المجهول .

باريس 1961

ثلاث قصائد لألبارودي كامپو

نشيد بحرى

وحدى ، فى هذه الصبيحة الصيفية ، على
الرصيف الخالى أنظر إلى عارضة النهر ، إلى
اللامحدّد .

أنظر وأنا مبتهج بمراى سفينة محيطات ، صغيرة ،
سوداء ، واضحة تدخل الميناء .

بعيدة ما تزال ، جليّة ، كلاسيكية على
شاكلتها ، تاركة وراءها فى الهواء القصى ذيلها الدخانى
المبهم .

هى ذى تدخل الآن ، فيدخل بمعيتها الصباح ، وفى
المرفأ النهري تستيقظ الحياة البحرية ، هنا وهناك ،
أشرعة تُرفع ، جرّارات تتقدّم ،

مراكب صغيرة تنبثق من وراء السفن الراسية فى
الميناء .

ثمت نسيم غامض .
بيد أن نفسى مع مالا يُرى إلا من بعيد ،
نفسى مع سفينة المحيط وهى تدخل الميناء ،
لأنها تنتمى إلى المدى ، إلى الصباح ،
إلى الوجهة البحرية لهذه اللحظة ،
لأنها مع العذوبة المؤلمة المتصاعدة كالغثيان
فى داخلى ، كبداية دوخة ، لكن دوخة فى الروح .
أنظر إلى سفينة المحيط آتية من بعيد وأنا مقعم
بتحرر هائل فى الروح ، وهناك بداخلى
محركٌ يشرع ببطء فى الدوران .
سفن المحيطات اللاتى يدخلن عارضة الميناء فى
الصباح
يَجْلِبْنَ معهنَّ كلَّ شئٍ حتى عينيَّ ذاتيهما .
يجلبن الأسرار الحزينة والمفرحة لمن يصل ومن
يرحل .
يَجْلِبْنَ ذَآكِرَاتِ أرصفة بعيدة ، وذآكرات لحظات
أخرى ،

لأنماط أخرى من نفس الحياة الإنسانية فى مناطق
مختلفة .

كُلُّ رُسُوٍّ وَكُلُّ إِقْلَاعِ

- أَحْسُ بِهِ إِحْسَاسِي بِدَمِي نَفْسِهِ -

مَحْمَلٌ لَا شَعُورِيَا بِرَمْزِيَّةٍ طَاغِيَةٍ ، وَهُوَ يَتَوَعَّدُنِي
بِدَلَالَاتٍ مِيتَافِيزِيْقِيَّةٍ تُخْلِجُ فِىَّ مَنْ كُنْتُ مِنْ
قَبْلِ ...

آه ، الرصيف كُلُّهُ لَوْعَةٌ مِنْ حَجَرٍ !

عِنْدَمَا تَغَادِرُ السَّفِينَةَ الرَصِيفَ

فَنَحْسُ ، فَجَاءَ ، أَنْ مَسَافَةً مَتَزَايِدَةً قَدْ انْفَتَحَتْ

بَيْنَ الرَصِيفِ وَالسَّفِينَةِ ،

يَنْتَابِنِي ، بِدُونِ أَنْ أَعْرِفَ لِمَاذَا ، قَلَقَ طَارِئٌ ،

ضِيَابٍ مِنْ مَشَاعِرِ الْحُزَنِ

يَلْمَعُ تَحْتَ شَمْسٍ هَوَاجِسِي الْمَتَجَدِّدَةِ

مِثْلَ النَّافِذَةِ الْأُولَى الَّتِي يَطْرُقُهَا الصَّبَاحُ ،

ضِيَابٌ يَلْقُنِي كَذِكْرِي شَخْصٍ آخَرَ

كَانَ جُزْءًا مَنِيَّ فِي الْخَفَاءِ .

آه ، من يدرى ، من يدرى
إن لم أكنُ رحلتُ ، فى الزمن القديم ، قبل مجيئى ،
من أحد الأرصفة . إن لم أكنُ خُلفتُ ، مركباً تحت
الشمس

ثملاً بالشروق ؟
صنفاً آخر من الموانئ ؟
مَنْ يَدرى إن لم أكن خُلفتُ ، قبل أن تشرق من
أجلى

ساعة العالم الخارجى وفق رؤيتى ،
رصيفاً هائلاً مكتظاً بأناسٍ قلائل
فى مدينة نصف مستيقظة
مدينة تجارية ، هائلة ، مهددة ،
إن كان ممكناً حدوث ذلك خارج المكان والزمان ؟
أجل ، من رصيف حقيقى ؛ رصيف ماذى على
نحو ما ،

واقعى ، مرئى كرصيف
ذلك الرصيف المطلق المُحاكى فى اللاشعور ،

والذى نستوحيه بدون وعى نحن الرجال
 حينما نشيدُ أرصفتنا على الموانئ ،
 أرصفتنا من الأحجار الراهنة فوق المياه الحقيقية ،
 أرصفتنا التى ما إنْ يكتمل بناؤها حتى تظهر فجأة
 كما لو أنها أشياء - حقائق ، أشباح - أشياء ،
 أشياء - كيانات من حجر - روح ،
 إزاء لحظات معينة من الإحساس - الجذرى
 عندما فى العالم الخارجى ، وكأن باباً ينفتح ،
 يبدو كل شىء مختلفاً
 بدون أن يتغير شىء .
 آه يا للرصيف الأكبر الذى منه أقلعنا فى السفن
 الدولية !
 الرصيف الأكبر السابق ، الإلهي والخالد .
 منْ أي ميناء ؟ وفى أية مياه ؟ ولماذا أفكر فى هذا
 كله ؟
 الرصيف الأكبر كبقية الأرصفة ، الرصيف الفريد .
 الملى مثلها بالوشوشات الصامتة كل صباح
 والمشرع مع الصباح لصخب الرافعات ،

ووصول قطارات البضائع
 تحت السحابة السوداء العابرة والخفيفة
 للدخان الصّاعد من مداخن المعامل القريبة
 والذي يظلل الأرض المسوّدة بالرماد الفحمي
 اللامع
 كما لو كان ظلاً لسحابة ما لدى مرورها فوق المياه
 القائمة .
 آه ، أيُّ سرٍّ جوهري ، تُرى ، وأيُّ معنًى يخبئهما
 الانخفاف الإلهي الكشاف
 في ساعات السكينة والقلق
 من كَونٍ لأجسرَ هناك يفصل أيُّ رصيف عن
 الرصيف !
 الرصيف المنعكس ، مُحلّوكاً ، على المياه الساكنة ،
 ثمت دوى على ظهر السفن ،
 أوه لروح الركاب الشاردة القلقة ،
 روح الناس الرمزيين الذين يمرون ، مع أولئك
 الذين لا يمكثون لحظة واحدة ،
 وإذن ، كلما عادت إلى الميناء سفينة
 لابدّ من توقع حدوث جديدٍ على متنها !
 أوه للهروب المتواصل ، الذهابِ الذهابِ ، نشوةِ

المتنوع !

يا لروح البحارين الخالدة ويا لروح الإبحار !
قُبُعات معكوسة ببُطمٍ على المياه
عندما تُقلع من الميناء السفينة !
أن نطفو كأننا روح الحياة . أن نرحل مثل صوت
أن نعيش اللحظة ارتعاشاً ، فوق المياه الخالدة ،
أن نُفَيِّقَ على نهارات أقومَ من أيام أوروبا .
أن نشاهد موانئ سرية فوق عزلة البحر ،
أن نطوى أطرافاً نائية صوب مشاهد فسيحة غير
متوقَّعة

لأنحدارات مدهشة لا تحصى ...
أوه يا للشواطئ القصية ، الأرضة المراثية من بعيد
الشواطئ الدانية ، الأرضة المراثية عن كتب !
سرُّ كل زهاب وكل إياب ،
اللاثبات والاستغلاقُ المعدَّبان
لهذا الكون المتسحيل .
كل ساعة بحرية جديدة فى الجلد نفسه تُحسُّ
والنشيج العبثي الذى تَذْرِفه أرواحنا

على امتداد بحار مختلفة ذوات جزر نراها من
بعيد ،

على الجزر البعيدة للشواطئ المتجاوزة عند
المرور ،

على ذلك التنامي البين للموانئ بمنازلها وسكانها
أمام السفينة التي تقترب .

أوه ، لطرواة الأصباح التي يتم الوصول فيها
وشحوبُ الأصباح التي يُرحل فيها ،
عندما تقلص أحشائنا

ويتأبنا إحساس غامض يشبه الخوف
- الخوف السحيق المتوارث من الابتعاد والرحيل ،
الارتياح المتوارث والسري من الوصول ومن
الجديد -

يُقْطَبُ جُلْدُنَا وَيُغْنِيْنَا ،
وَكُلُّ جَسَدِنَا الْجَزَعُ يُحْسُ
كما لو كان هو روحنا بالذات ،
برغبة لا تفسير لها في أن يستطيع الشعور بذلك
على نحو مختلف :
أهو حنين إلى شيء ما ،

أم ارتباك في المشاعر ؟ نحو أي وطن مبهم ؟
نحو أي ساحل ؟ أية سفينة ؟ وأي رصيف ؟
ويمرض الفكر فينا
ولا يبقى في داخلنا سوى فراغ هائل ،
امتلاء أجوف بلحظات البحر
ونهم غامض كان سيكون حجراً أو ألماً
لو عرّف كيف يكونه ...
الصباح الصيفي بارد قليلاً مع ذلك ، ثمث
سبات خفيف من ليلة أمس ما يزال عالقاً بهبات
الهواء .
في داخلي يتسارع دوران المقود .
سفينة المحيط تدخل الآن ؛ لأنها داخلية ولا ريب .
ولو لم أرها تتحرك في مدّاهما البعيد .
تبدو قريبة في المخيلة ومرئية تماماً
بجميع الامتدادات الخطية لكوّاتها ،
كل ما في يرتعش ، كل اللحم وكل الجلد ،
لأجل ذلك الكائن الذي لن يصل أبداً في أية سفينة
والذي جئت اليوم لانتظاره على الرصيف تلبية
لتوكيل غامض .

السفن التى تُلجُّ العارضة ،
السفن التى تغادرُ الموانئ ،
السفن التى تمرُّ من بعيد
(أفترض رؤيتَهُنَّ من شاطئٍ مقفر)
- كل تلك السفن ، المجرّدة تقريباً فى مَحُورها
العباب ،
تهزُّنى كما لو كانت شيئاً آخر ،
لا مجردَ سفن ، سفن تمضى وتجى .
لأنَّ السفن المشاهدة عن قرب وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بقصد
الإبحار فيهنَّ ،
المشاهدة من أسفل ، من التُّنكات ، أعالى الأسوار
الصفىحية ،
والمرئية من الداخل ، عبر القُمرات ، الصالونات ،
غرف الطعام ،
الصواري وهى ترفرف فى الأعلى ،
وقد جُرّفت الحبال وأنزلت السلالم الممتعبة ،
واسْتُنشِقَ كل ذلك المزيج الطلائى المعدنى
والبحرى
- تلك السفن ، مرئية عن قرب . هى نفس السفن

وهى شىء آخر ،
إنها تَهَبُ نفس الحنين ونفس الجزع بصيغة
مختلفة .

يا حياة البحر كلها ! كل شىء فى الحياة البحرية !
لقد تشرب دَمى كل ذلك الإغواء الرهيف
وأغرق فى تأمل جميع الأسفار بلا تحديد .
أوه ، يا لخطوط السواحل البعيدة المسقوفة
بالأفق !
أوه ، للأطراف ، الجزر ، الشطآن الرملية !
عزلات البحار كعزلة تلك اللحظات فى المحيط
الهادئ
التي تجعلنا نشعر ، فى أعصابنا ، لا أدرى بتأثير
من أية
أوهام تلقيناها فى المدرسة .

يكون ذلك المحيط هو الأكبر بين المحيطات
وبالعالم كله وبطعم الأشياء وهى تتحول
إلى صحراء قاحلة داخل أنفسنا !

يا لشساعة المحيط الأكثر إنسانية والأكثر
تلوثاً !

والمحيط الهندي الأكثر غموضاً من كل المحيطات ،
والمتوسط ، العذب ، الخالي من أى غموض ، البحر
الكلاسيكى

الجدير بأن يتكسر على سهول تتأملها من حدائق
قريبة ، منحوتات بيضاء ا

كلُّ البحار ، كلُّ المضائق ، كلُّ الخلجان
أريدُ أن أضُمَّها إلى صدرى ، أن أحسَّ بها جيِّداً . ثم
أموت .

وأنتنُ يا أشياء البحر ، يا لعبى الحُلُمِية العتيقة ،
شكَّلتُ حياتى الباطنية خارج ذاتى ا
أيتها الرافدات ، دُفُات السفن ، الصواري ،
الأشعة ،

عجلات القيادة ، الحبال ، المداخن ، المراوح ،
البيارق ،

أشعة الصواري ، الكُؤات السفلية ، الغلايات ،
المصارف ، الصَّمَامات

تَسَاقَطُنَ أكْداساً فى داخلى ، ولتتكوَّنْ

مُثلَ المخزون الغامض لصندوق مُفرع على
الأرض !

وَلَتَكُنْ كَنْزَ شُحِّي المصوم ،
كُنْ أَنْتَ ثَمَارَ شَجَرَةِ مَخِيلَتِي ،
مَوْضُوعَ أَغَانِيٍّ ، الدَّم السَّارِي فِي شَرَايِينِ ذِكَايِي ،
وَلَتَكُنْ الْأَصْرَةُ الَّتِي تَصِلُنِي عَبْرَ الْجَمَالِ بِمَا هُوَ
خَارِجِي ،

زَوَّدَنِي بِالْإِسْتِعَارَاتِ ، بِالصُّورِ ، بِالْأَدَبِ .
لَأَنْ مِشَاعِرِي ، فِي الْحَقِيقَةِ ، وَبِكُلِّ جَدِيَّةٍ وَحَرْفِيَّةٍ ،
مَجْرَدُ مَرْكَبٍ بِدِفَّةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي الْهَوَاءِ .
مَخِيلَتِي مَرَسَاةٌ مَغْمُورَةٌ لِلنَّصْفِ بِالْمِيَاهِ ،
قَلَقِي مَجْذَافَ مَكْسُورٍ ،
وَنَسِيحَ أَعْصَابِي شَبَكَةً عَلَى الشَّاطِئِ تَجْفُ !
فِي صُدْفَةِ النَّهْرِ ثُمَّتْ صَفَارَةٌ تَرْنُ ، صَفَّارَةٌ
وَحِيدَةٌ .

أَرْضِيَّةٌ دَخِيلَتِي كُلِّهَا تَرْتَجِفُ .
وَسُرْعَةُ الْمَقُودِ تَتَزَايِدُ فِي دَاخِلِي أَكْثَرَ فَاكْثَرَ .

أَوْه . يَا أَسْفُنَ الْمَحِيطَاتِ ، الْأَسْفَارِ ، الْأَيُّ يَعْرِفُ مَكَانُ

فُلان الفُلانى ، البحَّار ، المعروف لدينا !
 أوه يالْمجد أنْ نعرف أنْ رجلاً كان معنا
 قد ماتَ غريقاً حذاءً إحدى جزر المحيط الهادى !
 نحن الذين معه كُنَّا سوف نتحدَّثُ عن ذلك مع
 الجميع .

بالزهو المشروع ، بالثقة اللامرئية
 بأنَّ لذلك كُلَّه معنى أجمل وأشْمَل
 من مجرد فَقد المركب الذى كان مُبحراً فيه
 أو من كونه قد مَضَى إلى الأعماق لأنْ رِثتيه عُصَّتَا
 بالمياه .

أوه ، سفن المحيطات ، البواخر الفحمية ، السفن
 الشراعية !
 لقد صارت نادرة - يا ويحى - السفن الشراعية
 فى البحر .

لأننى أنا الذى أعشق الحضارة الحديثة ، الذى
 أقبلُ الآلات بروحى ،
 أنا المهندس ، أنا المتحضّر ، أنا الذى تَرَبَّى فى
 الخارج ،

لا أريدُ أن أرى أمام عينيَّ سوى السفن الشراعية
والمراكب الخشبية

ولا أرغب فى أن أعرف عن الحياة البحرية أكثر مما
هو معروف

عن حياة البحار القديمة.

لأنَّ البحار القديمة هى المدى المطلق

هى البعد الخالص مُحرراً من ثقل الراهن ...

أوه ، لَكَمْ يُذَكِّرُنِي كُلُّ شَيْءٍ هُنَا بِتِلْكَ الْحَيَاةِ
المتلى ،

بتلك البحار السالفة لأنَّ الإبحار فيهنَّ كان
أبطأ .

تلك البحار العامرة بالأسرار إذ ما كَانَ يَعْرِفُ عَنْهَا
إِلَّا الْقَلِيلُ .

كُلُّ بُخَّارٍ بَعِيدٍ هُوَ سَفِينَةٌ شَرَّاعٌ قَدُّنُو .

كُلُّ سَفِينَةٍ نَرَاهَا الْآنَ مِنْ بَعِيدٍ هِيَ سَفِينَةٌ قَدْ
شَوَّهَتْ قَرِيبَةً فِي الْمَاضَى .

كل الملاحين اللأمريثيين على متن السفن فى الأفق

هم الملاحون المرثيون من زمن السفن القديمة

من العهد الشراعى البطئ للملاحات الخطرة ،
عَهْدِ الخَشَبِ والخيش والأسفار التى كانت تستمرُّ
شهوراً .

شيئاً فشيئاً يغزوني هَدْيَانُ الأشياء البحرية ،
الرصيف ومناخه يخترقاننى فيزيقياً ،
مكر نهر التاج يغمر حَوَاسِيَّ
فأبدأ فى الحلم ، أبدأ فى ارتياد حلم المياه ،
وتبدأ خيوط الاتصال فى إيصال الحركة إلى
روحي .
بينما سرعة المحرِّك تخفضُّ بجلاء .

وتنادينى المياه ،
تنادينى البحار ،
تنادينى الأقاليم بصوتها الجسدي
كل العصور البحرية المحسوسة فى الماضى
تنادينى
أنت أيتها البحَّار الإنجليزي ، جيم بارنس ،
ياصديقى ، كنت أنت
من علَّمنى تلك الصيحة الإنجليزية الموهلة فى

الْقَدَمُ ،

والتي تُلَخِّصُ ، بتسمُّم بالغ ،

للأرواح المعقَّدة مثل روحى

نداء الحياة الغامض ،

الصوت غير المسبوق والضماني لأشياء البحر

قاطبة ،

صوت السفن الغريقة ، الأسفار السحيقة ،

الرحلات الخطيرة .

صيحتك تلك . صيحتك الإنجليزية حَدَّثَ كوني فى

دمي

من دون صياح ، ولا شكل إنساني ولا صوت ،

تلك الصيحة المروعة التى تبدو آتية

من داخل مغارة قَبُوهَا فى السماء ،

كأنما تحكي عن كل الأشياء الكارثية

التي يمكن أن تحدث فى البعيد ، فى ليل البحر ...

(دائماً تتظاهر بمناداة سفينة ما

قائلاً هكذا ، ويدك على مجموع فمك ،

ويداك المدبوغتان المسودتان مكبر صوت :

Ah6 - 666666666666 - yyyy...

Schooner ah6 - 6 - 6 - 6 - 6 - 6 - 6 - 6 - 6 - 6 - yyy ...

إليك أضيف السمع من هنا الساعة ، مستيقظاً لأجل
شيء ما .

ترتفع الرياح ، والصبح يصعد رويداً رويداً ،
والدفع يتفتح .

أشعر بتورّد في الخدين .

عيناى الصاحيتان تتسعان

يتصاعد الانخطاف فيّ ، ينمو ، يتقدم

وبضجيج تمرّد أعمى يشند

الدوران الحى للمقود .

أوه ، أيها النداء المدوّى

بفعل سعيرك واحتدامك فى داخلى تغلى

كلّ الاشواق فى وحدة متفجرة ،

أحاسيس الضجر غدت كلها ديناميكية !

أيها النداء الموجه إلى دمي

من حبّ غابر ، لا أدري أين ، يعود إليّ

وهو مازال يمتلك القدرة على دفعى إلى كراهية

هذه الحياة

التي أمضيها بين اللاشفافية النفسية والفيزيقية

للبشر الواقعيين الذين معهم أعيش .

أوه ، الرحيل الرحيل ، كائناتاً ما كان الحال ، وأياً
كان الاتجاه ،

الرحيل ، الذهاب إلى الأمواج ، إلى الخطر ، إلى
البحر ،

المضيُّ إلى عُرض البحر ، المضي إلى الخارج ، نحو
المدى المجرد ،

بلا تحديد ، عبر ليالٍ مُبْهَمة عميقة ،

محمولاً كالعجاج مع الرياح ، مع العواصف !

الذهاب ، الذهاب ، الذهاب ، الذهاب مرّة واحدة !

كُلُّ دَمِي سُعَارٍ مِنْ أَجْلِ الْأَجْنَحَةِ !

جسدي كله ينقذف نحو الأمام !

وأنا أقفز كالسيل طوال تخيُّلاتي !

أدوسُ ، أزمجر ، أتهاوى .

رغباتي تتفجّر رغبة

ولحمي يغدو موجة تتكسر في الوهاد الساحلية !

وإذ أفكر في ذلك - يالغبيظ ! - إذ أفكر في ذلك -
ياللغضب ! -

وإذ أفكر في ضيق حياتي هذه المفعمة قلقاً
يجتاحني فجأة ، مرتجفاً ، متخطياً كُلَّ حَدٍّ ،
بذبذبة داعرة ، عنيفة ، شاسعة ،
لمقود مخيلتي الحي ،
الشبقُ المظلمُ والسَّادى لحياة البحر الخارقة ،
مُصَفِّراً مُدَوِّخاً .
إيه ، أيها البحَّارة ، خَفَرَةُ الصَّواري إِيه ، أيها
النوتيون ، الربابنة !
الملاحون ، القواد ، البحارة ، المغامرون !
إيه ، يا ربابنة السفن ارجال الدِّقَّة والصَّواري !
الرجال النائمون على أَسْرَةٍ خَشَنَةٍ !
وأنتم من تنامون مع الخَطَر مراقبين كلَّ شَيْءٍ من
الكوى !
أيُّها الرجال النائمون مع الموت على وسادة واحدة !
الرجال ذوو المظلات ، ذوو الجسور التي منها
تشاهدون

الشساعة الشاسعة للبحر الشاسع !
أيها الرجال ، حمّالي رافعات الشحن !
إيه ، يامُنزلي الأشرعة ، وقّادي الآلات ، النوادل !
يا مَنْ تشحنون الأقبية بالبضائع الواردة !
مَنْ تجذبون الحبال على ظهر السفينة !
من تنظفون معدن البُويات السفليّة !
رجال الدقّة ! رجال الماكينات ! رجال الصواري !

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

رجال الخُوذُ المَقُونُوسة ! رجال القمصان المتخذة
من الشبّاك !
أصحاب المخاطف والرايات المطرّزة بالصليب على
الصدور !

الموشومون ! أصحاب الغلايين !
يا من اسودّوا من فرط تعرّضهم للشمس ،
واندبغت جلودهم من فرط الأمطار ،
أنقياء الأعين بفضل الشساعة المترامية المتاحة
لأبصارهم ،
ذوى الأوجه الجريئة لكثرة ما تلقّوا من سياط
الرياح ،

Eh-eh-eh-eh-eh-eh I

أيُّها الرجال الذين شاهدتم باطاغونيا !
الرجال الذين مرَّرتُم بأستراليا !
يَا مَنْ مَلَأْتُمْ أَبْصَارَكُمْ بالنظر إلى سواحل لن
أشاهدها أبداً !
وَحَلَلْتُمْ أَرْضاً بِأَرْضٍ لَنْ أَحُلَّ بِهَا الْبَتَّةُ !
يَا مَنْ اشترتُم أشياء بدائية في مستعمرات جنب
الغابات !
وَكُلُّ ذَلِكَ فَعَلْتُمُوهُ كَمَنْ لَا يَفْعَلُ أَيُّ شَيْءٍ ،
كَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ طَبِيعِيَا تَمَاماً ،
كَمَا لَوْ كَانَتِ الْحَيَاةُ هِيَ ذَلِكَ بِالذَّاتِ ،
كَمَا لَوْ لَمْ تَكُونُوا بِصَدَدِ إِنْجَازِ آيَةٍ مَهْمَةٍ عَلَى
الإطلاق .

Eh-eh-eh-eh-eh-eh I

رجالَ البحرِ الراهن ! رجال البحرِ الماضي !
يا كوميساريَّ السفينة ! عبيدَ المراكب القديمة !
محاربى الليبانطو !
قراصنة عهد روما ! بحارة اليونان !
أيُّها الفنيقيون ! القرطاجنيون ! البرتغاليون

المنطلقون من ساغريس صوب المغامرة اللاحدة ،
صوب البحر المطلق ، لتحقيق المستحيل !

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

أيها الرجال ايا من رفعتُم نُصُباً تذكارية ، وأطلقتُم
على رؤوس البحار الأسماء !

الرجال الذين تاجرتم مع الزوج للمرة الأولى !
مَنْ تاجرتم في البداية برقيق العالم الجديد !
مَنْ منحتُم الزنجيات الذاهلات أولى تشنجات اللذة
الأوروبية !

أنتم مَنْ جَلَبْتُم الذهب ، الحلي الرخيصة ، الخشب
المعطر ، السهام المتخذة من الذبابة الأخضر !
أيها الرجال الذين نهبتُم بلداناً إفريقية آمنة ،
وجعلتُم أولئك الناس يسمعون ضجيج المدافع ،
يامن قتلتم ، عذبتم ، سرقتم ، فزتم بالجوائز على
بدعة ذلك المحني الرأس⁽¹⁾

الذي كان يُهاجم أسرار البحار الجديدة

Eh-ch-ch-ch-ch !

إليكم كُلُّكُمْ فى واحد ، أنتم كُلُّكم فى الكلِّ كأنَّكُمْ
الواحد ،

أنتم كُلُّكُمْ ممزوجون ، متبادلون ،
إليكم جميعاً أيُّها السفاكون ، القساة ، الممقوتون ،
المرعبون ، المقدَّسون ،
إليكم جميعاً تحياتى ، تحياتى ، تحياتى !

Eh-ch-ch-ch-ch ! Eh-ch-ch-ch-ch ! Eh-ch

Eh-ch-ch-ch-ch !

EL Lahó - Lahó - Lahó - Lahá - á- á- á- á- á!

أريدُ الذهابَ معكم ، أريدُ الذهابَ معكم ،
معكم كلِّكم فى نفس الوقت ،
إلى جميع الأماكن التى ذهبتُم إليها !
أريدُ أن ألقى وجهاً لوجه ما لأقيتم من مخاطر ،
أن أحس فى وجهى بالرياح التى خَدَّدَتْ
وُجُوْهَكُمْ ،
أن أبصقَ من شَفَتَيْ مُلَحِّ البحار التى لثمتها
شفاهكم ،
أن أشارككُمْ أفعالكم ، أقاسمكُمْ ، عواصفكم ،

أَنْ أَصَلَ مثلكم ، فى النهاية ، إلى موانئ رائعة ،
أريد الفرار معكم من الحضارة !
مَعَكُمْ أريدُ أن أفقد الحسَّ الأخلاقى !
أَنْ أَحسَّ بتغيُّر إنسانيتى هنالك فى عرض البحر !
أَنْ أَتَشْرَبَ معكم ، فى بحار الجنوب ، همجيات
جديدة ،
خَضَّاتٍ جديدة للروح ، نيراناً جديدة لروحي
البركانية !
أريدُ المضيَّ معكم والتجرُّد - أوه لتغرُّب من هنا ! -
من بدلة المتحضر ، من رخاوة أفعالى ،
مَنْ خَوْفى الفطري من السجون ،
مَنْ حياتي المسألة ،
مَنْ حياتي القعيدة ، الجامدة ، المضبوطة
والرصينة !
إلى البحر ، إلى البحر ، إلى البحر ، إلى البحر ،
إليه ، إلى البحر أقذفوا بحياتى ، إلى الريح ، إلى
الأمواج !
مَلَّحُوا بالزبد الذى تَذَرُوهُ الرياح
نَدْوَقِي المتعطَّش للأسفار الكبرى !

اجلدوا بسوط المياه لحوم مغامرتي ،
 بدّلوا ببرّد المحيطات عظام كينونتي ،
 اجلدوا ، اقطعوا ، ادبّغوا بالرياح ، باا
 بالشموس كينونتي الإعصارية والمحيطية ،
 أعصابي المشدودة مثل الحبال ،
 مثل قيثارة في يد الريح !

أَجَلْ ، أَجَلْ ، أَجَلْ ... اصليبوني على مَ
 الإبحارات ،
 وَلَيُتَذَّ بالصليب ظهري ،
 أوْ ثَقُونِي إلى الأسفار كما لَوُ إلى عمودٍ
 يتوغّلُ في حَتَّى عَمُودِي الفقري
 وسأحسُّ به مثل تشنُّج فسّيح وَلَيِّنْ !
 افعلوا ما تشاؤون بي ، على أن يتمّ ذلّا
 البحار .

على جسور السفن ، مع هدير الأمواج
 حَوَزَقُونِي ، اقتلونِي ، اطعنوني !
 مَا أَرغب فيه هو أنْ أحمل إلى الموت
 روحاً طافحة بالبحر ،

سَكْرَى حَتَّى التَّرْنُحُ بِأَشْيَاءَ الْبَحْرِ ،
 بِالْبَحَّارِينَ ، كَمَا بِالسَّوَاهِلِ الْبَعِيدَةِ ، كَمَا بِعَوِيلِ
 الرِّيحِ بِالْمَرَاسِي وَالْحِبَالِ
 بِعُرْضِ الْبَحْرِ مِثْلَمَا بِالرَّصِيفِ ، بِالْغُرُقِ فِي السَّفَنِ
 كَمَا بِالْإِبْحَارِ التَّجَارِيِّ الْهَادِي ،
 بِالصَّوَارِي كَمَا بِالْأَمْوَاجِ .
 أَنْ أَحْمَلَ إِلَى الْمَوْتِ بِأَلَمٍ وَشَهْوَانِيَّةٍ ،
 كَأَسَا مِثْرَعَةً بِأَعْلَاقٍ تَمْتَصُّ ، وَتَمْتَصُّ ،
 أَعْلَاقٍ غَرِيبَةٍ خَضِرَاءَ بَحْرِيَّةٍ تَمْتَصُّ !
 اصْنَعُوا حِبَالَكُمْ مِنْ عُرُوقِي !
 اِرْبِطُونِي مِنْ عَضَلَاتِي !
 اسْحَلُّوا جِلْدِي ، سَمِّرُونِي عَلَى الرَّافِدَاتِ ،
 وَلَا تَكُنْ قَادِرًا أَنَا عَلَى الْإِحْسَاسِ بِأَلَمِ الْمَسَامِيرِ ،
 إِحْسَاسًا لَا أَتَخَلَّى عَنْهُ أَبَدًا !
 مِنْ قَلْبِي اصْنَعُوا رَايَةَ أَمِيرَالِ
 كَسَاعَةِ الْحَرْبِ عَلَى السَّفَنِ الْعَتِيقَةِ ،
 لِنُدْعَسُوا عَلَى جَسُورِ السَّفِينَةِ عَيْنِي الْمُسْمُوكَتَيْنِ !
 كَسِّرُوا عِظَامِي عَلَى وَاجِهَاتِ السَّفَنِ !

اجلدوني مُوثّقاً إلى الصواري ، اجلدوني
اجعلوني عُرْضة لرياح كل الجهات ، عرضاً وطولاً
اسفحوا دمي فوق المياه مندفعاً
تجرُّ مظلة السفينة من جهة إلى أخرى
نحو رَجّة العواصف الهوجاء .
أريدُ أن أملك الإقدام إزاء الريح العاصفة
بالأشعة !
أن أكون ، مثلَ الصواري العالية ، الصغير المعول
للرياح !
قيثارةُ القدر العتيقة قَدَر البحار التي تعجُّ
بالأخطار ، أن أَصِيرَ أغنيّةً كي يَسْمَعَهَا البحارة من غير
أن يُردّدوها أبداً !
البحارة المتمرّدون مَنْ
شَنَقُوا رُبَّانَهُمْ على إحدى العوارض .
وَأَنزَلُوا غَيْرَهُ على جزيرة خالية .
شمس المدارات هي التي دَسَّتْ حُمَى القرصنة
القديمة هذه في شراييني الحامية .
رياح ياطاغونيا وَشَمَتْ مُخِيلَتِي
بمشاهد فاجرة مأسويّة .

النار ، النار ، النار بداخلي

الدم ! الدم ! الدم ! الدم !

دماغى كُلُّه ينفجر !

العالم أجمع يتشظى حمماً حمراء

فى داخلى تتفجّر ، وحشية شرّهة

أغنية القرصان الأكبر ،

احتضارُ القرصان الأكبر الهادرُ مغنياً ،

مأثراً رجاله رُعباً حتّى كَوُثِلَ السفينة ،

مُحتَضِراً ، زاعقاً ، مُغنياً .

« خمسة عشر رجلاً فوق صدر الرجل الميت

يأهو - هو مع قنينة من رُوم ! »

ثم صارخاً بصوت غريب يُدَوِّى فى الهواء .

Darby M' Graw - aw - aw - aw - aw !

Darby M' Graw - aw - aw - aw - aw - aw !

Fetch - a - a - afthé ru - u-u-u-u-u-u-u-u-u-u, Darby !

ألاً مَا أَرْوَعَ تلك الحياة ! تلك كانت الحياة .. ألاً

I Eh - eh - eh - eh - eh - eh !

Eh - Lahó - Lahó - Lahó - Lagó -á-á-á-á !

Eh - ch- eh- eh-eh-eh- eh !

رافداتٌ مكسرةٌ ، سُفْنٌ مُغرقةٌ ، دَمٌ فى البحار !
جُسُورٌ سُفْنٌ مُترعةٌ بالدماء ، مِرْقٌ أجساد !
أصابعٌ مبتورةٌ فوق حبال السفينة !
رُؤُوسٌ أطفالٍ هنا وهناك !

أشخاصٌ بأعينٍ مَسْمُولةٍ يصرخون ، وَيَعْوُونَ !

Eh - ch- ch- eh-eh-eh- eh-eh- eh !

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh-eh- eh !

أطوقُ بكلِّ ذلكِ نفسي كَمَنْ يَتَدَثَّرُ بمعطفٍ فى
البرد .

وأحتكُ بذلكِ كُلُّهُ احتكاكَ قطَّةٍ متهيِّجةٍ بجدار .

أزُرُ مثلَ أسدٍ يتضورُ جوعاً لذلكِ كله !

أندفعُ مثلَ ثورٍ مجنونٍ نحو تلكِ الأشياءِ كلها !

أغرزُ الأظافرَ ، أقطعُ المخالبَ حتَّى لَتَدْمَى من العَضُّ
نواجذى !

Eh - eh- ch- eh-eh-eh- eh-eh !

اعْجُونِي بِكُمْ أَيُّهَا الْقَرَّاصِنَةُ !

يَا لِهَيَاجِكُمْ وَقَطَاظَتِكُمْ كَيْفَ يَخَاطِبَانِ دَمَ جَسَدِ
أَنْثَوِي كَانَ جَسَدِي مِنْ قَبْلِ وَمَا زَالَ شَبَقَهُ عَلَى قَيْدِ
الْحَيَاةِ !

أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ حَيَوَانًا يَمَثُلُ جَمِيعَ إِشَارَاتِكُمْ ،
حَيَوَانًا يَغْرُزُ الْأَسْنَانَ فِي الْحَبَالِ ، فِي الرَّاغِدَاتِ ،
يَلْتَهُمُ الصَّوَارِي ، يَشْرَبُ الدَّمَ وَالْقَطْرَانَ فِي جَسُورِ
السُّفُنِ ،

يَمِزُقُ الْأَشْرَعَةَ ، الْمَجَازِيْفَ ، الْبَكَرَاتِ وَالْحَبَالَ ،
أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ

حَيَّةَ بَحْرِ أَنْثَوِيَّةَ فَطِيعَةً لَا تُسَمِّنُهَا سِوَى الْجَرَائِمِ !

ثَمَّةَ سِنْفُونِيَّةٍ إِحْسَاسَاتٍ مُتَنَافِرَةٍ مُتَنَازِلَةٍ ،
فِي دَمِي تَصْدَحُ أَوْرُكُسْتَرَا ضَجَّاتٌ وَجَرَائِمُ ،
ضَجَّاتٌ مُتَشَنِّجَةٌ مِنْ تَهْتُّكِ الدَّمِ فِي الْبَحَارِ ،
فَوَّارَةٌ كَعَاصِفَةٍ مِنْ جَرَارَةِ فِي الرُّوحِ ،
ثَمَّتْ غَمَامَةٌ مِنْ عَجَاجٍ تُغَيِّمُ صَحْوِي فَتَجْعَلُنِي أَرَى

وأحلم بذلك كله بالجلد والأوردة فحسب .

القراصنة ، القرصنة ، المراكب ، الساعة ،

تلك الساعة البحرية التي هُوجِمَتْ فيها الفرائس ،

تلك التي يغدو فيها رُعب الأسارى هروباً نحو
الجنون - تلك الساعة بمجموع جرائمها ، بالرعب ،
المراكب ، البشر ، البحر ، السماء ، الغيوم ، النسيم ،
الطول ، العرض ، الصراخ ،

لطالما رغبت لو أنَّ جسدِي كان جزءاً من ذلك الكلِّ
معانياً ذلك الكل ، متألماً ، جسدي ودمي ، كينونتي كلها
أحوّلها إلى الأحمر القاني لَدَي تَفْتُحِهِ تَفْتُحُ طَعْنَةٍ تَتَأَكَّلُ
دم روحي الوهمي .

آه ، أن أكون كل شيء في الجرائم ! أن أكون كل
العناصر المكوّنة للاعتداءات على المراكب ، للمذابح
والاغتصابات !

أن أكون في كل أماكن النهب ! أن أكون من نهبوا
وَمَنْ نُهبوا !

أن أكون من عَاشَ أو بَلَغَ الأوج في أماكن
التراجيدياات الدموية !

أن أكون القرصان - المختزل للقرصنة كلها في

ذروتها

والضحية - الصفوة ، لكن من لحم وعظم ، لجميع
قراصنة العالم !

أن أكون فى جسدي السلبى المرأة - كُلّ النساء
المغتصبات ، المقتولات ، الطّعينات ، الممزقات على يد
القراصنة !

أن أكون فى كينونتى المغلولة تلك الانثى التى
ينبغى ألا تكون إلا هى !

وأن أحسّ ذلك كله - بجميع تلك الأشياء دفعة
واحدة - فى العمود الفقرى !

أوه ، أبطالى المشعرين القُظْظَة ، أبطال المغامرة
والجريمة !

وَحُوشى البحرين ، أزواج مخيلتى !
أيها المعشوقون الصّدُفُويُّون لحساسيتى الزائفة !
أريد أن أكون المرأة التى تنتظركم على الموانئ ،
أنتم معشوقى دَمها القُرْصَنى الاثيرين فى
الأحلام .

لأنّ لها معكم ، وإن فى الروح وحدها ، ارتعاشات
الجثث العارية للضحايا التى القيت بها للبحر .
لأنّها هى التى رافقتْ جرائمكم ، وفى سهرات

المحيط التهتكية رقصت روحها الكاهنية ، رقصتها
الأمريثية على حركات أجسادكم ، خناجركم ، أيديكم
الخناقة .

ولأنها إذ تنتظر على اليابسة مجيئكم ، إن
كنتم تجيئون ، لذاهبة لتعب من زئير عشقكم ،
كل الشساعة كل العبير الغائم والكارثي
لانتصاراتكم ، وعبر تشجاتكم سيعلو صفير ضجة
حمرء مصفرة .

اللحم الممزق ، اللحم المفتوح والميقور ، الدم الجارى !
الآن ، فى أوج الحلم الخاطف بما فعلتموه ،
أهرب من ذاتي كلها ، فأنا ما عدت منسباً إليكم ،
لقد أصبحت أنا أنتم ، وأنوثتى هذه التى ترافقكم إنما
هى أرواحكم بالذات .

أريد أن أكون فى صميم همجيئكم عند ممارستكم
إياها !

أن أمتص من الداخل وعيكم بإحساساتكم عندما
كنتم تخضبون بالدم أعالي البحار ،

عندما كنتم تقذفون من حين إلى آخر لأسماء
القرش بأجساد جرحى مازالوا أحياء وبحلم الأطفال
الوردي ، ثم تأخذون الأمهات إلى مقدمة السفينة كي

يَتِمَكَّنُ مِنْ مُعَايِنَةِ مَا يَحْدُثُ !

أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ فِي الذَّبْحِ وَالنَّهْبِ !

أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ أَوْ رَكُوسْتِرا لِسَنَفُونِيَةِ الْقِرْصَنَةِ !

آه . وَلَا أَعْرِفُ مَاذَا وَلَا كَمْ مِنْ شَيْءٍ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ

مِنْكُمْ !

لَا فِقْطُ أَنْ أَكُونَكُمُ الْآنُثَى ، أَكُونَكُمْ الْإِنَاثَ جَمِيعاً ،
أَكُونُ أَنَا أَنْتُمْ الضَّحِيَّةُ ، أَنَا أَنْتُمْ الضَّحَايَا - رَجَالاً ، نِسَاءً ،
أَطْفَالاً ، مُرَاكِبَ - ، وَلَا أَنْ أَكُونَ السَّاعَةَ وَالْمُرَاكِبَ
وَالْأَمْوَاجَ فَحَسْبُ ، أَوْ أَنْ أَكُونَ أَرْوَاحَكُمْ ذَاتَهَا ،
أَجْسَادَكُمْ ، غَضَبَكُمْ ، تَمَلُّكَكُمْ ، وَلَا أَنْ أَكُونَ الْفِعْلَ الْمَجْرُودَ
لِتَهْتِكُكُمْ ، كَلَّاءُ ، لَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ هَذَا وَحْدَهُ ، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ
هَذَا : إِيَّاهَا - لِهَذَا كُلِّهِ ، عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ إِيَّاهَا ، إِيَّاهَا لِعِبَادَةِ
مَعْكُوسَةٍ ، إِيَّاهَا مُرِيعاً وَشَيْطَانِيَا ، إِيَّاهُ حُلُولِيَّةِ الدَّمِ ،
حَتَّى أَمْنَحَ الْقُوَّةَ كُلَّهَا لَغَضَبِيِ الْمُتَخِيلِ ، حَتَّى لَا أَسْتَنْفِدَ
أَبْدَاءَ رَغْبَاتِي فِي التَّمَاهِيِ مَعَ انْتِصَارَتِكُمْ بَعْضُنَا وَكُلَّ
وَمَعَ مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ .

آه ، عَذِّبُونِي لِأَشْفَى ، مِنْ لَحْمِي اصْنَعُوا الْهَوَاءَ

الذى تقطعه سكاكينكم قبل أن تهوى على الكواهل
والرؤوس !

لتكن شرايينى الثياب التى تنفذ السكاكين منها !
ومخيلتي هى جسد النساء الذى اغتصبتموه !
وليكن ذكائى الجسر الذى تمارسون فيه القتل على
قدم وساق !
كل حياتى فى مجموعها العصبى ، الهستيري ،
اللامعقول ،

هى الجهاز الأكبر الذى فيه يتحول كل فعل قرصنة
مقترف إلى خلية واعية ، وأنا كللى ألف وأدوم ،
مثل عفونة شاسعة متموجة
وقد صرت مسرّحاً لذلك كله !

الآلة المحمومة لرؤاى الجموح تدور الآن
بسرعة مفرطة رهيبة ، بينما وعيي ، مقودى
مجرد دائرة مظلمة تُصفر فى الهواء :
« خمسة عشر رجلاً فوق صدر الرجل الميت
يوها - هو - هو قنينة من روم »

Eh-Lahó-Lahó-Lahó ... Lahá-á-ááá-ááá ...

أوه ، لوَحشية هذه الوحشية ، إلى الخراء كُلِّ حياةٍ
تشبه حياتنا التي ليست شيئاً من هذا كُلِّه !
هَآ أَنَذَا طوع أيديكم ، أنا المهندس ، العَملي
الحساس بكل شيء ،
هنا تجدونني ، مشلولاً حتى عندما أمشي ، قياساً
بكم ؛

خاملاً حتى عندما أعمل ؛ وَهَذَا حَتَّى عِنْدَمَا أَشْتَدُّ ؛
جَآمِداً ، مُجَبَّطاً ، مُتَنَاقِضاً خائفاً مِنْ هَالَةٍ مَجْدُكُمْ ،
مِنْ ديناميتكم الهائلة الخارقة ، الساخنة الدموية .
ويحي ! ما أعجز فعلي عن مُجَاراةِ هَذَيَانِي !
ويحي ! دائماً أُسِيرُ متعلّقاً بأذيال الحضارة !
أَجْرُ العَادَاتِ المهذّبة فوق ظهري مثل إِبَالَةٍ دانتيل ،
يَالَنَّا مِنْ حَمَائِلِنَ لِلإنسانية الحديثة !
إنَّهَا نوبات مَسْلُولٍ ، نورسيتينى لِمَقَاوِيْ نوباتُ
شخص بلا شجاعة ولا جسارة ،
ذِي رُوح تشبه دجاجةً مُعلّقة من رجل واحدة !

أوه ، القراصنة ! القراصنة !
إنَّهُ التَعَطُّشُ للهمجيِّ مُتَّحِداً باللاقانوني ،

التعطُّشُ للأشياء المطلقة القسوة والوحشية وهى
 تقضمُ مثلَ اغتلاَمٍ مجردٍ أجسامنا النحيلةُ ،
 أعصابنا الأنثوية الرقيقة ،
 وتُدسُّ حمى جنونية فظيعة فى نظراتنا الفارغة !
 أجبروني على الركوع أمامكم !
 أهينوني واجلدوني !
 صيِّرونى عبداً لكم وشيئاً من أشياءكم !
 وليبقِ احتقاركم لى حياً فيَّ لا يبرحني أبداً ، أوه ،
 يا أسيادى ! أسيادى !

لنأخذَ دوماً باعتزاز بالجزء الخاضع لأحداث الدم
 والحساسيات الشاقة !
 لننْهَارُوا من فوقى مثل جدران هائلة ثقيلة ، أوه
 يا برابرة البحر القديم !
 مزقوني واجرحوني !
 خطِّطوا بالدم لحمى مِنْ شَرَقِ جسدى إلى غربه !
 قَبِّلُوا بالسكاكين البحرية والسُّعَار والسيَّاط رُعبى
 اللحمى الفرحان بالانتساب إليكم ، عَطَّشِي المازوخيَّ

فِي أَنْ أَمْنَحَ ذَاتِي لِفُضْبِكُمْ ، أَنْ أَكُونَ مَوْضُوعاً جَامِداً
وَمُطْبِعاً لِفُظَاظَتِكُمُ الَّتِي تَلْتَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ ، أَيُّهَا الْمَهِيْمُونَ ،
الْأَسِيَادُ ، الْبَاطِرَةُ ، الْجِيَادُ !

آه ، عَذِّبُونِي ،

مَرْقُونِي ، افْتَحُونِي !

كَيْ أَتَفَكَّكَ إِلَى قِطْعِ حَيَّةٍ ،

اسْقَحُونِي فَوْقَ الْجَسُورِ ،

بَعَثَرُونِي فِي الْبَحْرِ ، أَسْلَمُونِي

لِلشَّوْاطِي الْمَتَلَهِّفَةِ فِي الْجُزْرِ النَّوَاتِي !

سَمِّنُونِي بِكُلِّ الْعِشْقِ التَّصَوُّفِيِّ الَّذِي أَكُنُهُ لَكُمْ !

انْقَشُوا بِالْدَمِ رُوحِي ،

مَرْقُوا ، شَقُّوا !

أَوْه ، يَا وَشَامُ مُخَيِّلَتِي الْجَسْدَانِيَّةِ ،

السَّالِّخِينَ الْمَحْبُوبِينَ لَخُضُوعِي الشَّهَوَانِي ، أَذْلُونِي

كَمَا تُذْلُونَ أَيُّ كَلْبٍ تَقْتُلُونَهُ بِرَأْسِ قَدَمِكُمْ !

اجْعَلُوا مِنِّي بِئِراً لِأَزْدَرَائِكُمُ النَّسْلُطِي !

اجْعَلُوا مِنِّي كُلَّ ضَحَايَاكُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً !

مِثْلَ الْمَسِيحِ الَّذِي تَأْلَمُ مِنْ أَجْلِ الْبَشَرِ كَافَّةً ، أُرِيدُ

أن أتألم من أجل جميع الضحايا الذين قُتلوا على
أيديكم !

أيديكم الحديدية ، السفّاحة ، المبتورة الأصابع فى
الاعتداءات الغادرة على وأجهات السفن !

اجعلوا منى شيئا ما ، أى شىء ، كما لو كنتُ
مجروراً - أوه يالآلذة ، أوه يا للآلم الملتوم ! -

بأذنباب خيول ألهبتموها أنتم بالسياط ... ،
لكن ليكن هذا كله فى البحر ، فى البحر ، فى الب - د - ح -
ح - ح ر ا

Yeh-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch | Yeh-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch |

كل شىء يصيح ، كل شىء صياح ارياح ، أمواج ،
سفن ، بحار ، أشرعة ، قراصنة ، روحى تصيح ، الدم
والهواء ، الهواء !

Eh-ch-ch-ch- | Yeh-ch-ch-ch | Yeh-ch-ch-ch |

الكل مع الصياح يغنى :

خمسة عشر رجلاً على صدر الرجل الميت
يو - هو - هو - مع قنينة من روم

Eh-ch-ch-ch- eh-ch-ch-ch-ch-ch | Eh-ch-ch-ch-ch-ch-ch |

Eh-Lahó-Lahó-LaHo-O-O-óó Lahá - áá-ááá !

AHO-o-o-o-o-o-o-o-yyy ! ...

ScHooNERAHO-o-o-o-o-o-o-o--yyyy !...

Darby M' Graw - aw-aw-aw-aw-aw-aw !

DARBY M' GRAW - AW-AW-AW !

FETCHT A-A-AFT THE RU-U-U-U-U-UM

DARBY !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

Eh-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

شئ ما يتحطم فجأة في . بحمرة الأصيل يتلون
الإمساء .

لفرط ما أحسست لم أعد قادراً على مواصلة
الإحساس .

لقد استنفدت الروح ، ولم يبق سوى الصدى في
داخلي .

سرعة المقود تنخفض بشكل ملحوظ .
أحلامي تنزع قليلاً يدي عن عيني .

البدر يطلع فى الأفق

وطفولتي السعيدة تستيقظ مثل دمة في .

يستيقظ الماضي كما لو أن تلك الصيحة البحرية
كانت عبيراً ، صوتاً ، صدى أغنية ستدعو من ماضي
السحيق تلك السعادة التي لن أحظى بها أبداً من جديد .

كان ذلك فى المنزل العتيق الهادئ على ضفة النهر ...

(نوافذ غرفتي ، نوافذ غرفة الطعام أيضاً كانت
تُطلُّ على بضعة منازل خفيضة جنب النهر القريب ، نهر
التاج ، نفس هذا التاج ، ولو أنه أكثر انخفاضاً فى موقع
آخر ...

لَوُ اُطللتُ الآن من نفس النوافذ

فَلَنُ اُطلُّ أبداً من النوافذ نفسها .

لَقَدْ وَلَّى ذلك الزمن مثل دُخان باخرة فى أعالي
البحار) .

حَتَّانُ لَا يُفسَّرُ ،

نَدَمٌ دَامِعٌ منفعِل

من أجل كل الضحايا - خاصة منهم الأطفال -

الذين حلمت بصنعهم وأنا أتخيل نفسى قرصاناً
قديمًا ،

انفعال مُربِّكُ لأنهم كانوا ضحاياي ،
انفعالُ حنونٍ عَذْبُ لأنهم لم يكونوا ضحاياي فعلاً ،
حنانٌ ملتبسٌ مثل زجاج نافذة مزرقٌ ، كامد ،
ينشد أغاني عتيقة داخل رُوحى المسكينة المتألِّمة .
أوه ، كيف استطعتُ التفكير والحلم بتلك الأشياء ؟
ما أبعدني الآن عَمَّنْ كنتُ منذ لحظات !
إنها هستيريا أحساسيس متناقضة ، تارة هذه ، تارة
تلك .

كيف فى تنامي شُقرة الصباح لا تختار أذنى
سوى الأشياء المتلازمة مع هذا الإحساس : هدير
الماء ،
الخرير الخفيف لماء النهر مُتكسراً على
الرصيف ... ،
المركب الشراعى لدى مروره قريباً من ضفّة النهر
الأخرى ،

التلال النائبة ، ذات اللأزورد اليابانى ،
منازل الأُمادا (2) .

لَكمْ ثمة من نعومة وطفولية فى الساعة

الصباحية ... !

يَمُرُّ نورس

فَيَكْبُرُ حنانى .

لكن خلال ذلك الزمن كله لَمْ أُنْتَبِهْ لشيء .

كل شيء كان مجرد انطباع فى الجلد يُشبه المداعبة .

طوال ذلك الزمن لم أبعد عَيْنِيَّ عن حُلْمِيَّ البعيد ،

عن منزلى العتيق جنب النهر ،

عن طفولتى النهارية ،

عن نوافذ غرفتى المطلة على النهر ليلاً

وعلى السكينة النورانية للقمر مبعثراً فوق المياه

وخالتى العجوز التى أَحْبَبْتَنِيَّ بَدِيلاً لابنها الذى

تُكَلِّمُهُ ... ،

خالتى العجوز التى اعتادت أن تُهْدِدَ نَوْمَتِي

مَغْنِيَّةً :

(لَكُمُ صرْتُ كَبِيرًا على ذلك ، قياساً بمن كنتُ !)

أَتَذَكَّرُ ، والدُمُوعُ تنهمر على قلبي ، فتغسل منه

الحياة ،

وثُمَّ نَسِيمٌ بحريٌّ خفيفٌ يتصاعد بداخلي .

أحيانا كانت تغنى لى « مركب كاطرينيطا » :

« هناك يمضى مركب كاطرينيطا فوق مياه البحر
يمضى ... »

أحيانا أخرى كانت تغنى تلك الميلودراما
القروسطية المشبعة نوسطالجية عن الأميرة الجميلة ...
أتذكّر والصوت العجوز ينحفر فى ، وأتذكّر كم كان
نادراً فيما بعدُ تذكّرى إياها ؛ كم كان كبيراً حبّها
إياى !

كم كنت جحوداً معها ! - وفى النهاية ، ماذا فعلتُ
بالحياة ؟

كانت الأميرة الجميلة ... وأنا كنتُ أغمض الجفنين
وهى تغنى :

« بينما الأميرة الجميلة

فى حديقتها جالسة ... »

ثم أفتح العينين فأرى النافذة مغمورة بضياء القمر ،
وبعدّها أطبق الجفنين ثانية ، وأنا سعيد بذلك كلّهُ .

هى الأميرة الجميلة

فى حديقتها جالسة

تمشط الضفائر

بمشط ذهبىً فى اليد ...

أوه ، ماضىً الطفولىً ، يادُميتى التى حطَّموها !
من أين لى أن أسافر إلى الماضى ، إلى تلك الدار ،
إلى ذلك الحزن العطوف ، ثم أمكث هنالك على الدوام ،
طفلاً على الدوام ، سَعِيداً على الدوام ؟
لكن ذلك كله محضُ ماضٍ ، مجرد فَنار فى زاوية
شارع عتيق .

لا يَهَبُ التفكير فيه غير البرد ، غير الجوع لأشياء
لا يمكن امتلاكها .

التفكير فيه لا يمنحنى سوى نَدَم بلا معنى .
أوه ، أيتها الزوبعة البطيئة لإحساسات متضاربة !
أيُّها الدُّوار الخفيف ! دُوار الأشياء الغامضة فى
النفس !

ثمت هياجات مجهضة ، موجات حنان تشبه بَكْرَةً
خيوط يَلْهُو بها الأطفال ، انهيارات هائلة للمخيَّلة تحت
أنظار الحواس ، دموع ، دموع لأ مُجدية ،
نَسَمَات خفيفة من الإحساس المتناقض تحتك عبر
بالوجه ، بالروح ...

أستعينُ بِقُوَّة الإرادة للخروج من هذا الانفعال ،

أستنجد بجهد يائس ، يابِس ، فَارِغ ،
بأغنية القرصان الأكبر عَندما ماكان يحتضر :
« خمسة عشر رجلاً على صدر الرجل المَيّت
يو - هو - هو مع قنينة من روم »
لكن الأغنية خَطُّ مستقيم خُطُّ فى داخلى برَداءه ...
أستجمع قوائى ، وأتمكّن من استحضارها ثانية
أمام أعين روحى ،
لكن عبر مخيلة أدبية تقريباً ،
أتمكّن من استحضار أوج القرصنة ، أعداد الموتى ،
التعطّش الحنكى تقريباً للتخريب ،
المذبحة المجّانية للنساء والأطفال ،
التّعذيب المجانى للمسافرين المساكين ، فقط بقصد
التسلية ، شهوة تحطيم أعزّ الأشياء لدى الآخرين .
لكننى أتخيّل ذلك كلّهُ مع خوفٍ من شئٍ معيّن
أتنفّسه من قفاى .
وأفكر أنّه سيكون مُفيداً
شنق الأبناء تحت أعين أمهاتهن
(لكننى أحسّنى أمهاتهن رَعْمًا عَنّى)

أو دفن صغار من ذوى الأربعة أعوام أحياء فى
جزر خلاء أمام أعين آبائهم المسوقين لرؤيتهم فى
مراكب شراعية
(لكننى أقشعُ عند تذكُّرى الابن الذى لا أملكه وهو
ينام بهدوء فى البيت) .

أستثير رغباتٍ فى باردةٍ فى اقتراف جرائم
بحرية ،

فى تفتيش بدون تبرير من الإيمان ،
فى جرائم لاتبرر حتى القساوة أو الجنون
الأهوج ،

جرائم مقترفة ببرود ، بدون نية الإيذاء ،
ولا حتى التسلية ، وإنما لتمضية الوقت فحسب ،
كَمَنْ يَلْعَبُ الورق بعد العشاء بمفرده على مائدة
طعام ريفية وقد طويت السفرة حتى الجهة الأخرى من
المائدة ، فقط بقصد التلذذ الناعم بارتكاب جرائم فظيعة
ثم اكتشاف أنها ليست أمراً ذا شأن ، ومشاهدة مَنْ
يتألمون لذلك حتى الجنون ، أو حتى الموت ألماً ، وإن لم
يتم بلوغ الموت أبداً ...

غير أن مخيلتى تأبى مرافقتي

وثمة قشعريرة تستبدُّ بي .
وبغثة ، وبأسرَع ممَّا جرى في المرة السابقة ،
وَمِنْ نقطةٍ أبعد وأعمق ،
بغثة - أوه للرعب يسرى في عروقي كلها ،
أوه للبرودة المنبعثة من بوابة السِّرِّ لدى انفتاحها
لإتاحة دخول تيار هواء -

بغثة أتذكّر الله ، أتذكّر متعاليات هذه الحياة ، بغثة
الصوت القديم للبحار الإنجليزي جيم بارنس الذي كنت
أكلّمه ، وَقَدْ غَدَا صوت الحنّانات المبهمة في داخلي ،
صوت الأشياء الصغيرة والحميمة لحضن الأم
وصوت شريط ضفيرة الأخت لكنّ منبثقاً بخرافية
من وراء ظواهر الأشياء ، إنّه الصوت الأصمُّ النَّائِي
وقد أضحى صوتَ المطلق ، صوتاً بلا فم قادماً من فوق
ومن داخل العزلة الليلية للبحار ، يناديني ، يناديني ،
يناديني ...

صوتاً أصمَّ يأتِي ، كأنّما يُسمعُ خفيةً ، من البعيد
يأتِي كما لو كان يَرِنُ في مكانٍ آخر بدُون أن يُستطاع
سماعُهُ هنا ، مثل نشيج مخنوق ، مثل ضوء يُطفأ ، لهاثٌ
صامت ، لا مِنْ جهةٍ في المكان أتَى ولا مِنْ جهةٍ في الزمن ،
صَبِيحَةٌ ليلية خالدة ، هبّة عميقة غامضة :

وبداخلى يخففُ المقود دورانه .
ما أروعَ حياةَ البحر الحديثة !
كلُّها نظافة وصحة وآلات !
كل شيءٌ جيّد الترتيب ، ومضبوط بتلقائية ،
كل قطع الغيار ، كل السفن فى البحر ،
كل عناصر الحركة التجارية ، من صادرات
وواردات متوافقة فيما بينها على نحو عجيب ، حيث
يسير كل شيء ، كأنما وفق قوانين الطبيعة ، من دون أن
يصطدم أيُّ شيء بشيء !
لم يخسر الشعر شيئاً ، فهناك الآن علاوةٌ عليه ،
هذه الآلات بما تحويه هى كذلك من شعر ، وكل النوع
الحياتى الجديد ، التجارى ، الدينوى ، الثقافى ، الروحى
، هذا الذى جاء عصرُ الآلات ليزوّد به أرواحنا .
إن أسفار اليوم جميلة مثل أسفار الأمس وما من
سفينة إلا وستبقى جميلة لمجرد أنها سفينة .
ما زال السفر هو السفر ، والبعد دائماً ما زال حيث
كان .

- حمداً لله ، فى اللامكان ! -

موانئ مزدحمة ببواخر من شتى الأصناف ،
صغيرة ، كبيرة ، متعددة الألوان ، بكوى مختلفة

المواقع ، لشركات ملاحية متنوعة !

بواخر راسية فى الموانئ منفردة بسبب الفواصل
بين المراسى !

ما أطف أشياءها التجارية رشيقةً تمخر البحر
بهدهوء ، البحر الهوميرى على الدوام ، أوه أو ليس !

مرأى المنارة الإنسانى فى المدى الليلى أو المنارة
الدأنية فجأة فى الليل البهيم

« لَكُمْ كُنَّا قَرِيبِينَ مِنَ الْيَابِسَةِ لَدَى مَرُورِنَا ! »
وهديرُ الماء يطرب السمع ...)

كل ذلك هو اليوم مثلما كان ، لكن هناك التجارة
والمصير التجاري للبواخر الكبرى اللذان يَجْعَلَانِي
فَخُوراً بعصرى .

والخليط البشرى المتزاحم فوق سفن المسافرين
يمنحنى الزهو الحداثى بالعيش فى عصر أصبح
ميسوراً تماماً فيه الاختلاط بين الأجناس ، قهرُ
المسافات ، رؤية كل الأشياء بسهولة والاستمتاع
بالعيش بتحقيق أكبر قدر من الأحلام .

أحاسيسى نقية ، متناسقة ، عصرية مثل بناية
إدارية ذات عوارض من نحاس أصفر ، أحاسيسى الآن
طبيعية ومهذبة مثل جنتلمان ، عملية ، بعيدة عن
الهذيان ، وهى تملأ رثتيّ بالهواء البحري كأيّة

مخلوقات تُدرك مقدار العافية الكامنة فى استنشاق
هواء البحر .

ساعات النهار كُلُّها ساعات عمل متواصل .

كل شئ ينخرط فى الحركة والانتظام .

وبلذة طبيعية عفوية كبرى تتفقد روحى
جميع العمليات التجارية الضرورية لشحن السفن
التجارية .

جميع الفواتير مطبوعة بطابع عَصْرِى هذا ، وإننى
أحسُّ بأنَّ كفاة رسائل المؤسسات ينبغي أن تُوجَّه
إلى .

ما من معرفة بالشحن إلا وَلَهَا خصوصيتها ، وأى
إمضاء يبصمه رُبَّان لا يخلو من عصرية وجمال !

الصرامة المميّزة لمطالع الرسائل التجارية
ولخواتمها :

Dear Sirs - Messieurs - Muy seniores nuestros,

Yours Faithfully ... Nos salutations empressées ...

وهذا كُلُّه ليس إنسانيا وحسب ، بل هو أيضا
جميل ، وله فى النهاية طرقة البحرية ، باخرة محملة
بالبضائع هى موضوع تلك الرسائل والفواتير .

ما أكثر تعقيدات الحياة ! فالفاتورات أعدّها أناسٌ

يحبُّون ويكرهون ، ولهم أهواؤهم السياسية ،
وجرائمهم أحياناً ، لكنَّ ما أجودَ كتابتها وتصنيفها وما
أبعدها عن كل ذلك !

هناك ، مع ذلك ، مَنْ ينظر إلى فاتورة ما ، بدون أن
يستطيع الإحساس بشيء .

لكنك أنتَ بالتأكيد ، يا ثيثاربو بيردى ⁽³⁾ قد
أحسستَ بذلك .

إننى إنسانىُّ جداً لأحسُّ بذلك حتى الدموع .
حسناً فالأ يأتينُ أحدٌ ليقول لى بالأَّ شعر ثمت فى
التجارة ، فى المؤسسات !

هياً بنا ... ، إنَّه لينقُذُ عَبر المسامُ كُلِّها ... فى هذا
الهواء البحرى أستنشقه ، لأنَّ كلَّ ذلك مُلائم تماماً
للبواخر والملاحة الحديثة ، لأنَّ الفواتير والرسائل
التجارية هى مبتدأ التاريخ والسفن حاملة البضائع فى
البحر الخالد هى منتهاه .

آه ، لَهفى على الأسفار ، الأسفار الترفيحية ،
والأسفار الأخرى فى البحر ، نغدو جميعاً رفاقاً لبعضنا
البعض بطريقة خاصة ، كما لو أن سرّاً بحرياً يُقارب
مَآبَيْنَ أرواحنا ويجعلنا لفترة معينة ، مواطنين عابرين
فى وطن ملتبس لأهمَّ لهمَّ غيرُ الترحال الأبدى فوق
شساعة الحياة !

يفاندقُ اللانهائى الهائلة ! أوه سُفنى الأثيرات !

بَكُونِيَتَكُنَّ الكاملة الشاملة إذ لا تتوقفن عند أيّة
نقطة مَعَ ما تحويينه مِنْ شَتَّى أنواع الأزياء ، والأوجه ،
والأجناس !

الأسفار ، الأسفار - ما أكثر أنواعها ! -

ما أكثر البلدان والجنسيات فوق هذا العالم ! ما أكثر
المهن ! ما أكثر البشر !

لَكُم هو مدهشٌ تنوّعُ المصائر التي يمكن أن تُمنح
للحياة ، للحياة التي هي في النهاية ، في العمق ، دائماً
هي نفسها !

ما أكثر الوجوه المستطلعة ! - كل الوجوه تحب
الاستطلاع ! . . . وَمَا مِنْ شَيْءٍ يمنحنا التدين المفرط مثل
إدمان النظر إلى البشر ، أَمَّا الأُخُوَّةُ فليست فكرة ثورية
في آخر المطاف .

هي شَيْءٌ نتعلّمه طوال حياتنا التي علينا أن نتسامح
فيها مع كل شَيْءٍ ، مع ما قَدْ نَجِدُهُ من نعمة فيما نتسامح
معه ، وما ننتهي إليه من البكاء حناناً تقريباً على مَا
تُسامحنا بصدده .

أوه ، كل ذلك جميل ، كل ذلك إنساني وموصول
بالعواطف الإنسانية المعاشة والبورجوازية ، الشديدة
التعقيد في بساطتها ، ذات الكآبة الميتافيزيقية جداً !

الحياة الرجراجة ، المتنوعة ، التي تنتهي بتهذيبنا

داخل ما هو إنسانى :

مساكين ! يا لهم من أناسٍ مساكين ! الناس ، كل
الناس مساكين !

إننى أودع هذه الساعة فى جسم المركب الآخر
الذى يغادر الآن . إنه مركب إنجليزى شديد القذارة كما
لو كان سفينة فرنسية ، برائحة البروليتاري الجذابة ،
بروليتارى البحار الذى أعلنوا ولا ريب عن رحلته فى
الصفحة الأخيرة من الجرائد اليومية⁽⁴⁾.

الباخرة المسكينة تؤثر فى ، كم هي متواضعة
وطبيعية أثناء مرورها .

يبدو أنها تعاني من وسواس معين من شئ
لا أدري كنهه ، مثل شخص عفيف بصدد إنجاز
واجب ما .

هنالك تمضى تاركة حيزاً قبالة الرصيف حيث
أوجد .

هنالك تمضى بهدوء من حيث مرّت السفن
الشراعية فى الزمان القديم ، القديم ...

ألى كرديف ذاهبة هي ؟ ألى ليفربول ؟ إلى لندن ؟
لايهم .

إنها تقوم بواجبها . كذلك نقوم بواجبنا نحن ، ما
أروعها حياة !

سفر طيب اسفر طيب !

سفر طيب ، يا صديقتى المسكينة والعابرة ، يا مَنْ
أسديت إليّ أفضل معروف بأن حملت معك حُمى
أحلامى وأحزانها ، ورددت إليّ الحياة عندما نظرتُ إليك
فأبصرتك تمضين ...

سفر طيب اسفر طيب ! إنها الحياة ...

يا الرابطة جاشك الطبيعية ، التى لا يمكن تفاديها
وأنت تغادرين ميناء لشبونة اليوم !

إننى لأشعر بوْد مُمتنّ حيالك ، لأجل ذلك ...
أى ذلك ؟ وكيف لى أنا أن أعرف ذلك ... هَيَا ...
إمضي ... مُرى ...

برعشة خفيفة

(t t t t t)

يتوقف فى داخلى المقود الدوار .

لتمضي ، أيتها الباخرة ، البطيئة ، مُرى ولا
تمكثى ...

أذهبى عنى ، أغربى عن بصرى ،

أغربى من داخل قلبى ،

فى البعيد ضيعى ، فى البعيد ، فى عرض البحر يا

سحابة الله ،

ضيعة ، واصلى مصيرك ، واتركيني ...

مَنْ أَكُونُ أَنَا حَتَّى أَبْكِيكَ وَأَسْأَلُكَ ؟

مَنْ أَكُونُ أَنَا حَتَّى أَكَلِّمَكَ وَأَعْشَقَكَ ؟

مَنْ أَكُونُ أَنَا حَتَّى أَتَكَدَّرَ عِنْدَ رُؤْيَيْكَ ؟

اتركى الرصيف ، فالشمس تنمو ، ذهباً يلتهب ،

تتلاها أسقفُ مباني الرصيف ،

كُلُّ هَذَا الْجَانِبِ مِنَ الْمَدِينَةِ يَلْتَمِعُ ...

إِرحلي ، هياً ، دَعِينِي ، تحوُّلى

أولاً إلى سفينة وسط الرصيف النهرى ، مرثية

وواضحة ،

ثم إلى مركب أسود على طريق حصباوي ،

ثم إلى نقطة مبهمه فى الأفق (أوه ، يالْقَلْقَى !)

نقطة تزداد انبهاماً مرّةً تِلْوَ أُخْرَى ،

ولا شئ بعد ذلك ، لا شئ ، إلا ما كَانَ مِنِّي وحدي

أنا وحزني ،

والمدينة الكبيرة مغمورة بالشمس الآن ،

والساعة الواقعية العارية مثل رصيف بلا سفن ،

ودوران الرافعة البطيء ، مثل بركار دوار
يخط في صمت روعي المضطرب نصف دائرة
انفعال أجهل كنهه .

. 1915

تزجية الوقت نشيد جَسَّوى

إلى خوصى المادا نيفريروس .

المادا نيفريروس لا يمكنك أن

تتصوركم أشكرك على أنك

قد وجدت

البارودى كامبوس

I

أَنْ أَحْسَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ بِجَمِيعِ الطَّرِيقِ الْمُمْكِنَةِ ،
أَنْ أَعِيشَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا فِي كُلِّ الْجِهَاتِ ،
أَنْ أَكُونَ الشَّيْءَ ذَاتَهُ بِجَمِيعِ الصِّيَغِ الْمُمْكِنَةِ فِي وَقْتٍ
وَاحِدٍ ،
أَنْ تَتَحَقَّقَ فِي الْإِنْسَانِيَةِ جَمْعَاءَ لِكُلِّ اللَّحْظَاتِ فِي
لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ مَطْوَلَةٍ ، مَدِيدَةٍ ، كَامِلَةٍ بَعِيدَةٍ .

أريد دائماً أن أكونَ ذلك الذى أتعاطف معه ،
 سأتحولُ دائماً ، عاجلاً ، أم آجلاً إلى ذلك الذى أتعاطف
 معه ، حَجراً كان أم حنينا ، زهرة أم فكرة مجردة ،
 حشداً بشرياً أم طريقة لفهم الله .

متعاطفاً مع الجميع ، أعيش الكل فى الكل ، الرفعاءُ
 من الرجال جذابون عندى لأنهم رفعاء ، والوضعاءُ
 عندى كذلك لأنهم وُضعاء أيضاً ، إذا كان من هو أدنى
 مختلفاً عَمَّنْ هو أعلى فلقد يُحسب ذلك امتيازاً فى
 حالات معينة . بحسب الرؤية للأمور . أتعاطف مع
 رجال لمزياتهم الخلقية ، وأتعاطف مع سواهم لافتقارهم
 إلى تلك المزايا ، ومع آخرين لأنَّهم حُرِّموا من أيَّة
 جاذبيَّة ، وثمت حالاتٌ عضوية جداً يبدو لى كل الرجال
 فيها جذابين .

أجل ، بصفتى العاهل المطلق فى مملكة تعاطفى ،
 حَسْبُ التعاطف أن يُوجد كى يمتلك مبرراً وجوده .
 إلى صدري المختلج أضُمُّ فى عناقِ مؤثِّر ،
 (هو نفسُ العناقِ المؤثِّر)

الرجل الذى يهبُ القميص للمسكين المجهول ،
 الجنديُّ الذى يموت من أجل الوطن من غير أن يعرف ما
 هو الوطن ، و ...

وقَاتِلْ أُمَّهُ ، قَاتِلْ أَخِيهِ ، مَنْتَهَكَ المَحَارِمَ ، مَغْتَصِبِ
الصَّبِيَّانِ ، قَاطِعِ الطَّرِيقِ ، لَصُّ البَحَارِ ، النِّشَالِ ، الظِّلِّ
الْمُتْرِبِّصِ فِي الزَّوَايَا ...

جَمِيعُهُمْ يُشَكِّلُونَ عَشِيقَتِي الأَثِيرَةَ عَلَى الأَقْلِ فِي
لَحْظَةٍ مَعِينَةٍ مِنَ الحَيَاةِ .

أَقْبِلْ تُغْرِ كُلَّ المَوْسِمَاتِ ،

أَقْبِلْ عَيُونَ كُلِّ القَوَادِينِ ،

تَتَمَدَّدُ سَلْبِيَّتِي عِنْدَ أَقْدَامِ كَافَّةِ القَتْلَةِ ، وَمَعْطَفِي
الإِسْبَانِي يَغْطِي انْسِحَابَ كَافَّةِ اللُّصُوصِ .

كُلُ الأَشْيَاءِ إِنَّمَا هِيَ مَبْرُورٌ لَوْجُودِي فِي الحَيَاةِ .

كُلُّ أَنْوَاعِ الجَرَائِمِ اقْتَرَفْتُ ،

فِي قَلْبِ كُلِّ الجَرَائِمِ عَشْتُ ،

(وَأَنَا نَفْسِي . لَمْ أَكُنْ فِي الرِّذِيلَةِ أَيَّْامًا مِنْ هَؤُلَاءِ ،

بَلْ كُنْتُ الرِّذِيلَةَ نَفْسَهَا مِمَارَسَةً مِنْ طَرَفِهِمْ ،

وَمِنْ ثَمَّةِ أُسْتَمَدُّ لِحَظَاتِ الظُّفْرِ فِي حَيَاتِي)

تَعَدَّدْتُ كَيْ أَحْسُ بِذَاتِي

وَلَكِنِّي أُمَارِسُ الإِحْسَاسَ ، كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى

الإِحْسَاسِ بِكُلِّ شَيْءٍ ،

طَفَحْتُ وَارْتَشَحْتُ ،

.

تعريتُ ووهبتُ للغير نفسى ،
وفى كُلِّ زاوية من زوايا الروح أقمتُ مذبحاً لإلاه
مغاير .

أذرعُ كلَّ العدائين طَوْقتنى بغتةً مِثْلَ أنثى ،
وأنا مجرد تخيُّل ذلك أغمى عليّ بين العضلات
المتخيَّلة .

لَقِمى مُنحتُ قبلات كُلِّ المواعيد الغرامية ،
فى قَلْبى تَمَّ التلويح بمناديل الوداعات كلها ،
كُلُّ النداءات البذيئة بالإشارة أو النظرة صفَّعتْ
جسدى المتعطش فى نُقطه الحساسة .

كنتُ النُّسَّاك كُلِّهم ، كُلُّ المتروكين للحساب ، كُلُّ
أنواع المنسيين ، وكُلُّ اللّواطين - مُطلق اللّواطين (من
دون أن ينقص أى واحد منهم) .

أه أيُّها الموعد بالأحمر الأسود فى قاع جحيم
روحي !

(فريدى ، كنت أناديك بابى لأنك كنت أشقر شاحباً
وكنت أحبك ، كم كنتُ أرى فيك من إمبراطورات
متوجّات وأميرات مخلوعات !

ماري التى معها كنتُ أقرأ بيورن فى أيام كئيبة
كآبة الإحساس بالحياة ، ماري ، أنت لَنْ تعرفى أبداً

عَدَدَ الأزواج الشرفاء والعائلات السعيدة التي
عَاشَتْهَا عَيْنَايَ مِنْ خِلَالِكَ وَذِرَاعِي فَوْقَ رِدْفَيْكَ ،
وَوَعْيِي غَائِمَ الْقَسَمَاتِ ، عَدَدَ الْحَيَوَاتِ الْهَادئةِ ، الْمَنَازِلِ
ذَوَاتِ الْحَدِيقَةِ فِي الضَّوَاحِي ، أَنْصَافِ الْعُطَلِ غَيْرِ
الْمَتَوَقَّعةِ ...

مَارِي ، تَعَسَّ أَنَا ...

فَرِيدِي ، أَنَا تَعَسَّ تَعَسَّ ...

أُوهُ ، أَنْتُمْ كُلُّكُمْ ، كُلُّكُمْ أَيُّهَا الْعَابِرُونَ ، الْمَتَأَخَّرُونَ
كَمْ مَرَّةً خَطَرُ بَأْذِهَانِكُمُ التَّفَكِيرِ فِيَّ وَلَمْ تَفْعَلُوا !
آه ، لَكَمْ كُنْتُ ضَّئِيلَ الشَّانِ عِنْدَكُمْ ، كَمْ كُنْتُ ضَّئِيلَ
الشَّانِ ...

أَجَلْ ، ثُمَّ مَاذَا كُنْتُ يَا عَالِمِي الْذَاتِي ،

أُوهُ ، يَا شَمْسِي ، يَا قَمَرِي ، يَا نَجُومِي ، يَا حِصَّتِي
مِنَ الزَّمَنِ ،

أُوهُ ، أَيُّهَا الْجِزْءُ الْخَارِجِي مِنْ ذَاتِي الضَّائِعَةِ فِي
مَتَاهَاتِ اللَّهِ !

الْكُلُّ يَمُرُّ ، كُلُّ الْأَشْيَاءِ مُصْطَفَّةٌ بِدَاخِلِي تَمَرُ ،

وَبِدَاخِلِي كُلُّ مَدُنِ الْعَالَمِ تُوشِشُ ...

قَلْبِي مُحْكَمَةٌ ، قَلْبِي سُوقٌ ، قَلْبِي صَالَةٌ بِوَرَصَةٍ ،
قَلْبِي طَاوِلَةٌ بِنَكِيَّةٍ ،

قلبي موعِد الإنسانية جمعاء ،
قلبي مقعد حديقة عمومية ، نُزْل ، فندق ، زنزانة
رقم كذا
(« هنا أقام المانولوقبيل أن يُساق إلى سقالة
الإعدام »)
قلبي ناد ، صالة ، باحة أرائك ، نجمة ، شبّاك ،
بوّابة ، جسر ، بابٌ حديد ونزهة ، مسيرة ، مزادٌ ،
معرضٌ موسم حجٍّ ،
قلبي خصاص بابٍ ،
قلبي صندوق بريد ،
قلبي رسالة ، بضاعة ، يضى ، تسليم ،
قلبي الهامش ، الحدّ ، الموجز ، المؤشّر
قلبي بازار Eh - Lá , ch - Lá , ch - Lá

.....
.....

أَحْمَلُ في قلبي
كما لو في خزانة مكتظة عصيّة الإقفال
كُلُّ الأمكنة التي بها حلّلتُ ،

كُلُّ الموانئ التي إليها وصلت ،
 كلُّ المناظر التي حَالَمَا شاهدهُتْها ،
 منَ النوافذ أو الكُوى أو الجسور ،
 غَيْرَ أَنَّ ذاكَ كُلَّهُ ، على كثرته ،
 أَقلُّ بكثيرٍ ممَّا أَرغب فيه .
 مدخل سنغافورة ملوَّنًا بالأخضرار مع انبلاجة
 الصباح ،
 دفع المُرور بمرجان جزر المالديف ،
 ماكاو في الواحدة صباحاً ... أَسْتيقظ فجأة ...
 Yat - Lδ - δ - δ - δ - δ - δ - δ ... Ghi ...
 وكل ذلك يَرِنُ بداخلي من أعماق واقع آخر ...
 القَوام الشمال إفريقي تقريباً من زنجبار تحت
 الشمس ...
 دار السلام (الخطرة عند الخروج) ...
 ماجونكا ، نوسى - بى ، أخضرارات مدغشقر ...
 العواصف المحيطة بكَوارِ دافوى ...
 ورأس الرجاء الصالح ناصعاً تحت أشعَّة
 الصباح ...
 ومدينة الرأس بجبل المائدة في خلفية المشهد ...

سافرتُ إلى بلدان كثيرة أكثر من تلك التى زرتها ،
 شاهدتُ مناظر كثيرة أكثر مما رأتُ عيناى ..
 جَرَبْتُ أحاسيس أكثر من كل تلك التى أحسستُها ،
 لأننى مِنْ فرط ما أحسستُ ظل ينقصنى دائماً شئ
 أحسُّه ،
 والحياة دائماً عذبتنى الحياة ، ما منحتنى كان دائماً
 قليلاً ، أنا التَّعْيِس .
 فى لحظات معينة من النهار أحس بالذعر عندما
 أتذكرُ ذلك كله ،
 وأفكّر فيما سيبقى لى من هذه الحياة المجزأة ، من
 هذا الأوج ،
 من هذا الطريق المتعرج ، من هذه السيارة على
 حافة الطريق ، من هذا الإنذار ،
 من هذا التعرُّج الهادئ لأحاسيس ناشزة ،
 من هذا الصَّفْق ، من اللاجوهريّة هذه ، من هذا
 التواؤم القُرْحى ،
 من هذا القلق فى قاع كل الاكمام الزهرية ،
 من هذا الضُّجّر المقيم فى أعماق كل المملّات ،
 من هذا الشَّبَع الطّافح على عُرَى الفناجين كُلِّها ،

من لعبة الورق المملّة هذه بين رأس الرجاء الصالح
وجزر الكنارى لا أدري أهى الحياة قليلة بالنسبة إليّ أم
أكثر مما يلزمنى ؟

لا أدري أباقلّة أحسُّ أم بالكثرة ؟ لا أدري
أينقصنى وسواسُ روحى ، نقطة ارتكان فى
الذكاء ،

قربة دموية مع سرّ الأشياء ، صدمة عند
الاتصال ،

دفق الدم تحت الضربات ، ارتجاج عند أقلّ ضجة ،
أم أن لهذا كلّ تفسيراً أدعى للطمأنينة والسعادة ؟

كائنات ما كان الحال ، ألاّ ولد كان هو الأفضل ،
لأن الحياة مَهْمَا كانت مشوّقة فى كل اللحظات ،
لابد أن تعذبنا وتبعث فينا الغثيان ، تبتئنا ،
تستهلكنا ، تحملنا على أن نصرّ ، تمنحنا الرغبة فى
الصراخ ، فى الوثوب ، فى الالتصاق بالأرض ،
والخروج من كافّة البيوت ، ونبدّ كلّ منطق والقفز من
كل الشرفات ، والمضى إلى حيث نصير متوحّشين
حتى الموت بين الأشجار والنسيان ، بين الزلازل
والمخاطر وغياب الغد .

لكن ذلك كلّه كان ينبغي أن يكونَ أيّ شيءٍ آخر مطابق لما
أفكر فيه ومآله أحس ، دون أن أعلم مآله ، أوه أيتها
الحياة .

أضُم ذراعيّ بهيأة صليب على المائدة ،
وبينهما أضَعُ رأسي ،

أنا بحاجة إلى الرغبة في البكاء ، لكن لا أعرف
طريقة لاستثارة الدموع ...

رغم ما أبذل من جهد لأمتلك أكبر قدرٍ من الإشفاق
على نفسي
لأ أنجح في البكاء .

روحي متشققة بفعل السبابة التي تحكها
ماذا سيصير مني ؟ تُرى ماذا سيصير مني ؟
دوئما دأع ضربوا مُهرج القصر بالسيّاط ،
أنهضوا المتسوّل من كبوته على الدرج ،
جَلَدُوا الطفل المنبوذ نازعين كسرة الخُبز من يديه .
أوه يا عذابَ هذا العالم اللامحدود ، ما ينقصني هو
الفعل ...

يآله من تدهور ، يآله من تدهور ، يآله من تدهور ...
لا أكون بحالٍ جيدة إلاّ لدى سماعي الموسيقى ، ولا

حتى فى هذه الحال .

يا حداثق القرن الثامن عشر قبل 89 ، أين أنتن ؟
ذلك أننى أريد البكاء بأية وسيلة .

مثل بُلسم يُواسينا لمجرد تصور أنه بُلسم يواسى
ينزل المساء رتيباً رويداً رويداً ، مساءً هذا اليوم وكل
الأيام .

لقد أنيرت الأضواء ، ينزل المساء ، وتتعاقب
الحياة .

لا بد من مواصلة العيش مهما كانت الوسيلة .

مثل يد تضطرم الروح فيزيقيا لذي

وأنا واقف فى طريق الجميع الذى يتعتررون بى ،
يا ضيعتى فى الإقليم الريفى ،

لو أن بينى وبينك قطاراً على الأقل ، عربةً ، قراراً
بالسفر .

وأبقى هنا وأبقى ... أنا من يريد الرحيل دائماً
ودائماً يبقى ، دائماً يبقى ، دائماً يبقى ، حتى الموت يبقى ،
حتى لو رحل يبقى ، يبقى ، يبقى ...

ألا فلتعد إنسانياً إلي أيها الليل ، عد أخوياً إلي
مفعماً عنايةً .

إنسانياً فحسب يمكن العيش .

فقط بحب الرجال ، حب الفعل ، حب المهام المبتذلة ،
هكذا فقط - يا ويحي - هكذا فقط يمكن العيش
هكذا فقط ، أوه أيها الليل ، وأنا لا يمكن أبداً أن
أكون هكذا !

رأيتُ كُلَّ شَيْءٍ وأعجبتُ بكلِّ شَيْءٍ
لكنَّ كلَّ شَيْءٍ كانَ إمَّا زائداً على ما أريدُ أو أقلَّ
مِمَّا أريدُ - لا أدري كيف - وهكذا تعذَّبتُ .
عشتُ كلَّ الانفعالات ، كُلَّ الأفكار ، كلَّ الإشارات
وبقيتُ حزيناً ، مع ذلك ، حزينا أكثر ممَّا كنتُ
كما لو أنَّني أردتُ أن أعيش ذلك كله من دون أن
أظفر بشيء منه .

مثل كل الناس أحببتُ وكرهتُ ،
لكن إذا كان ذلك بالنسبة إلى الجميع أمراً طبيعياً
وغريزياً
فإنه كان عندي استثناءً ، صدمةً ، صمماً ،
وتشنجاً .

تعال إلى أيها الليل ، وأطفئني ، تعال وأغرقني
فيك ،

يا مدلل العالم العلوي ، يا سيد الحداد اللانهائي ،

يا ألم الأرض البرأني ، يا بكاء العالم الصامت ،
أيتها الأم الناعمة القديمة لانفعالات لا تعبير لها ،
أيتها الاخت الكبرى الحزينة العذراء للأفكار
المشتتة ،

أيتها الخطيبة المترقبة أبداً مقصدنا الناقص ،
طريق مصيرنا المهجور على الدوام ،
شكنا الوثني الخالي من المسرة ،
ضعفنا المسيحي المجرد من الإيمان ،
بوذيتنا الجامدة المجردة من محبة الأشياء ومن
نشوة الوجد ،

حُمَانَا ، شحوبَنَا ، نَفَادَ صَبْرِنَا ،
يا حياتنا ، أوه أُمْنَا ، حياتنا الضائعة
لا أعرف كيف أحسُّ ، لا أعرف كيف أكون إنساناً ،
ولا كيف أتعاشُّ من أعماق الروح الحزينة مع البشر
إخوتي على الأرض .
لا أعرف أن أكون نافعاً عندما أحسُّ لا أعرف أن
أكون عملياً ، واضحاً ، مندمجاً في اليومى ،
وَلَا أَنْ أُتَّخَذَ لى مكاناً فى الحياة ، وأن أمتلك غايةً
محددة بين الناس ،

عملاً ، قُوَّةً ، إرادة ، بستاناً ،
وسيلة للراحة ، مبرراً للتسلية ،
شيئاً ما يأتى من الطبيعة مباشرة إليّ .
لذلك كُنْ أمومياً معى أيُّها الليل الهادئ ...
أنت ، من تنتزع العالم من العالم ، أنت ، السلام
أنت ،
أنت الذى ليس لك وجود ، أنت الذى لست سوى
غياب للنور ،
أنت الذى لست بشيء ، لا يمكن ، ولا ذات ، ولا
حياة ،
أنت نسيج بنيلوب المنسول غداً من عمتك ، بنيلوب
المكَّارة اللاواقعية للمحمومين ، للقائطين بلا سبب ،
تَعَالَ إلى أيُّها الليل ، ومُدُّ نحوي اليدين
وَكُنْ بَرْدًا وسلاماً على جبينى أيُّها الليل ...
أنت ، يا مَنْ يبدو حُلُولُكَ لفرط نُعومتِه نأياً ،
أنت بجزر ظلامك ومُدَّه حينما يكون للقمر المتنهَّد
أمواج حنان مِيَّت ، برودة بِحَارٍ من حُلُم ،
نسِيمٌ مَشَاهِدٌ يَخْتَرعها قَنَطُنَا الطاغى ...
أنت ، شاحباً ، دمعياً ، سائلاً ، أنت

يا عبير الموت بين الزهور ، أنفاس الحمى على
الضفاف ،
أنت ، الملكة ، أنت ، القشتالي ، أنت ، السيد الشاحب ،
تعال .

.....
.....
نَفيرٌ واضحٌ للصباح فى عمق
نصف الدائرة البارد من الأفق ،
نفير خفيفٌ ناءٍ مثل رايات مبهمة
منشورة من بعيد تتعدّر رؤية ألوانها ...
نفير مرتعش ، عَجَاجٌ محبوسٌ حيث يتوقّف الليل ،
عَجَاجٌ من ذهب محبوس فى قعر الرؤية ...
عربة تُصدر صريراً نظيفاً ، باخرة تُصَفّرُ ،
رافعة تشرعُ فى الدوران فى الأذني ،
سُعالٌ جافٌ ، خَبْرٌ عَمَنُ يُغادرُ المنزل ،
قشعريرة صباحية خفيفة فى غمرة الابتهاج
بالحياة ،
قهقهة مباغنة مؤرّقة ، لا أدرى كيف ، من ضباب
خارجى ،

متعلّمة خياطة مُتّجهة إلى ما هو أسوأ من
الإحساس بالصباح ،
عاملٌ مسلولٌ محطّمٌ محرومٌ من أن يكون سعيداً
فى هذه الساعة ذات الحيويّة التى لا يمكن تفاديها ،
والتي رونق الأشياء فيها ناعم ، حقيقى وجذاب ،
والجدران نديّة لدى لمسها باليد ،
والبيوت هنا وهناك تُفركُ أعيننا ذات ستائر
بيضاء ...

كل فجر ستار يهتز ،
ينعش أوهام وذكريات روحى التائهة ، داخل
قلبي الخالى من الروح الوبائية ،
داخل قلبي المتعب المحجّب ...
(...)
(...) والكل آخذ طريقه

نحو الساعة المفعمّة ضوءاً حين تفتح المتاجر
أجفانها وضجيج مرور عربة قطار أحسُّ أنا بشمس
شعّاء .

دُورٌ منتصف النهار المسيّج بأنواع الدُور
— شمس على القمم شمس [....] رؤيتى المظلومة ،

شمس طاحونة الهواء المتوقفة في ذاكرتي
اليابسة ،

شمس البريق المضطرب والثابت لوعبي بالحياة .
ضجيج حركة مرور عربة قطار سيارات أحس
الشمس شارعاً ،

طارات براميل ، تراماً ، دكاناً ، شارعاً ، واجهات
تنانير ، عيوناً

بسرعة تخترق قضبان سكة الحديد الشارع عبور
الشارع

تخترق الطوارات دكاكين ، Perdão ، الشارع
الشارع المتجول فوقى أيضاً يتجول في الشارع
فوقى

كل مرايا دكاكين الـ هنا داخل دكاكين الـ هنا ك
سرعة السيارات مقلوبة في المرايا المائلة لواجهات
المتاجر ،

الأرض من فوق الشمس تحت الأقدام الشارع
يسقي ورداً في السلّة

ماضي الشارع مرتعش والشاحنة الشارع لا
أتذكرني شارعاً⁽¹⁾ .

أنا الرأس المائل في مركز وعبي بذاتي

شارعٌ بدون إمكانية العثور على مجرد إحساس
بالشارع شارعٌ ، كل مرة شارعٌ إلى الخلف شارع ، إلى
الأمم تحت قدمي

شارع في X في Y في Z بين ذارعي
شارع من خلال نظارة عيني الوحيدة مصنوعة
دوائر سينمائية مصغرة ،

مشكلاً لانحناءات قزحية واضحة تغدو شارعاً .
أتمل أنا بالشارع وبإحساسى ورؤيتي وسماعى
كل شئ في نفس الوقت .
لدي خفقان في الصدر دغدن لترنحي ما بين هذه
الجهة وتلك .

.....
.....

أطوى الأيام كلها أطوى زوايا كافة الشوارع .
ودائماً حينما أفكر في شئ أفكر في الآن نفسه في
شئ آخر .

لأ أعرف الإذعان إن لم يكن لدافع وراش⁽²⁾ ،
وما لم أكن طريح الفراش لدى دائماً مبررات
للسفر .

من سطوح مقاهى المدن المتاحة للمخيلة .

أراقب الحياة التي تمر ، أتابعها من دون أن
أتحرك ،

إليها أنتمى بدون أن أخرج مجرد إشارة من جيبى
أو أدون ملاحظة عما رأيت لكى أظهار فيما بعد
بما رأيت .

فى السيارة الصفراء تمر المرأة النهائية لأحدهم
وأنا بجانبها أسير من غير أن تعلم هى ،
يلتقيان وفق صدفة مدبرة على الطوار المجاور ،
لكن من قبل أن يلتقيا كنت قد سبقتهما إلى هناك .
ما من وسيلة تجنبهما اللقاء بى ،
ما من طريقة تمنعنى من أن أوجد فى كل الجهات .
كل امتيازى هنا

(براءة اختراع ، بدون ضمان من الله ، آه يا
روحى)

أشهد كل شئ على نحو نهائى
ما من حلي نساء لم أشتريها أنا ولأجلى
ما من موعد أعطي إلا وأنا مانحة بطريقة ما .
ما من فحوى كلام إلا وهو عائد مصادفة إلي .
ما من جرس قرع فى لشبونة منذ ثلاثين عاماً ، أو

ليلة أوبرا في سان كارلوس منذ خمسين عاماً ، إلا وهي
احتفاء غزليٍّ مَوْجَّهٌ إليّ .

لقد رَبَّنتُني المخيلة

على يدها تَمَّتْ دائماً أسفارى ،

براسطتها دائماً أحببتُ ، كرهتُ ، تكلمتُ وفكّرتُ ،

ولجميع الأيام هذه النافذة من أمام

جميع الساعات ، على هذا النحو ، تبدو ساعاتي .

.....
.....

أستلقي بكل قامتى على حياتى برُمَّتْها

جاعلاً شراة العيش تزار بداخلى ...

لا توجد فى العالم كُله إشاراتُ مسرّة تُعادلُ

الفرح العجيب الذى لا يملكُ طريقة أخرى للتعبير

عنه سوى أن يتمرّغ على الأرض فوق النباتات ويمتزج

بالطين إلى حدّ تلويث بدلته وشعره ...

مَأمِنٌ أشعارٍ يمكن أن تعبّر عن ذلك ...

لننزع (...) النبات ، ولنعضها وعندئذ

ستفهموننى ،

ستفهمون بالكامل ما أعبرُّ عنه ناقصاً .

إنَّ سُعارى من أجل أن أكون جذراً
يلاحق أحاسيسى مثل نسغ من الداخل ...
أريد أن أمتلك كل الحواس ، حتى الذكاء ،
حتَّى المخيَّلة والكبح
التصقى بجلدى كى أستطيع التمرُّغ عميقاً داخل
الأرض الخشنة ،
شاعراً أكثر فأكثر بصلابتها وخشونتها .
لن أكون مسروراً إلا إذا كان جَسدى هو
روحى ...
هكذا كل الشמוש ، كل الرياح ، وكل الأمطار
سأُحسُّ بها وفُق رغبتي وحدها ...
ولأن ذلك لا يمكن أن يحدث لى أَيْأسُ وأتسَعَّرُ ،
تستبدُّ بى الرغبة فى أن أكون قادراً على تمزيق
بدلتى بأسنانى وفى أن تكون لى مخالف أسد قوية
لأسلخ جسدى إلى أن يسيل الدم . يسيل ، يسيل ،
ويسيل ...
أُتَعَدُّ لأن هذا عبث كله
كأنَّ أحداً يخافنى
يخاف إحساسى العدوانى تجاه القدر تجاه الله ،

الإحساس المتولد من كوننا نتطلع إلى ما لا
يوصف ،

فندرك حينئذ ، فجأة ، ضعفنا وضآلتنا

.....
.....

كل الأصباح هي مُطلق الصبح وهي الحياة بِرُمَّتْها
كل الأفجار تبرز من نفس المكان :
من اللانهائي ...

مباهج كل الطيور تنطلق من نفس الحنجرة ،
ارتعاشات كل الأوراق تصدر من الشجرة ذاتها ،
وكل الذين ينهضون مبكراً إلى أعمالهم
يمضون من نفس البيت إلى نفس المصنَّع عبر نفس
الطريق ...

دُورى أَيْتْها الكرة الهائلة ، يا مُحْتَشِدَ الأوعاء ،
أَيْتْها الأرض
دوري ، برصاصٍ تحت الشموس ، مصبحةً ،
مُسيّةً ، مُليّةً ،

دورى فى الفضاء المجرد ، فى الليل المضاء سيئاً
بحق ،

دورى و (...)

أحسُّ سرعة دوران الأرض فى رأسى ،
وجميع البلدان والأجناس بداخلى تدور ،
أيها القانط الطارد⁽³⁾ ، ياسُعار المضيِّ عبر الأجواء
حتى النجوم ،

أضرب بسياطك دواخل جمجمتى ،
ضع ضماداتٍ من دبابيس على كل مناطق الوعى
فى جسدى ،

اجعلني أنهض ألف مرّة وأتجه نحو المجرد ،
نحو ما لا وجود له ، هنالك من دون أى تحديد ،
للهدف اللامرئى لجميع الجهات التى لا أوجد فيها ،
وفى الوقت نفسه .

أوه ، ألا أتوقّف حتى لكى أمشى ،
ألا أنام ولو واقفاً ،
لا مستيقظاً ولا نائماً ،

لا هنا ولا فى أى مكان آخر ،
أن أجدَ حلاً لمعادلة هذا القلق المتناسل ،
أن أعرف أين أكون لأستطيع أن أكون فى كل مكان
أن أعرف أين أنام لأتجول فى كل الشوارع ،
أن أعرف أين (...)

Ho - ho - ho - ho - ho - ho - ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

هى
وثبةٌ مجنحةٌ أعلو بها فوق كل الأشياء ،
وثبةٌ متفجرةٌ أنسابُ بها تحت كل الأشياء
وثبةٌ مُجنحةٌ متفجرةٌ مِنى بدافع من الأشياء
كلها ...

هُوبٌ - لآ من فوق الأشجار ، هُوبٌ - لآ من تحت
البرك ،
هُوبٌ - لآ لصق الحيطان ، هُوبٌ - لآ محتكاً
بالجذوع ،

هُوبٌ - لَأَفَى الهَوَاءَ ، هُوبٌ - لَأَفَى الرِّيحَ ، هُوبٌ -
لَأَفَى الشَّوْاطِئِ

وفق سرعة متنامية ، عنيفة ، ملُحاح ، هُوبٌ -
لَأُهُوبُ - لَأُهُوبُ - لَأُ.....

وثبة حُلُولِيَّةٌ أَنْفَذَ بِهَا دَاخِلَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ،

وثبة قُوَّةٍ إِلَى دَوَاخِلِ كُلِّ الطَّاقَاتِ ،

وثبة مَنَى فِي قَلْبِ الْفَحْمِ الْمَشْتَعِلِ لِلْمَصْبَاحِ الْمُتَقَدِّ

لِكُلِّ الطَّاقَاتِ الْمُسْتَهِكَةِ

وِثْبَتِي [.....] ،

وثبة مُتَفَجِّرَةٌ مِثْلَ قَنْبَلَةٍ مُتَشْظِيَّةٍ ،

وثبة مُتَفَجِّرَةٌ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ،

وثبة فَوْقَ الْفَضَاءِ ، وَثْبَةٌ فَوْقَ الزَّمَنِ ،

شَقْلَبَةٌ ، حِصَانُ نِيو - إِيْلِكْتْرُونِي ، نِظَامُ شَمْسِي

مِصْغَرٌ ،

دَاخِلَ حَرَكَةِ الْمَكَابِسِ ، خَارِجَ دَوْرَانِ الْمَحْرَكِ ،

دَاخِلَ الْمَكَابِسِ مُتَحَوِّلاً إِلَى سُرْعَةِ مَجْرَدَةٍ

وَمَجْنُونَةٍ ،

أتحركُ أنا ، ذهاباً وإياباً ، على إيقاع من حديد
وسرعة ، جنون ، هيجان مكبوح ،
مشدوداً إلى أترُّكُ المَقَاوِدِ أدورُ داخل ساعات
مذهلة ،
والكون كله يَصِيرُ ، يتدنَّرُ بالنجوم ، ثم يتشَوُّهُ
بداخلى .

Ho - ho - ho - ho - ho...

تزداد السرعة أكثر فأكثر ، والروح تتخطى الجسد
كُلُّ مرة ،
تسبق الفكرة الخاصة السريعة ذاتها للجسد
المقذوف ،
والروح من وراء الجسد ، ظلاً ، شرارة ،

He - La ho ho... HeLa h ho.

كل طاقة هى نفسها فى كل مكان والطبيعة هى
نفس الطبيعة ...

نُسِغَ نُسِغَ الأشجار هو نفس الطاقة التى تُحرِّكُ
عجلات القاطرات ، عجلات التّرام ، محرّكات
الدَّيزِل ، وعربة مجرورة بالبغال أو بالبنازين

هى عربية مجرورة دوماً بنفس الشيء .

إنَّه لَسُعَارٌ حُلُولِي أَن أَحْسُ فِي دَاخِلِي بَرُعِي ،
عَبَّرَ حَوَاسِي الْفَوَّارَةِ كُلِّهَا . عَبَّرَ كُلَّ مَسَامِي
الِدَاخِنَةِ ،

بَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ سُرْعَةٌ وَاحِدَةٌ ، طَاقَةٌ وَاحِدَةٌ ، خَطٌّ
إِلَهِى وَاحِدٌ
لَا نِهَائِيٍّ مَحْبُوسٍ يَهْمِسُ مِنْ جِهَةٍ لِأُخْرَى بِعَنْفٍ
سُرْعَةٍ مَجْنُونَةٍ ...

Ho - ho - ho - ho - ho - ho - ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

مَرَّحَى ، مَرَّحَى ⁽⁴⁾ ، لِتَحْيَ وَحْدَةَ السَّرْعَةِ فِي كُلِّ
شَيْءٍ !

مَرَّحَى ، مَرَّحَى ، لِتَحْيَ مَسَاوَاةَ كُلِّ الْأَشْيَاءِ وَهِيَ
تَرْتَفِعُ بِسُرْعَةٍ !

مَرَّحَى ، مَرَّحَى ، لِتَحْيَ آلَةَ الْكَوْنِ الْكَبِيرِ

مَرَحَى ، فَأَنْتَنُ شَيْءٌ وَاحِدٌ أَيْتَهَا الْأَشْجَارُ ، الْأَلَاتُ ،
القوانين ،

مَرَحَى ، أَنْتَنُ الشَّيْءُ نَفْسُهُ أَيْتَهَا الْيِرْقَاتُ ، الْمَكَابِسُ ،
الأفكار المجردة ،

نَفْسُ النُّسْخِ يَمْلُؤُكُنْ ، نَفْسُ النُّسْخِ يَحْوُلُكُنْ ،
شَيْءٌ وَاحِدٌ أَنْتَنُ ، وَمَا تَبَقَّى خَارِجِي وَزَائِفُ ،
مَا تَبَقَّى فَضْلُهُ جَامِدَةٌ تَبْقَى عَالِقَةٌ بَعِينِي
المشلولتين ،

لَكُنْ لَيْسَ فِي أَعْصَابِي مُحَرِّكَ تَفْجِيرٍ بِالزِّيُوتِ
الثقيلة أو الخفيفة ،

لَيْسَ فِي أَعْصَابِي كُلِّ الْأَلَاتِ ، كُلُّ الثُّرُوسِ .
فِي أَعْصَابِي قَاطِرَةٌ ، تَرَامُ ، سَيَّارَةٌ ، حَصَادَةٌ
ميكانيكية

فِي أَعْصَابِي آلَةٌ بَحْرِيَّةٌ ، دِيزِلُ ، نَصْفُ دِيزِلُ
كامل ،

فِي أَعْصَابِي جَهَازٌ كَامِلٌ بِالْبَخَارِ ، بِالْغَازِ ،
الكانزوال ، الكهرباء ،

آلَةٌ كَوْنِيَّةٌ مَشْغَلَةٌ بِأَحْزَمَةِ اللَّحْظَاتِ كُلِّهَا .

أَيُّهَا الْقَطَارُ تَحَطَّمْ عَلَى مِصَدِّ السَّكَّةِ الزَّاغَةِ !

أيتها الباخرة أبحري مستقيمة جنب الرصيف ثم
اططدِمْ لَدَى اللُّقَاءِ بِهِ !

أيتها السيارة المسوّقة من جنونِ الكَوْنِ كُلِّهِ عَجَلِي
مسرعة

عبر الهاويات كلها
ثم تحطّمْ ، trz ! تناثري في قاع قلبي !

أشياء القذائف كلها لى !
لى كُلُّ الاتجاهات
كل الأشياء التي تتجاوز أنظار كل سرعة لى !
هيا اضربوني ، اخترقوني ، اسبقوني !
فأنا الذي يضرب ، الذي يخترق ، الذي يسبق !
وفي دائرتي ينغلق سُعار كل الاندفاعات !
HcLa - Loho أيها القطار ، السيارة ، يا طيارة ، يا
ضجري ،

أيتها السرعة انفذى إلى داخل كل الأفكار ،
ارتطمى بجميع الأحلام ثم حطّمْهين ،
اسحقي كل المثاليين الإنسانيين والنافعين ،

دُوسى كل العواطف العادية ، المحتشمة ، المطيعة ،
أنطحى لدى دوران مُحرك المدوِّخ والثقيل
أجسام الفلسفات كلها ، مجازات كل القصائد ،
مزقيهنَّ جميعاً ولتبقيْ وحدك أنت ، مقوداً مجرداً
فى الأجواء
سيِّداً أعلى للساعة الأوربية ، حرارة معدنية
خالصة .
هيا ، لتكنْ هذه الوثبة ممتدَّة لا نهاية لها حتى فى
الله ذاته !
هيا ولابقى أنا نفسى وراء الوثبة ، لأبقى
مَجْروراً فى مؤخرة القطار ، معصوراً ، مفرغاً ،
ضائعاً ،
أنا الفقير ، جسدى وروحى بَلْغاقمة ارتفاعى ،
حيث أتطلع إلى يوتوبيات مجاوزة للكون ، أتطلع
إلى أن
أتركُ الله من ورائى مثل صوَّة الألفِ
وَأَن أُسلم (....)

تؤلمنى المخيلة ، لا أدرى كيف ، لكن عنها يصدر
الالم ،

من أعالى السماء تنحدر الشمس فى دواخلى .
فى الأفق الأزرق وفى أعصابى يبدأ الإمساء .
هياً ، أيتها الوثبة ، إلى أى كائن آخر ستحوليننى ؟
أنا الذى أردتُ سريعاً ، شرهاً ، نهماً للطاقة المجردة
التهام العالم ، احتساءه ، خدشه وسلخه ،
أنا الذى لن يشفى غليلى سوى أن أدعس الكون
تحت قدمى ،

أن أدعس ، أدعس ، أدعس حتى أفقد الإحساس ...
أنا الذى أحسُّ أن كل ما رغبت فيه قد ظل خارج
إمكان ما تخيلتُ ،
وأئننى رغم اشتهائى كُلُّ شئ ، ظلَّ كُلُّ شئ
ينقصنى .

هى وثبة مفككة فوق كل القمم ،
وثبة منحلّة تحت كُلِّ الآبار ،
وثبة طيران ، غارة سهم ، وثبة فكر - برق ،

وثبة أنا ، وثبة أنا ، وثبة الكون - أنا .

Helaho ho - o - o - o - o - o

كينونتي المطاط ، زُنْبَرَكْ ، مِسْلَة ، ارتجاج ...

أَنْ أَحْسُ كُلَّ شَيْءٍ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ ،

أَنْ أملك الآراء كلها ،

أَنْ أكون صريحاً ، أناقض نفسي في كل آن

أَنْ أغيظ من أشياء بوحى من الحرية الكاملة للروح

وَأَنْ أحب الأشياء مثل الله .

أنا الذى أعتبرني أخاً لشجرة أكثر من كونى أخاً

لِعَامِل ،

أنا الذى أحسُّ الألم المتخيَّل للبحر وهو يجلد

الشُّطَّان

أكثر من إحساسى بالألم الفعلى للأطفال المجلودين

(أوه ، كم هو زائف هذا الذى أقول ، أيتها

المخلوقات المسكينة المجلودة - لكن لماذا تنقلب

أحاسيسى إلى النقيض بهذه السرعة ؟)

أنا ، فى النهاية ، حوار متواصل ،

كلام جهير لآ مفهوم ، أنا ليل سامق فى برج ،
 عندما ، فى كَسَل ، تهتز الأبراج من دون أن تقررهما
 يد ويعرف بالكاد أن ثمة حياة يمكن أن تُحيا للغد .
 أنا ، فى آخر المطاف ، حرفيا أنا ،
 ومجازياً كذلك ،
 أنا الشاعر الحسوي⁽⁵⁾ الذى أرسلته الصدفة
 إلى الشرائع اللاغبار عليها للحياة ،
 أنا مدخن السجائر المحترق
 ومدخن الأفيون ، متعاطى الأيسنت⁽⁶⁾ الذى
 يفضل فى النهاية التفكير فى تدخين الأفيون على
 تدخينه بالفعل .
 ويميل إلى النظر إلى الأيسنت أكثر من ميله إلى
 احتسائه ...

أنا ، هذا الوضع الأرفع من دون أرشيف للروح ،
 ولا شخصية ذات قيمة معترف بها ،
 أنا البحثة الجليل فى توافه الأشياء ،
 قادر على الذهاب للعيش فى سيبيريا لمجرد
 الاشمئزاز من ذلك ،

وأعلن أنه ليس مهماً أن الوطن لا يهمنى
 لأننى لا أملك جذراً كالشجرة ، وإننى ، فأنا من غير
 جذورٍ أحياء
 أنا الذى أحسُّ مراراً أننى واقعي تماماً مثل أية
 استعارة ،
 مثل عبارة خطها مريض فى كتاب عكثت عليه فتاة
 فى سطحية ، أو لعبة شطرنج على متن سفينة
 محيطات ،
 أنا المربية التى تجرُّ عربة الرضيع فى كل الحداثق
 العمومية ،
 أنا الحارس الذى يحملق فيها متوقفاً خلف أشجار
 الحور ،
 أنا الرضيع فى عربته يطلق للاوعيه النوراني
 إشارات بعقد من الجلاجل ،
 أنا المشهد القائم وراء ذلك كله ، سلامُ المدن
 المُصقَّى عبر أشجار الحديقة ،
 أنا من ينتظرُ الجميع فى منزله ،
 أنا هو أولئك الجميع الموجودون الآن فى الشارع ،
 أنا ذلك الذى لا يعرفونه عن أنفسهم ،

أنا ، ذلك الشيء الذى تفكّر فيه أنتَ فيجعلك تبسم ،
أنا المتناقض ، الخيالى ، الثقيل ، الرغبة ،
اللافتة المُلصَّقة منذ قليل ، أرداف الفرنسيات ،
نظرة القسيس ،
أنا الميدان حيث تلتقي الأزقة ، وينام السائقون
فوق سياراتهم ،
نَدْبَةُ العَرِيف المتجهم ،
أنا الحَزَّازُ على عُنُقِ المعلمِ العائد مريضاً إلى المنزل ،
الفنجان المكسور المقبض الذى اعتاد ذلك الطفل
الميت أن يشرب دائماً منه .
(وكل ذلك ينفخ قلب الأم ويخترقها ...)
أنا درس الإملاء الفرنسى للصغيرة التى تقلب
رباط الجوارب ،
أنا القدمان المتحاكَّتان على ضوء الثريا تحت
البريدج ،
أنا الرسالة المخبوءة ، دفع المنديل ، النافذة
المفتوحة على الشرفة ،
مدخل « المصلحة » حيث الخادم تُتاجى رغبات ابن
عمّها ،

أنا ذلك الحثالة خوصي الذي وعد بالمجئ ولم يجئ
مع أننا كنا نُدبِّر له مكيدة مازحة ...
أنا كل ذلك وما تبقى من العالم كُلُّه علاوةً على
ذلك ...

كثير من الأشياء ، أنا ، الأبواب التي تُفْتَحُ ، وما
بسببه تُفْتَحُ الأبواب ،
وتلك الأشياء صانعةُ الأيدي التي تفتح
الأبواب ...

أنا الفشل الفطري لكل طرق التعبير ،
أنا استحالة التعبير عن جميع الإحساسات ،
ولا يوجد في أية مقبرة قَبْرٌ لآخ هذا كله ⁽⁷⁾ ،
وما يبدو بدون معنى دائماً ينطوى على معنى
معين ...

أجل ، أنا المهندس البحري المؤمن بالخرافات مثل
عَرَابَةِ قَرْوِيَّةٍ
أستعمل نظارة عين واحدة حتَّى أبْدُو شبيهاً
بالفكرة الواقعية
التي أَكُونُها عن ذاتي ،
وأَمْضِي ثلاث ساعات كاملة في ارتداء ثيابي

وحدها

دون أن أجد ذلك طبيعياً ،

بل أجده ميتافيزيقياً تماماً ، وإذا أحدهم طرق بابي

أَغْضَبُ

لَا لِأَنَّهُ يفسد عليّ ربطة العنق ، بل لِأَنَّهُ يذكّرني أَنَّ

الحياة مستمرة ...

أجل ، أنا من إليه تُوجّه ، فى النهاية ، الرسائل

المختومة بالشمع الأحمر ،

أنا صندوق الأحرف البارزة المستهلكة ،

ترنيمة الأصوات التى لن نسمعها أبداً من جديد

الله يحفظ كل ذلك فى الغيب ، نحن نُحِسُّه من حين

لآخر ،

والحياة تغدو فجأة ثقيلة وتَحُلُّ برودة شديدة

أقرب إلينا مِنَ الجسد .

إيه بريجيدا ، وابنة عمّ خالتي ،

الجنرال الذى كانتا تتحدثان عنه - جنراً لَمْ كَانْ

عندما كانتا صغيرتين -

وكانت الحياة حرباً أهلية فى كل مكان ...
لتحي الميلودراما التى بكت فيها ماركو
دون نظام تسقط الأوراق اليابسة على
الأرض ،

لكنَّ الثابت أنَّ الخريف دائماً هو الخريف
والشتاء بعده آتٍ لا مناصَّ منه
ولأجل الحياة يوجد طريق واحد هو الحياة ...

ذلك العجوز التافه الذى عرف الرومانطيين ،
ذلك المنشور السياسى من عصر الثورات
الدستورية ،
والألم الذى يخلفه ذلك كُلُّه من غير أن يُعرف
السبب
ولا أن تجد دَواعٍ للبكاء غير الإحساس بالبكاء
لذاته .

كُلُّ العشاق فى روحى تبادلوا القبل ،
كُلُّ الصعاليك فوقى ناموا لبضع لحظات ،

كل المهانين على ذراعى أراحوا قليلاً رؤوسهم على
شوارع ذراعى مرَّ جميع الشيوخ والمرضى
ولي أنا باح كل القتل بأخص أسرارهم .
(تلك التى توحى ابتسامتها بسلام أفقده ،
وفى إغفاءة عينيها ثمة مشهد لهولندا
بنسائها المحجبات بالكتان
وكل المجهود اليومى لشعب مسالم نظيف ...

تلك التى نسيت الخاتم فوق خزانة النوم
والشريط مُطلًا من الدرج ،
الشريط الوردى الذى لا أحبه لكونه بل لعلوقه
بالدرج
مثلاً لا أحب الحياة بل أحب الإحساس بها
فحسب ...

أن أنام مثل كلب ضال فى الطريق ، تحت الشمس ،
بعيداً نهائياً عما تبقى من الكون ،
وأن تمر من فوقى شتى العربات)

ضاجعتُ كلَّ المشاعر
كنتُ قُوَاد جميع الانفعالات ،
كل الأحاسيس الصدفويَّة ضَيَّفْتَنِي على موائد
الآخرين ،
غازلتُ كل إشارة مؤدِّيَّة إلى فعل اللذة ،
ووضعت يدي في يد كل شهوات الرحيل .
يا للحمَّى الشاسعة لهذه اللحظات !
يا لقلْق مَصْهر الانفعالات !
السُّعار ، الزُّبد ، الشساعة التي لا يسعُها منديلي ،
الكلبة النابحة في الليل ،
بركة الضيعة الريفية تحوم حول أرقى
والغابة حيث كُنَّا نتنزَّة في العشية ، والوردة ،
الضفيرة اللامبالية ، الطحلب ، أشجار
الصنوبر ،
وكل السُّعار الناجم عن عدم احتواء كل ذلك ، عن
عدم الإمساك به ،
أوه يا جوع الأشياء المجرَّد ، حماسة اللحظات
العاجزة ،

التهنُّك الفكرى للشعور بالحياة !

أَنْ أُنال كُلَّ شَيْءٍ بالكفاف الإلهى -

السهاد ، الرضا ، الإشعارات ،

الأشياء الجميلة للحياة -

الموهبة ، العفة ، العفو ،

الميل إلى اصطحاب الآخرين إلى البيت

وضعية المسافر ، امتياز الركُوبِ باكراً للحصول
على مقعد ،

فائدة السفر إلى مكان آخر ،

لكن ينقصنى شىء ، شىء ما ، كأس ، نسيم ،
عبارة ،

والحياة إنما توجعنا كلما أبدعنا واستمتعنا بها
أكثر .

أَنْ أَسْتَطِيع الضحك ، الضحك ، الضحك
بإشراق

الضحك مثل كُوبٍ يُراق ،

مجنوناً تماماً لمجرد الإحساس ،

مَمَزَقًا بِفَعْلٍ احْتِكَاكِي مَعَ الْأَشْيَاءِ ،
مَجْرُوحِ الْفَمِ مِنْ جَرَاءِ عَضِّي الْأَشْيَاءِ ،
بِالْأَظْفَارِ مُدْمَاةً لَشِدَّةِ مَا اقْتَلَعْتُ مِنْ أَشْيَاءِ
وَبَعْدَئِذٍ هَبُونِي أَيْةَ زَنْزَانَةٍ تَشَاوُونِ
سَأَتَذْكُرُ الْحَيَاةَ .

22 مای 1916 - 10 اپریل 1923

طبكرية

لا أسأوى شيئاً
ولن أكون أبداً لا شيء
لا أستطيع أن أرغب فى أن أكون لا شيء
عداً هذا ، أملك كل أحلام العالم فى دخيلتى .

نوافذ غرفتى ،
غرفة واحد من هؤلاء الملايين فى العالم لا أحد
يعرف من هو
(وحتى لو عُرف ، ماذا سيُعرف عنه ؟)
نوافذ مُظلة على غوامض شارع يجتازه
الناس باستمرار ،
تطل على شارع يصعب على الفكر ارتياده ،
واقعي ، واقعي حتى الاستحالة ، واضح بطريقة لا
تخطر على البال ،
بغوامض الأشياء تحت الأحجار والكائنات ،
بغوامض الموت الذى يُخزّن
الحيطان ويزرع البياض فى شعور الرجال ،

بالمصير الذى يقود عربة الكل فى طريق
اللاشى .

اليوم أنا مهزوم كما لو كنتُ أعرف الحقيقة ،
صاح كما لو كنت على وشك الموت .
لا أخوة مع الأشياء لدى أكثر من
أخوة وداع فيما هذا المنزل وذلك الجانب من
الشارع
يغدوان صفًا من عربات قطار ،
صفارة ممتدة داخل جمجمتى ،
ورجة فى أعصابى وطققة
فى عظامى لحظة الإقلاع ،
أنا اليوم مبلبل خاطر ، كمن فكّر فوجد ثم نسي
كل شئ ،

أنا اليوم موزع بين انحيازى
للطبكيّة المقابلة لى ، كشئ واقعى من الخارج
وبين الإحساس بأن كل شئ هو مجرد حلم ،
بوصفه شيئاً واقعياً من الداخل .
أخفقت فى كل شئ .

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي أَيْ هَدَفَ مِنْ أَيْ نَوْعٍ فَقَدْ بَاتَ
كُلُّ شَيْءٍ غَيْرَ ذِي قِيَمَةٍ لَدِي .

مِا لَقُنُونِي إِيَاهُ

فَدَفَعْتُ بِهِ مِنَ النَّافِذَةِ الْخَلْفِيَّةِ .

لَقَدْ زَهَبْتُ إِلَى الْحَقُولِ تَحْدُونِي غَايَاتٌ كَبِيرَةٌ ،

وَجَدْتُ أَشْجَاراً وَأَعْشَاباً فَحَسَبَ

وَالنَّاسَ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ كَانُوا مِثْلَ الْآخَرِينَ .

أَتْرَكَ النَّافِذَةَ مَفْتُوحَةً وَأَجْلَسَ عَلَى كُرْسَى . فِيمَ

يَنْبَغِي أَنْ أَفَكِّرَ ؟

مَاذَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْرِفَ عَمَّا سَأَكُونُ ، أَنَا الَّذِي لَا

أَعْرِفُ مَنْ أَكُونُ ؟

أَنْ أَكُونُ مَا أَفَكَّرْتُ فِيهِ ؟ أَفَكَّرْتُ أَنْ أَكُونُ أَشْيَاءَ عَدِيدَةً !

وَهُنَاكَ كَثِيرُونَ يَفْكُرُونَ أَنْ يَكُونُوا ذَلِكَ الشَّيْءَ

نَفْسَهُ الَّذِي لَا يُمْكِنُ لِلْكَثِيرِينَ أَنْ يَكُونُوهُ .

أُعْبِقِرِي أَنَا ؟ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ثَمَّةُ

مِثْلُ أَلْفِ دِمَاحٍ تَوْمَنُ مِثْلِي بِأَحْلَامٍ عِبْقَرِيَّةٍ ،

وَمَنْ يَدْرِي هَلْ سِيَحْفِظُ التَّارِيخُ حُلُمًا وَاحِدًا مِنْهَا ،

وَهَلْ سَيَبْقَى غَيْرَ الزُّبُلِ لِلْعَدِيدِ مِنَ الْمَغْزَوَاتِ

الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ .

كَلَّا . لا أومن بنفسى
أليس ثُمَّتَ فى كثير من غرف السطوح وغيرها
نُبْغَاءٌ لأنفسهم فى هذه الساعة يحملون ؟
كم من تطلُّعات رفيعة ونبيلة وصاحبة
- إن كانت حَقًّا رفيعة ونبيلة وصاحبة -
رُبما قابلة للتحقيق ،
لن ترى أبداً نور الشمس الفعلية ولن تصل إلى
آذان الناس ؟
العالم مخلوقٌ لمنْ وُلِدوا كي يمتلكوه
لا لمن يحلم بأنَّه قادر على امتلاكه ، ولو
كان على صواب .
لقد حلمتُ بأكثر مما حلم به نابليون نفسه .
ضَمَمْتُ إلى صدرى المفترض إنسانيات
أكثر مما ضَمَّ المسيح .
شَيِّدْتُ فى السرفلسفاتِ أكثر من كل ما كتب
أَيُّ كانط .
لكن كنت وساكون دائماً مجرد ساكن غرفة فى
سطح
ولو لم أعشُ فيها .

سأبقى دائماً مَنْ لم يخلق لذلك
سأبقى دائماً ذلك الذى امتلك بعض المزايا .
ساكون دائماً ذلك الذى توقَّع أن يفتحوا له باباً فى
جدار بلا باب ،
والذى غَنَّى ترنيمة اللانهاى فى خُم الدجاج
الذى سمع صوت الله فى بئر مغلقة .
أَوْ أومنُ بنفسى ؟ لَا بِنَفْسِي وَلَا بِأَيِّ شَيْءٍ .
لتسكب الطبيعة شمسها ومطرها
فوق رأسى المتقد ولتكنس ريحها شعري
وما تبقى ليأت إذا كان لابد أن يأتي
أَوْ لَا يَأْتِي أبداً .
عبيدٌ قلبيون للنجوم نحن ،
نفتح العالم قبل نهوضنا من السرير
نستيقظ فإذا هو صَفِيقٌ
نخرج إلى الشارع فإذا هو غريب عنا ،
وهو الأرض بأكملها والنظام الشمسى ودرج
التبانة وما لا يحدُّ .
(كُلى الشوكولاتة ، يا صغيرة .

كُلِّي الشوكولاتة !
سَتَرَيْنَ لا توجد ميتافيزيقا فى العالم تُضَاهِي
الشوكولاتة ،
سَتَرَيْنَ كُلَّ الديانات لا تُعَلِّمُ أَكْثَرَ مما تُعَلِّمه
المقشدة .

كُلِّي ، أيتها الصغيرة القذرة ، كُلِّي !
ليتنى أستطيع أكل الشوكولاتة بمثل اليقين الذى
به تَأْكُلِينَهَا !
غير أننى أَفَكِّرُ لَدَى نَزْعِ اللُّقَافَةِ الفضية التى
هى ورقة من قصدير ،
فى أن أَقْذِفَ إِلَى الأرض بكل شىء ، مثلما فعلتُ
بحياتى نفسها)
لكن تبقى على الأقل مرارةُ مَالِنِ أَكُونُهُ أَبَدًا ،
الخط السريع لهذه الأشعار ،
بوابة منكسرة على المستحيل .
إننى على الأقل أمحض نفسى ازْدِرَاءَ بلا دموع ،
نبيلٌ على الأقل بفعل الحركة الجنتلمانية التى أرمى
بها فى تَيَّارِ الأشياء
الثياب القذرة التى هى أنا

لأبقى فى بيتى من غير قميص
(أنت التى تواسين وليس لك وجود ، ولذلك
تواسين ،
إلاهة يونانية كنت ، مثل تمثال وهب الحياة ،
أو نبيلة رومانية ، مستحيلة ومشؤومة ،
أميرة تروبادوريين ، مركيزة زاهية من القرن
الثامن عشر ،
لطيفة جداً وملونة ، ذات لباس مكشوف وبعيدة ،
عاهرة شهيرة من زمن أجدادنا ، أو من شئ حديث
لا أستطيع حتى أن أتخيله ،
كوني كل ذلك كيفما كان ، وإذا كان هذا هو الإلهام
فلتلهمنى !
قلبي دلو مقلوب .
مثل محضري الأرواح
أستحضر روعي فلا يظهر شئ .
أدنو من النافذة وأنظر إلى الشارع بوضوح مطلق .
أرى المتاجر ، الرصيف ، أرى السيارات التى تمر ،
أرى الأحياء بملابسهم يتقاطعون ،
أرى الكلاب الموجودة بدورها ،

وكل هذا يُثْقَلُ عليَّ مُثْلَ حُكْمِ بالنفَى ،
 كل هذا ، لا يَمُتُ بِصِلَةٍ إِلَيَّ ، مُثْلَ كل شيء .
 لقد عشتُ ، درستُ ، أحببتُ بل وآمنتُ حتَّى .
 واليوم لا يوجد متسوِّل لا أحسده على حاله ، فقط
 لأنَّه ليس أنا .

فى كل شخص أرى الأسمال ، القرحة والكذب .
 وأفكر : رُبَّما ماعشتُ قط ، ولا أحببتُ ، ولا
 آمنتُ

(إِنْ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ نَغَيِّرَ وَاقِعَ هَذَا كُلِّهِ بِدُونِ
 أَنْ نَفْعَلَ أَيْ شَيْءٍ مِنْهُ) ،
 رُبَّما كنتُ موجوداً بالكاد مثل سحلية بَتَرُوا لَهَا
 الذَّنْبَ

فالذَّنْبَ وحده يَنْطُ وَيَنْطُ ، مَفْصُولاً عَنِ الْجَسَدِ .
 فعلتُ بِنَفْسِي مَالِمَ أَكُنْ أَعْرِفُهُ
 وما كان بإمكانى أَنْ أَفْعَلَ بِي لِمَ أَفْعَلُهُ
 القناع الذى ارتديته لم يكن قناعى الأفضَل .
 وَفَوْرًا حَسْبُونِى ذَلِكَ الَّذِى لَمْ أَكُنْهُ ، لَمْ أَفْنَدُ
 حَسْبَانَهُمْ وَضِيعَتُ نَفْسِي .
 عندما أردتُ نزع القناع ،

التصق بوجهي ،
عندما نظرتُ في المرأة ،
كنتُ قد شختُ
ثملاً كنتُ ، لم أَعُدْ أعرف وَضْعَ القناع الذي لم
أُنزعه
طَوَّحتُ به ،
وفي خزانة الثياب نمتُ
مثل كلب معتنى به
لكونه غير مؤذ .
لسوف أكتب هذه الحكاية لأبرهن على نبلي .
يا جوهر موسيقى أشعاري اللامجدية
هل أقدر أن القاك كشئ يخصني ، كشئ أنا
صانعه .
بَدَلًا مَنْ أَبْقَى دائماً قبالة الطبكيرية :
حيث أدوس وعيي بأنني موجود
مثل بساط يتعثّر فوقه سكير
أو حصير سرقة غجر وهو لا يساوي حبة خردل .
لكن صاحب الطبكيرية ظهر في الباب ولبت

واقفاً هناك .

أنظر إليه بضيق من يحمل رأساً فى وضع غير
مريح

بضيق فهم سيء للروح .

سيموت هو وأموت أنا

هو سترك يافطته وأنا سأخلف أشعاري .

بعد حين ستتلاشى الياطرة وأشعاري ستغيب

بعد ذلك سيموت الشارع حيث كانت الياطرة

ثم تموت اللغة التى بها كتبت تلك الأشعار

فيما بعد سوف يتلاشى الكوكب السيار الذى حدث
فيه هذا كله .

فى كواكب أخرى لمجموعات أخرى سوف تواصل
كائنات شبيهة بالبشر

وضع أشياء تشبه الأشعار ،

تشبه العيش تحت يافطة متجر .

دائماً شيء ما قبالة شيء آخر

دائماً شيء لا جدوى منه تماماً مثل آخر .

دائماً ما هو مستحيل وما هو واقعي فى البلادة
سواء .

دائماً سرُّ العمق أكيد مثل غوامض السطح .
دائماً هذا الشيء أو دائماً ذاك ، أولاً هذا ولَا ذاك .
لكنَّ هناك رجل دخل الطبكيرية (الشراء التبغ ؟)
فلَمَّا الواقع المعقول يَهْوِي بغتةً على مرة واحدة ،
أنتصب ، بحيوية ، مقتنعاً ، إنسانياً .
وأبدأ فى كتابة هذه الأبيات التى سأقول فيها
العكس .

أشعل سيجارة لدى التفكير فى كتابة الأبيات ،
وأَتذوِّقُ فى السيجارة حرية الانعتاق من كل
أشكال التفكير .

أُدخِّن وَأَتابع الدخان كما لو أَنَّهُ مساري
الخاص

وأَتلذَّذُ ، فى لحظة إحساس ،
بالتحرُّر من كُلِّ التأمُّلات .
واعياً أَن الميتافيزيقا إِنَّمَا هى نتيجة لمزاج
متعكِّر .

وبعد هذا كُلُّهُ أتراجع فوق مقعدى
وأَتابع التدخين
سأتابع طالما القدر يتيح ذلك لى .

(لو تزوجتُ ابنةَ غَسَّالَتِي لرُبَّما كنتُ أصبحتُ
سعيداً !)

أَغَادِرُ مَقْعَدِي ، مادام الأمر كذلك ، أتجه صوب
النافذة

لقد خَرَجَ الرجل من الطبْكيرِيَّة (أو دَسَّ بقيَّةَ النقود
فى جيب البنطلون ؟)

آه ، إنَّنى أعرفه ، إنه إستيبا الذى بلا
ميتافيزيقا

(صاحب الطبْكيرِيَّة يعود إلى باب دكانه)

مدفوعاً بفريزة إلهيَّة ، إستيبا استدار

وَلَمَحْنِي :

حيَّانى بيده فَصَحْتُ به اوداعاً ، إستيبا

وإذا الكون

يتشيدُّ من جديد فى داخلى بدون مثل أعلى ولا أمل

وصاحب الطبْكيرِيَّة يبتسم .

15 يناير 1928

هوامش II

هوامش الدراسة :

- (1) محتذى العادات والتقاليد الإنجليزية .
- (2) نزعة نوسطالجية ميّزت الشعر والغناء البرتغاليين في بداية القرن .
- (3) اقترح هذه اللفظة كمقابل لـ heteronimos المركبة من الكلمة الإغريقية heteros وتعنى « الآخر » و onuma وتعنى الاسم . وقد أطلقها بيسوا على الأسماء - المخلوقات الشعرية التي اخترعها وكتب بها أشعاراً شتى ، والتي اكتسب كل منها وجوداً مستقبلاً ونداً للفرناندو بيسوا نفسه .
- (4) ortonimos هي تلك الأسماء المختلفة التي تظل خارج ذات المؤلف خلافاً لـ heteronimos التي تنتمي إلى عالمه الداخلي .
- (5) ولد في لشبونة عام 1889 وفيها تولى عام 1915 عاش حياته كلها تقريباً في مزرعة . أعماله : حارس القطعان . 1911 - 1912 ، الراعى العاشق ؛ قصائد غير متجانسة 1913 - 1915
- (6) لم يعرف أى شئ مماثل في الإسبانية حتى مجئ جيل لوركا ونيرودا أجل ، لقد كان هناك نثر كوميث دي لاسيرنا ، في المكسيك كانت لدينا بداية خجول ، بداية فحسب TABALADA ، سنة 1918 بزغت ، فعلياً ، القصيدة الحديثة في اللغة الإسبانية غير أن رائدها فيسنتى هويدبرو شاعر ذو نغمة مختلفة
- (7) من المستحيل حسبما يبدو ألا يكون بيسوا قد تعرّف على لارو . فالطبعة

الكاملة لـ Barnabooth هي طبعة 1913 ، أى سنة المراسلات المكثفة لبيسوا مع ساكارنيرو . وهناك تفصيل مثير : لقد زار لاربولشبون عام 1926 . كروميث دى لاسيرنا الذى كان يعيش وقتئذ فى تلك المدينة هو الذى قدّمه للكتاب الشبان الذين أقاموا مأدبه له . فى التعليق المخصّص لهذا الحدث فى lettre de lisbone en jaune bleu blanc يتحدث لاربولطراء عن أماندا نيغريرا . لكنه لا يذكر بيسوا . ألم يتعارفنا إذا ؟ .

(8) ولد فى أبرطو عام 1887 وهو الشاعر الأكثر متوسطية بين الأنداد . كاييرو كان أشقر بعينين زرقاوين . كامبوس بين البياض والسمره ، طويل ، نحيل مع مظهر أسمى . أما ريبس فاسمر ، كامد ، أقرب إلى إسباني أو برتغالي من الجنوب . ليست الأناشيد أثره الوحيد . فمن المعروف أنه كتب نقاشا إسطيطيقيا بين ريكاردو ريبس والبارودى كامبوس . وملاحظات النقدية حول كاييرو وكامبوس نموذج للتدقيق والفحص الإسطيطيقى . (المترجم الإسياني) .

(9) قيل أن يتم نشر هذا الكتاب وبقيه الأعمال الكاملة لبيسوا نشرت هذه الدراسة .

هوامش قصيدة نشيد بحري :

- (1) ربما يقصد إنريكي البحار . (المترجم الإسباني) .
- (2) بلدة صغيرة على الضفة اليسرى لنهر التاج ، قبالة ميناء لشبونة (المترجم الإسباني) .
- (3) cesario verde شاعر برتغالي عاش في النصف الثاني من القرن 19 . يعتبر أول من أدخل قصيدة النثر كأسلوب شعري في القصيدة البرتغالية الحديثة . وقد أعيد له الاعتبار حيث اعتُبره بيسوا وجماعة أورفي قُدوَتهم الأدبية (المترجم الإسباني)
- (4) يقصد الإعلانات الروتينية عن دخول السفن وخروجها من الميناء (م . الإسباني)

هوامش قصيدة تَرْجِيَة الوقت :

- (1) حاولت الحفاظ على إيقاعية هذا المقطع الهذيانى الملتبس .
- (2) جملة ملتبسة في الأصل .
- (3) centrifugo طارد مركزي مقابل centripeto جاذب مركزي
- (4) Ave,Salve باللاتينية في الأصل .
- (5) الشاعر الحسوى Poeta Sensacionista وهو اسم الحركة الأدبية التي أسسها بيسوا وصديقه الشاعر البرتغالي ماريو ساكرنيرو قبيل الحرب العالمية الأولى (م . س) وقد فضلنا ترجمة sensacionismo بحسوية بدلا

من حساسوية الشائعة ، لأنها أدل على طبيعة الفعل الشعري المنجز

(6) Absinto مشروب قوى كان يصنع من الشببة واشتهر في القرن

18 و 19.

(7) ترجمة حرفية لببيت غامض في الأصل . (م ، ع) .

هوامش قصيدة طبكيرية :

(1) فضلت الإبقاء على العنوان الأصلي بدلا من « مكان التبغ » .

فرناندو پيسوا

بطاقة كرونولوجية

- 1887 : الميلاد المفترض لريكاردو ريبس .
1888 : 13 يونيو : ميلاد فرناندو پيسوا .
1889 : - 16 أبريل : الميلاد المفترض لالبرطو
كايبرو .
- 15 أكتوبر الميلاد المفترض لالبارودى
كامپوس .
1893 : موت والده .
1895 : ظهور أولى قصائده وهى رباعية مُهداة
إلى أمّه .
1896 : يسافر إلى دوربان (جنوب إفريقيا) مع
أمّه وزوجها الدبلوماسى .
1896 - 1898 : الدراسة الابتدائية .
1901 : قضاء العطلة مع العائلة في لشبونة وهو

- تلميذ في إحدى المؤسسات الثانوية .
- 1902 : يكتب قصيدته الثانية (رباعيات وثلاثية)
مهداة أيضا إلى أمه .
- 1903 : يلتحق بجامعة الكابو .
- 1905 : يعود بمفرده إلى لشبونه ليستقر في منزل
جدته لأبيه ، ثم في منزل خالته من بعد .
- 1906 : يسجل نفسه في كلية الآداب بلشبونة .
- 1907 : يترك الدراسة في الكلية بصفة نهائية .
- 1908 : يشرع في مزاولة عمله كمحرر للمراسلات
الأجنبية في مؤسسات تجارية للتصدير
والاستيراد .
- 1909 - 1910 : يكتب العديد من السونيتات باسمه
الخاص .
- 1911 : يشرع في تنفيذ مخطط لدراسة الفلسفة
اليونانية والألمانية والآداب الأوروبية
الكبرى . ومن ثم فقد أمضى فترات طويلة
من هذه السنة معتكفاً في صالة القراءة
التابعة للمكتبة الوطنية .
- 1912 : ينشر في مجلة AAgua أولى مقالاته
النقدية للشعر البرتغالي ، وهي نفس
السنة التي ولدت فيها فكرة خلف ند
شعري له ممثل في ريكاردو ريبس .

1913 : ميلاد بعض القصائد ، توطد صداقته
بالرّسام أماندا نيغريروس وبالشاعر
ماريو ساكر نيرو .

1914 : يوم 8 مارس : يوم تاريخي خارق في
حياته الإبداعية : كتابة : نشيد الظفر
لكامپوس « مطر مائل » لپيسوا « راعى
القطيع » لألبرطو كاييرو - 12 يونيو :
ظهور أول قصيدة لريكاردو ريبس .

1915 : تأسيس مجلة أورفى مع ساكرنيرو وأماندا
نيغريروس .

- 11 يوليو : ساكرنيرو يعود إلى باريس .
- غثت : نشاط أدبي محمود لأنداد پيسوا .
- نوفمبر : الموت المحتمل لألبرطو كاييرو .
1916 : يفكر فى الاستقرار كمنجّم فى لشبونة .

- أولى تجاربه فى الوساطات الروحية .
- ساكرنيرو يخبره بوساطة رسالة عن
رغبته فى الانتحار .

- انتحار ساكر نيرو فعلاً فى 26 أبريل فى
باريس .

- تغيير مستمر لأمكنة الإقامة .

1917 : ظهور العدد اليتيم من مجلة ..

المستقبلية البرتغالية .. متضمنة قصيدة

.. Ultimatum لالبارودي كامپوس .

1918 : ينشر قصائد بالإنجليزية .

1919 : ريكاردو ريبس يسافر إلى البرازيل .

- موت زوج أمه في بريتوريا .

1920 : ينشر أشعاراً بالإنجليزية ويشرع في

كتابة أخرى .

- يكتب رسالته الغرامية الأولى إلى

أو فيليبا كيروث يوم فاتح مارس . وفي 28

منه يستقر مع أمه العائدة من جنوب

إفريقيا بصحبة أبنائها الثلاثة في

شارع Coelhod Racla حيث أقام حتى

وفاته .

1922 : ظهور العدد الأول من مجلة « المعاصر »

متضمناً لـ « رجل البنك الفوضوى » « بحر

برتغالي » « ثلاث أغاني مينة (بالفرنسية) »

و « Lisbon Revisted » بالإنجليزية .

1923 : سنة الخصوبة الإبداعية القصوى

لريكار دو ريبس .

- يترجم بضع قصائد لإدغار坡و إلى

البرتغالية .

– ظهور « بيان طلبة المدارس العليا للشبونة
« ضد البارودي كامپوس الذى ينشر رده
المضاد : بيان من أجل الأخلاق .

1924 . ظهور مجلة أثينا بإدارة پيسوا وروا باث
حيث توالى صدورها حتى العدد الخامس .

1925 : وفاة أمه .

1926 : يُدير بمعونة صهره « مجلة التجارة
والمحاسبة » التى ظهر منها ستة أعداد
ساهم فيها پيسوا بموضوعات اقتصادية
تجارية .

1928 : البارودي كامپوس يكتب قصيدة
« طبكيا » .

1929 : ظهور أول دراسة نقدية حول ف . پيسوا
بقلم جاو غاسپار سيمويس .

1930 : پيير أوركاد يكتب فى مجلة « Cantacs »
عن لقائه بفرناندو پيسوا .

1932 : يتقدّم للحصول على منصب محافظ
متحف ومكتبة الكونط كاسطرو غيمارايه ،
لكنه يُقضى لعدم توفّره على تأهيل رسمى .

1933 : يمر بأزمة نوريستينية حادة .

1934 : النشاط الشعرى للبارودي كامپوس
يتضاعف مقابل الصمت شبه الكامل

لرئيس وپيسوا .

- حصول قصيدة « رسالة » على جائزة من
« الدرجة الثانية » فى المسابقة الشعرية
التي نظمها « مكتب الإشهار الوطنى » .
1935 - 19 نوفمبر . آخر قصيدة لپيسوا تنتهى
بهذا البيت :

« اسقنى مزيداً من الخمر ، لأن الحياة
لا شئ » .

-30 نوفمبر : وفاة پيسوا من تشمّع فى
الكبد .

المترجم :

شاعر مغربي من مواليد مدينة أصيلة عام 1953

صدر له . I في الشعر.

١ - باب البحر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت 1983

٢ - سماء خفيفة : عن دار النشر المغربية . الدار البيضاء 1989

٣ - ترانيم لتسليية البحر عن دار المعارف المغربية الرباط 1992

٤ - شمس أولى . عن دار المعارف المغربية الرباط 1995

٥ - قبر هيلين طبع وزارة الثقافة المغربية الرباط 1998

٦ - صوصاء نبش في حواشي الفجر طبع وزارة الثقافة المغربية الرباط 1998

II . في الترجمة :

١ - نشيد بحري . مختارات من شعر فرناندو ويسوا

(أ) عن هيئة قصور الثقافة القاهرة 1995 .

(ب) عن دار الرابطة المغربية : الدار البيضاء 1996 .

٢ - اللهب المزدوج . لأوكتافيويثا .

عن منشورات المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة 1998 .

المحتويات

3	إضاءة : المهدى أخريف
9	فرناندو بيسوا : إسطنبول والتنازل
13	أولاً . مختارات شعرية II
15	مطر مائل
26	فصول / المومياء
34	نعم سأفعل
35	كن هادئاً أيها القلب
36	ربما ذات يوم أنظم قصيدة
37	كتابات قبرية
44	مقاطع من « ديوان الأغاني »
45	ثلاث قصائد من « رسالة »
45	الأمير دون إنريكي
55	دون خوان الثانى
56	كتابة على قبر برطلوميوديان
57	قصائد أخرى
57	عيد الميلاد

- 61 سونيتاتان
- 65 ألبرطوكاييرو : بطاقة حياة
- 67 مرحى براعى القطيع
- 69 رعاة فرجيل
- 70 خفيفة ، خفيفة جداً
- 71 أحيانا ، فى أيام النور الكامل
- 73 وهناك شعراء صنّاع
- 75 مثل لطفة هائلة لنّار قذرة
- 77 كثير من التفكير من الميتافيزيقى
- 83 أمس مساء
- 86 سر الأشياء
- 88 بهذه الطريقة أو تلك
- 91 من أعلى نافذة فى منزلى
- 97 كل يوم أكتشف واقع الأشياء المرعب
- 98 كتبت قصائد كثيرة
- 99 أصغى لهبوب الريح
- 100 ذات مرة
- 101 لوفجأة مت
- 103 لوأرادوا كتابة سيرتى
- 105 ريكاردو ريبس · شاعر الوثنية الجديدة
- 107 أحب ورود حديقة أدونيس
- 108 أنا لا أغنى الليل

109	لا أريد التذكّر
110	آلهة تمر ، مخلصون إلهيون ..
111	أن تكون كبيراً
112	لا أطلب من الآلهة
113	ليديا
114	بلا ساعات
115	الأزهار
116	يستطيع القدر
117	رعية لا مُجدية
118	تحت وصاية خفيفة
120	توجوني بالورد
121	بسرعة يمرُّ كلُّ مايمُرّ
122	أنتم ، أيها المؤمنون بكل مسيح ومريم
125	ألبارودي كامبوس · الشاعر المستقبلي الجوّال .
127	نشيد الظفر
144	مقطعات من الأناشيد
155	عبر طريق سينترا
160	رسم تخطيطي
162	أحشاء على طريقة أوبرطو
164	Lisbon Revisted
169	في ساحات المستقبل
173	تأجيل

176 غُيوم
179 تكتّمات
182 شاسعة هي الصحارى
187 ثانياً . مختارات شعرية I
189 تقديّم
193 المجهول من لدن ذاته : دراسة لأولكتافيو باث ...
237 ثلاث قصائد لألبارودي كامپوس ...
239 نشيد بحرى
301 تزجية الوقت
345 طبكـيرية
361 فرناندو پيسوا : بطاقة كرونولوجية

المشروع القومي للترجمة

الغة العليا	جون كوين	ت. أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادمو باينكار	ت. أحمد مؤاد بلع
التراث المسروق	جورج جيمس	ت. شوقي حلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كارينتكوما	ت. أحمد الحفري
ثريا هي شبيبة	إسماعيل مصيح	ت. محمد علاء الدين منصور
اتهامات البحث اللساني	ميلكا إيفيتش	ت. سعد مصلوح / واء كامل مايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولمان	ت. يوسف الأطكى
مشعل الحرائق	ماكس فريش	ت. مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أنطون س. حودي	ت. محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جيبيت	ت. محمد مقصود عبد الجليل الأريوي
مختارات	فيسولفا شيمبوريسكا	ت. هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براويسون وايرين فوانك	ت. أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتس سميت	ت. عبد الوهاب طوب
التحليل النفسي والأدب	هان بيلمان بويل	ت. حسن المومني
الحركات الفنية	إرنارد لويس سميت	ت. أشرف ربيع عيفي
أثنية السوداء	مارتن برنال	ت. خلفي عبد الوهاب / ماريون القلبي / حسبي الشيخ / سيرة كوان / عبد الوهاب طوب
مختارات	فيليب لازكس	ت. محمد مصطفى بنوي
الشعر السائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت. طلعت شاهي
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت. نعيم عطية
قصص العلم	ج. ح. كراوتر	ت. يسي طاريف الخواي / بنوي عبد الفتاح
حوجة والف حوجة	صمد بهرجي	ت. ماهدة العناني
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنيس	ت. سيد أحمد علي الناصري
تحلي الجميل	هانر جيورج هادامر	ت. سعيد توميق
طلال المستقبل	ماتريك بارندر	ت. بكر عناس
مثنوي	مولانا جلال الدين الرومي	ت. إبراهيم الدسوقي شتا
دين مصر العام	محمد حسني فيكل	ت. أحمد محمد حسين فيكل
التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت. نخبة
رسالة في التسامح	جون أوك	ت. منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت. بدر الدين
الوثنية والإسلام (٧٤)	ك. مادمو باينكار	ت. أحمد مؤاد بلع
مصادر دراسة التاريخ الإنساني	حان سولفاجيه	ت. عبد الستار الطنجي / عبد الوهاب طوب
الانقراض	ديفيد روس	ت. مصطفى إبراهيم فهمي
التاريخ الاقتصادي لإفريقيا العربية	أ. ح. مونكر	ت. أحمد مؤاد بلع
الرواية العربية	روجر إل	ت. د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	بول ، ب . ديكسون	ث خليل كلفت
نظريات السرد الحديث	ولاس مارتن	ث حياة حاسم محمد
واحة سبوة وموسيقاها	بريحيث شيفر	ث جمال عبد الرحيم
مقد الحداثة	الآن تودين	ث أنور معيث
الإغريق والصد	بيتر والكوت	ث منيرة كروان
قصائد حب	ان سكستون	ث محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ث علفف احمد/إبراهيم مكي/مصون ملحد
عالم ماك	ببحامير مارير	ث احمد محمود
اللهب المزدج	أوكتامير پاث	ث المهدي أحريرف
بعد عدة أصياف	ألوس هكسلي	ث مارلين تانرس
التراث المغفور	روبرت ح دنيا	ث احمد محمود
مشرون قصيدة حب	نابلي بيرودا	ث محمود السيد علي
تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	ريبيه ويليك	ث محاهد عبد المصم محاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ث ماهر حريحاتي
الإسلام في البلقان	د . ت مورييس	ث عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الفتيح	ث محمد بركة رشدي الجايد يوسف الأشكس
مسار الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانوبيا وح م بينياليستي	ث محمد أبو العطا
العلاج النفسي التفسيري	بيتر . ن . نواليس ويستبيس . ح .	ث لطفى ططيم وعادل دمرداش
النراما والعظيم	روجسبيتر روجر نيل	ث موسى سعد الدين
المفهوم الإغريقي للعصر	ا . ف . النجتي	ث محسن مصيلحي
ما وراء العلم	ج مايكل والتون	ث علي يوسف علي
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	جون بولكنجهوم	ث محمود علي مكي
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	ميرييكو غوسية لوركا	ث محمود السيد ، ماهر البطوطي
مسرحيتان	ميرييكو غوسية لوركا	ث محمد أبو العطا
المحررة	كارلوس مونييث	ث السيد السيد سبيم
المصميم والشكل	خوفانز ايثس	ث صبري محمد عبد العني
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	ث مراجعة وإشراف محمد الخومري
لغة النص	رولان بارت	ث محمد خير النقاى
تاريخ النقد الأدبي الحديث (٣)	ريبيه ويليك	ث مجاهد عبد المصم مجاهد
متراند راسل (سيرة حياة)	الآن وود	ث رمسيس عوض .
في مدح الكسندر ومعالمات أخرى	متراند راسل	ث رمسيس عوض
خمس مسرحيات اندلسية	أسطوبيو جالا	ث عبد الطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ث المهدي أحريرف
نأشأ المحور وقصص أخرى	فالنتين راسنوبين	ث أشرف الصناع
العالم الإنساني في أوان، القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ث أحمد فؤاد متولي وهوبدا محمد مهي
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوجينيو ميايج رودريجس	ث عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

طبع بالهيئة العامة لشتون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٩٩٨ / ٧٥٦١

الترقيم الدولي (5 - 016 - 305 - 977 - I. S. B. N.)

fernando pessoa

ترجمة

فرناندو بيسوا

إن الشاعر الواقعي يعلم أن الكلمات والأشياء لا تتماثل ؛ ولذلك يلجأ إلى تسمية الأشياء بواسطة الصور والإيقاعات والرموز والمقارنات .

الكلمات ليست أشياء ، إنها الجسور التي نغدها بيننا وبين الأشياء .

أما الشاعر فهو وعى الكلمات ؛ أى أنه نوسطالجيا واقعية .

لقد كان بيسوا الشاعر الواقعي ، والإنسان المتشكك فى حاجة إلى خلق شاعر فطرى كى يبرر قصيدته هو ، كما أنه - مثل ريس وكامپوس - يتلفظ بكلمات ميتة ومؤرخة ، كلمات ضياع وتشتيت ، هى بمثابة هاجس أو نوسطالجيا الوحدة المفقودة ، ونحن نسمعها من أعماق تلك الوحدة :

نحن لم نعيش الحياة ، الحياة هى التى عاشتنا ، بنفس الطريقة التى يرشف فيها النحل الرحيق ، نرى ، نتكلم ونحيا . الأشجار تنمو ، بينما نحن نيام .

نحب الآلهة تماماً مثلما نُشاهد مركباً ، بدون أن نعى أبداً أننا واعون ، نَمُضَى .